سعد زغلول

بقلم سكرتيره

محمد ابراهيم الجزيري

كتاب اليوم

الثمن ١٠

سعد زغلول

ذكريات تاريخية طريفة

بقلم سكرتيره

محمد ابراهيم الجزيري

سعـد زغلول

سعد زغلول

كيف اتصلت بخدمته

لما ولى المغفور له الرئيس **سعد زغلول** « باشا » رياسة الوزارة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤، وانتخب الوفد المرحوم **حمد الباسل** « باشا » وكيلا له ، استدعانى المغفور له **محمد عاطف بركات** « باشا » وسألنى : هل أقبل العمل فى بيت الامة، خلفا للاستاذ الجليل **محمد كامل سليم**، ولزميليه يومئذ السيدين **عبد الفتاح عبد اللطيف ومحمد فتحى الانصارى**، فقبلت بسرور لامزيد عليه . وكان الاستاذ **كامل سليم** سكرتيرا للرئيس سعد ، أثيرا ذا حظوة لديه ، وقد بدأ العمل معه فى فرنسا عقب الافراج عن **سعد** وزملائه من نفيهم الاول فى جزيرة مالطة ، وكان السيدان الزميلان يقومان باعمال سكرتيرية **الوفد ببيت الامة**، من اوائل عهد ثورة سنة ١٩١٩، فلما تسلم **سعد** مقاليد الحكم عين الثلاثة فى مناصب مكرمة بسكرتيرية **مجلس النواب**، فخلت أمكنتهم فى « **بيت الامة** »، وشغلتها بفضل المغفور له **عاطف بركات** « باشا » الذى استأذن الرئيس **سعدا** فاذن . وبدأت عملى فى «**بيت الامة**» قائما بأعمال سكرتيرية **الوفد** وسكرتيرا **لحمد الباسل** « باشا » وكيل الوفد رحمه الله .

وكان هدف **عاطف** « باشا » بهذه المكرمة أن يجزينى خيرا بما لاقيت من قبل ، فقد كان ناظر مدرسة القضاء الشرعى سابقا ، وكنت تلميذه فيها ثمانى سنوات، ومندوب المدرسة فى لجان الطلبة فى عهد الثورة ، كما كنت منذ أمد قصير خارجا من سجن الاجانب

حيث أديت فيه الامتحان النهائى • فكانت هذه الثقة منه رحمه الله شفيعى فى تزكيته لى عند سعد ، ثم ورثتها من بعده لدى شقيقه العظيم المغفور له فتح الله بركات » باشا » •

ظللت قائما بالعمل فى سكرتيرية الوفد طوال عهد وزارة الشعب ، وسعدت فى ذلك العهد بمقابلات شتى للرئيس سعد أديت فيها كثيرا من الاعمال التحريرية •

***

فلما استقالت وزارة الشعب عقب حادثة السردار ، وتولت الحكم وزارة زيور «باشا» دخل حجرتى بعد أيام قليلة ، الاستاذ كامل سليم الذى كان لايزال متصلا اتصالا وثيقا بسعد ، فأبلغنى أن الرئيس يدعونى الى مقابلته ، فدخلت مكتبه ، وقبلت يده ، فأملى على كتابا فى بعض الشئون ، ثم قرأ الكتاب بنفسه وقال ضاحكا : « برافو ! خطك أحسن من خطى » ! فكانت هذه الكلمة ، أو هذه المقابلة ، هى بدء تعيينى سكرتيرا خاصا للزعيم الخالد سعد زغلول رئيس الوفد المصرى • وعلمت فيما بعد أن أولى الامر فى الحكومة طلبوا الى الاستاذ كامل سليم أن ينقطع عن زيارة بيت الامة والاتصال بسعد ، والا غامر بوظيفته ، فأبى • وكانت وزارة زيور « باشا » ـ ووزير الداخلية فيها المغفور له اسماعيل صدقى « باشا » ـ خصيمة للوفد شديدة الوطأة على رجاله وانصاره ، رغبة فى تهدئة الجو بين مصر وانجلترا ، بعد مقتل السردار وما جرى فى أعقابه بمصر والسودان • ولكن الرئيس سعدا منع الاستاذ كامل سليم من الاقدام على التضحية بوظيفته ، حرصا على مستقبله وعلى النفع منه فى منصبه ، ونصحه بالانقطاع عن خدمته ، فامتثل آسفا ضجرا !

***

بدأت أعرف الرئيس عن قرب ، وتعددت مقابلاتى له كل يوم ، وشرفت بالخروج معه مرات عديدة فى نزهاته الصباحية اليومية ، وكان رحمه الله يغرق فى تواضعه فيجعل مكانى الى يمينه فى سيارته • وكنت أجد سعادة لاتفوقها سعادة فى خدمة

الرجـــل الذى عبدته أمتـــه ، بل كنت آكاد اشك ـ وأناجالس ازاءه ، أتلقى وحيه ، أو اسمع حديثه او اهنأ بالا ٌكل على مائدته ـ أننى بحضرة هذا الزعيم الذى ملأ ذكره أسماع العالمين •

***

« سعد زغلول »

هذا الاسم الذى ملأ طباق الارض روعة وجلالا ، وأقام مصر وأثارها ، وتحدى جميـــع القوى بقوة حقه ويقينه ، هو الذى كان يكلم سكرتيره كما يكلم الاب ابنه، ويمازحه ويذهب من رهبة نفسه، حتى لتراه يناقشه مناقشة الند للند ! •

على هـــذه الصورة الوادعة المطمئنة عرفت الرئيس سعدا ، وفى هذا الجو المتواضع الرحيم خدمته واستخدمنى ، حتى كان مظهر عطفه ورضاه أن عيننى فى عام ١٩٢٦ ، عقب انتخابه رئيسا لمجلس النواب الائتلافى ، سكرتيرا خاصا له فى المجلس •

أسرة سعد

مولده ونشأتـه الاولى

« **سعد زغلول** » الذى طبقت شهرته مشارق الارض ومغاربها، وسطعت عظمته وبطولته فى آفاق العالمين ، هو الرجل الذى لم يعرف الا قليل من الناس ، فى اى بيت ولد ؟ وكيف كانت نشأته؟ وكذلك العظماء يبهرون الانظار بمآثرهم فيشغلونها بحاضرهم عن غابرهم، حتى اذا قضى الله أوبتهم الى أخراه الخالدة ، تلمس الناس من بعدهم مصادر مجدهم، واحتفوا بتعرف أخبارهم وتقفى آثارهم ، ليجدوا مكان القدوة الحسنة فيهم ،والطريق السوى فى سيرتهم •

وهذا الرئيس **سعد** : قد عاش عمرا طويلا ، وذكرا عريضـا ، ومات وهو فى كل فم نداء ، ودعاء ، وفى كل قلب محبة وولاء ، فمالفتت احدا رجعة الى ابيه ،والى البيت الذى درج فيه ، بل نسبوه الى العظمة عصـاميا ، واسلموه راية المجد عرابيـا ، وقالوا : هو **فلاح** خرج من غمار الفلاحين !! وقد سـاعد الناس على هذا الظن الذى جرى مجرى الاعراف فيهم أن **سعد** رحمه الله كان حين يحدث عن نفسه يتواضع حتى ينتسـب الى « **الرعاع والفلاحين** » . فكانت حياته كلها ديموقراطية ضربها أمثالا للناس، ووطنية خالصة ترى فى الوطن وأبنائه جميعا اسمى العزة وأنبه الفخار •

وساورد فيمايلى من فصول ،خطبـة لسـعد فى حفلة اقامها العمال سـنة ١٩٢٤ تكريما لزعيمهم ، يفخر فيهـا بأنه من « **الرعاع** » !

ويحلو لى أن اسرد هنا ماقصه على المغفور له **محمد فتح الله بركات** « باشا » بن خال **سعد** ، من أخبار ابن عمته ، وهو قصص يدل بأجلى بيان على ان حسب **سعد** سليل نسبه .

والد الرئيس :

هو المرحوم الشيخ **ابراهيم زغلول** ، من بلدة ابيانه بمديرية الغربية ، وكان رئيس مشيختها (عمدتها) ، ووجيها فى قومه ، ومثريا وشجاعا .

اما وجاهته ، فكانت تتجلى فى المظهر الفخم الذى كان لبيته بين قومه ، فكان صاحب دار فسيحة ، هى منتدى اهل بلده ، ومطاف اللاجئين والعافين من الغرباء والفقراء . وكان ذا هواية فى السلاح ، يتقلد السيف الهندى ، ويتمنطق بالحزام الحريرى ، ويركب الخيول الصافنات . ولأن أولاده فى ذلك الحين صغار لايصلحون للاستظهار على الخصوم ، كان يشترى العبيد الأشداء لهذا الاستظهار . وقد اشترى فى صفقة واحدة سبعة عشر عبدا ليكونوا اتباعا فى ركابه ، كانوا يأكلون وينامون فى بيته ، هم وزوجاتهم وأولادهم .

وكان ذا هيبة وجلال يأخذان بالأنظار ، وكان الرجال الذين يقومون فى المديرية بأعمال المراسلات (الطوائف) يستقبلونه خارج الديوان ، ويسايرونه فى ركابه حتى يدخل على المدير من غير استئذان فى احتفاء كبير ، وذلك بما كان يتعهدهم به من العناية والاكرام حين يزورون بلدته . وكان المديرون ، حتى الذين لا يعرفونه ، يؤخذون بمهابته وأبهته .

اما عن ثرائه ، فكان زارعا واسع الادارة ، يجيد فنون الزراعة .. وكان يقنى النقود فى آنية من الفخار ، ويغطيها بطبقات من المسلى خشية اللصوص ، ويدفع عن اهل بلده وعن اتباعه أموال الحكومة ، وهى فى ذلك الوقت لاتدخل تحت حصر ، يدفعها عنهم من ماله ، ليقيهم شر الحكام الظالمين ، وليكون محترما بين رجال الحكومة وسيدا فى قومه .

وأما عن شجاعته ، فان البلاد فى ذلك الحين كانت **نهبة للاتراك** ، لايسألون فيها عما يفعلون . وكان العسف والاستبداد طابع سلطانهم ، ودستور حكومتهم ، فحدث أن **عمدة** فى مديرية الغربية تعدى على موظف **تركى** فى رتبة مأمور مركز – ويسمى يومئذ : **ناظر القسم** – فصدر الحكم على العمدة بالاعدام **شنقا** وبتعليقه ثلاثة أيام فى ساحة المديرية عبرة لمن يعتبر !

وكانت عاصمة المديرية هى المحلة الكبرى ، **فشنق العمدة** ، وأبلغت المديرية عمد بلادها ذلك ليتعظوا ، وانتفخت أوداج الموظفين عزة وكبرياء .

ومر فى ذلك الحين «**ناظر القسم**» على زراعة الشيخ **ابراهيم زغلول** ، الواقعة على شاطئ النيل فى أراضى « ابيانه » ، فلقيه الشيخ مصادفة ، فتحادثا ، ولكن الناظر التركى كان يحادثه مستكبرا متعاظما ، مظهرا أمارات السخرية والزراية على غير عادته معه ! فما هو ان اشتد اللجاج بينهما ، حتى اجتذب **الشيخ** ابراهيم هذا الناظر من فوق جواده ، وطرحه أرضا وأثخنه ضربا موجعا ، ثم تركه يمضى فى طريقه :

بيد أن الحادث نما سريعا الى صهره **عبدالله بركات** (أفندى) ، والد **محمد فتح الله بركات** (باشا) وكان شابا يافعا ، وعمدة « لمنية المرشد » ، فامتطى جواده قاصدا الى « **ابيانه** » ، وهى على أمد قريب ، فقابل **الشيخ** ولامه على تصرفه ، وحذره العاقبة السيئة ، وذكره بحادثة العمدة **المشنوق** ، فلم يحفل بلومه ، وقال انه كان يدافع عن كرامته . فركض **عبدالله بركات** (افندى) بجواده ينهب الارض ، حتى أدرك **الناظر** المضروب قبل أن يصل الى الديوان ، فما زال يحاوره ويصانعه الى أن استرضاه بمائة **مجر** من ماله الخاص ، وانتهى الحادث .

والذى يقرأ هذا الحادث بين الابوين يعجب أشد العجب من تصويره لطباعهما أتم تصوير ، ويؤمن بصحة المثل القائل : « **الولد سر ابيه** » ! فان الغضبة المصرية ، والدفاع عن الكرامة ،

والحماسة ، والشدة .. كل أولئك صفات عرفها المصريون في سعد زغلول بن ابراهيم زغلول. وكذلك الدهاء واللين والمصانعة وأخذ الامور بالرفق واللطف.. كل أولئك صفات عرفها المصريون في فتح الله بركات بن عبد الله بركات .

على أن عبد الله بركات (أفندى) كان يجمع الى هذا الصنف الوادع من الاخلاق ، صنف الشدة البالغة والطبع القوى الصلب الذى كان عند الشيخ ابراهيم جماع خلقه وعنوان طبعه، فكان المرحوم عاطف بركات (باشا) وارث هذا الصنف وحده ، كما كان فتح الله (باشا) وارث الصنف الاول .

أما الرئيس « سعد » فجمع بين هذين الصنفين جمع قدرة قاهرة ، فورث أباه وورث خاله في طبعيهما جميعا ، وكانت فيه لكل زمان وكل مقام الشخصية التى تناسبه ، والروح التى تلابسه .

والدة الرئيس :

هى المغفور لها السيدة مريم، بنت المرحوم الشيخ عبده بركات ، الذى يتصل نسبه بأبى بكر الصديق رضى الله عنه. وكان الشيخ عبده من مشاهير الاغنياء فى القطر ، وانبسطت يده الزراعية على أراض كثيرة جدا ، وشارك محمد على (باشا) راس الاسرة المالكة (المخلوعة) فى زراعة الارز بالبلاد الشمالية لمديرية الغربية ، وكانت تسمى تلك البلاد عرفا بدهليز الملك .

وقد تزوجت السيدة مريم بالشيخ ابراهيم زغلول فى نحو عام ١٢٦٨ أو ١٢٦٩ هجرية ، ولها اخوة وأخوات عدة ، كلهم فروع أدركت شأو الاصل فى المجد .

فأخوها المرحوم عبد الله بركات أفندى ، والد فتح الله بركات «باشا» وعاطف بركات «باشا» ، كان مأمورا لمركز دسوق منذ سنة ١٢٨٧ هـ . وكان الترك فى ذلك الزمن يحكمون البلاد أولا وآخرا ، ولم يكن بينهم من الموظفين المصريين الا عدد قليل جدا ، كان الحكام يختارونهم من الاسر الكبيرة .

واختها السيدة **فاتى** ،وتكبرها بنحو ثلاثين عاما ، تزوجت فى الرحمانية بالمرحوم الشيخ **على محمود** • وبين الرحمانية ومنية المرشد نحو اربعين كيلو مترا ، ولصعوبة المواصلات فى ذلك الزمن لم يكن يتصاهر الا أعاظم القوم القادرون• وللشيخ **على محمود** أثر عظيم فى الوقائع الكبرى التى حدثت بين الفرنسيين وأهالى الرحمانية عند دخول الفرنسيين مصر • وقد أنجب من زوجته المرحوم الشيخ **أحمد على محمود** ، والد **أحمد محمود** (باشا) • وكان الشيخ **أحمد** عضوا فى المجلس النيابى قبل الثورة **العرابية وأثناءها** ،ومن أساطين ذلك الزمان ، وله مواقف مجيدة وآثار هامة فى الحركة العرابية،وحكم عليه عقب ثورتها من السلطة العسكرية •

واختها السيدة **زليخاء** ،تزوجت بالمرحوم شيخ العرب **ناجى البرقوقى** ، عميد أسرة البرقوقى الشهيرة فى « منية جناج» بمديرية الغربية• وولداها المرحومان الشيخ **عبدالله البرقوقى** وكان عالما شهيرا ، **ومحمد ناجى البرقوقى** (بك) • وحفيدها الاستاذ **عبده البرقوقى** الذى كان مدرسا بكلية الحقوق ، وهو ابن الشيخ **عبد الله** المذكور •

وأختها السيدة **عائشة**،تزوجت بالمرحوم **الشناوى زغلول** (افندى) ، وولداها المرحومان عبد الرحمن زغلول (افندى) الذى كان مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ، **وعبدالله زغلول** (بك) الذى كان عضوا بمجلس مديرية الغربية • وهى جدة الاستاذ محمد بهى الدين بركات واخوته ، ام امهم •

***

اخوة الرئيس :

هم عبد الرحمن ، ومحمد ،وأحمد ، وشلبى ، والشناوى، وفرحانة ، وستهم ، وكلهم اخوته من أبيه •

ولم يكن له اخوة أشقاء غير اخ هو المغفور له **احمد فتحى زغلول** (باشا) العالم القانونى الكبير ، الذى كان وكيلا لنظارة الحقانية ، ثم اخت واحدة •

وجميع أخوة سعد توفوا الى رحمة الله •

ومن أسرة زغلول في «ابيانه» عدد كبير جـدا يصعب تحديد صلاتهم بسعد رحمه الله •

***

ميلاد الرئيس :

ولد سعد زغلول في شهر ربيع الاول سنة ١٢٧٣ هـ • كما يؤكد المغفور له محمد فتح الله بركات (باشا) • وقد حقق هـذا التاريخ قياسا عـلى تاريخ ميلاد الشيخ ابراهيـم عبد الرحمن زغلول بن عبد الرحمن زغلول اخي سعد ، اذ ولد الشيخ ابراهيـم وسعد في أسبوع واحد ، وكان ابراهيم على قيد الحياة وقت وفاة سعد ، ومعروفا تاريخ ميلاده ، وكان من ورثته •

وقد كنت أعرض على الرئيس فيما أعرض من بريده كتابا أرسله الى « السيد السيد سليم » ، مندوب مدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة ، يسالني فيـه عن تاريخ ميلاد الرئيس ، ويقول : « قد استعرضنا أيام السـنة وأعيادها ، فلم نجد يوما اغـر محجلا يجب أن نتخـذه عيد الاعياد ، الا ذلك اليوم الميمون الذي أطلع الله فيه في سماء الكنانة بدرها التمام ، سعد بن زغلول ولهذا اعتزمنا أن ننشر في الناس دعوة الاحتفال بهذا العيد في كل عام » • فلما قرأ الرئيس الكتاب قال انه يظن عـلى ماسمع ممن شهدوا مولده أن تاريخه ١٦ من ذي الحجة سنة ١٢٧٤ هـ • وقد قدر رحمه الله عمره في الاحصاء العام الذي تم في سنة ١٩٢٦ بسبع وستين سنة ميلادية •

أما الطالب مرسل الكتاب ، فلعله اليوم السيد سليم (باشا) عضو حزب الكتلة الوفدية ، ووزير الحربية سابقا •

نشأة سعد الصغير

توفى الشيخ **ابراهيم زغلول** الى رحمة الله فى الخمسين من عمره ، وسن **سعد** لاتتجاوز الخامسة • وكانت والدته فى الثانية والعشرين ، وأولادها ثلاثة : **ستهم** (أم سعيد زغلول والسيدة رتيبة) ، ثم **سعد** ، ثم **فتحى زغلول** . ومع انها كانت شابة وعلى درجة غير قليلة من الجمال ، فقد رفضت بشمم أن تتزوج من كثير من عظماء البلاد الذين تقدموا لخطبتها ، ونثروا الورود تحت أقدامها •

فتكفل بتربية **سعد وفتحى** اخوتهما الكبار من أبيهما ، وكانوا يشتغلون فى الزراعة ، فظل الصغيران منهم موضع عناية تامة واهتمام كبير • وكان الانعطاف والاختلاط والتواد بين أسرتى **زغلول وبركات** على أحسن حال ، تضامنا فى معونة السيدة **مريم** ، التى مات زوجها وهى فى مقتبل شبابها ، على تربية صغارها • وساعد على دوام الاتصال تقارب البلدتين : ابيانه ومنية المرشد •

سعد فى الازهر

دخل **سعد زغلول** مكتب القرية ، ومكث فيه نحو خمس سنين تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ **القرآن** الكريم • ولما بلغت سنه الثالثة عشرة قصد الى الازهر سنة ١٢٩٠ هـ • مع أخيه من أبيه ، المرحوم **الشناوى زغلول** ، ومع ابن خاله **عبده بركات** ، وكان مجاورا فى الازهر ويقارب سعدا فى سنه • فأسكنه الشناوى سكنا مستقلا فى « **ربع العنانى** » بجهة « **سيدنا الحسين** » وأعدله من مواد التموين مايكفيه مدة السنة الدراسية ، على سعة بينة بالقياس الى زملائه **المجاورين** • وصحب **سعدا وعبده** تابعان : أحدهما للخدمة واعداد الطعام ، والآخر ليكون حفيظا عليهما من غارات « الصعايدة المجاورين » !

وكان هذا التابع الثانى فقيها من فقهاء منية المرشد ، اسمه

الشيخ حسن ابوعلام ، وقدتلقى الدروس فى الازهر مع سعد زغلول وعبده بركات .

وبعد عام وبعض عام توفى الى رحمة الله الطالب عبده بركات ، فتابع سعد وحده دراسته فى الازهر .

كان سعد مستقلا بمسكنه على خلاف عادة المجاورين ،فكان مسكنه منتدى أصدقائه وقصاده، كما كان بيت أبيه فى ابيانه .

وخالطه فى ذلك التاريخ عدد كبير ممن برزوا بعد فى ميدان الحياة، نذكر منهم الشيخ عبد الكريم سلمان ، وابراهيم اللقانى (بك)، والسيد وفا ، والهلباوى (بك) رحمهم الله .

وكان الطالب محمد فتح الله بركات يتناول طعام الافطار عند ابن عمته سعد صباح كل جمعة.

ومنذ أن جاء سعد الى المجاورة فى الازهر ، لبس الجبة والقفطان والعمامة ، وكان حسن الهندام، غالى الثياب ، ممتازا فى ملبسه بين زملائه جميعا . ولم يغير زى العمامة الا حينما عين فى وظيفة (باشمعاون) مديرية الجيزة. ومات رحمه الله وفى تركته عباءة من الصوف الاحمر الدقيق كان يلبسها فى أيام المجاورة ، ولم يكن يقتنى مثلها فى تلك الايام الا الاغنياء . ورئى رحمه الله يلبسها مرات كثيرة فى سنيه الاخيرة ،شديد العناية والاعتزاز بها ، مزهوا بما تبعثه فى نفسه من ذكريات الفتوة والقوة .

وبدا فى ذلك العهد يشرب الدخان ، وظل يشربه كثيرا ويقدمه الى أصدقائه وزائريه ،الى أن مرض بالربو سنة ١٩٠٤ م. اذ كان مستشارا، فمنعه أطباؤه منه ، فامتثل ، ثم عاد اليه ، ثم امتنع مرة واحدة لم يشربه بعدها أبدا . ولم يكن فى سنيه الاخيرة يطيق أن يشم رائحة الدخان ،فلا يشربه أحد فى مجلسه ، ولا يشرب مطلقا فى غرفة مكتبه.

سعـــد

والامام الشيخ محمد عبده

والسيد جمال الدين الافغانى

كان المغفور له الامام الشيخ محمد عبده يلقى دروسه فى ذلك العهد فى « **صحن الازهر** » ، فانتظم **سعد** فى حلقته ، وواظب على الحضور ، وعكف على التحصيل ، حتى آنس فيه أستاذه الامام فرط الذكاء وخصوبة القريحة ، فقربه اليه ، وخصه بعطفه الشامل .

وفى هذه الاثناء ، عاد الشيخ **حسن أبو علام** الى منية المرشد ، فعين مأذونا بها ، ولبث فى وظيفته الى أن مات قبل **سعد** ، رحمهما الله ، بسبع سنين .

وعن طريق الاستـــاذ **الامام** اتصل **سعد** بالمغفور له **السيد جمال الدين الافغـــانى** الزعيم الاسلامى الكبير ، وكان قد أتم دراسة أربع سنين أو مايقاربها فى الازهر ، فغنى عن الدراسة فيه بمخالطة السيد **الافغـــانى** والتلقى عنه ، وكانت **محاضراته** تدور حول هدم الاستبداد ونشر الحرية . وكانت **الجمعيات السرية** تتألف وتجتمع كثيرا مابين سنتى ١٨٧٠ و ١٨٨٠ م . للبحث فى تخليص البلاد من مظالم **الخديوى** وارهاقه الناس بالضرائب ، وفى سير القطر نحو الافلاس ، وكانت **الثورة العرابيـــة** عـلى وشـك شبوبها ، وغرضها أن يحل العنصر الوطنى المصرى محـــل الاتراك والشركس فى حكم مصر ، فتشبع **سعد** بآراء **السيد جمال** الدين ، وأشربت روحه حماسة الثورة من مبادئه وأفكاره الحرة .

وكان هذا النهج من **سـعد** فى التزود من ثقافة **الامامـــين** العظيمين ، خروجا فى ذلك العهد على العقائد والتقاليد المألوفة . وفى تلك السنوات القلائل التى قضاها **سعد** فى الازهر ، يشهد زملاؤه بأنه حصل فيهـــا مالم يحصله غيره فى عشرين عاما ، على صغر ســـنه ، وضيق أفق الدراسة فى ذلك الزمان .

سعد المحرر فى الوقائع المصرية

عين الشيخ سعد زغلول الطالب بالازهر الشريف محررا فى « الوقائع المصرية » فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٠ ، ومنح ٨٠٠ قرش مرتبا شهريا • وقد أمضى له الامام الشيخ محمد عبده « شهادة حسن السير والسلوك » التى تقلد بها وظيفته ، وكان الامام رئيسا لتحرير الوقائع •

ولم تكن « الوقائع المصرية » فى ذلك الحين مجرد صحيفة رسمية تنشر قرارات الحكومة وقوانينها ، وانما كانت جريدة بمعنى الكلمة ، تنشر المقالات والابحاث فى شتى الموضوعات• فكتب سعد فيها عدة مقالات تدل بموضوعها وباسلوبها على انها نبع من روح سعد •

ولم يكن يذهب فى تحريره مذهب أهل ذلك العصر فى نحت الاساليب المسجوعة المتكلفة ، بل أطلق لاسلوبه العنان من كل قيد بيانى ، فجرى قلمه طبق ما أرادت فكرته ، يخضع هو لها دون أن يكون له أى سلطان عليها • والذى يقرأ مقالات سعد فى « الوقائع المصرية » يجده فيها نسيج وحده ، ومن طراز فريد فى زمانه ، ولا يشك فى أن أسلوبه يومئذ يكاد يكون على غرار أسلوب العهد الحاضر !

وقد أرشدنى رحمه الله قبل وفاته بعامين الى جميع مقالاته التى نشرها بغير امضاء فى « الوقائع المصرية » ، حين كان محررا بها فقرأتها عليه واحدة واحدة ، ونشرت بعضها باذنه فى مجلتى التى كنت أصدرها : « مجلة القضاء الشرعى » •

فلا يدهشك ، وقد عاش سعد فى ذلك الوسط المنفعل المتأثر ، أنه كان طلق العنان فيما يكتب ، حر التفكير فيما يرسل ، على الرغم من أنه موظف حكومى يحرر فى جريدة حكومية رسمية ! بل كان رحمه الله ينعى فى بعض مقالاته على نظام الحكم الفردى بالقول

الصريح الزاجر ، ويبرهن على ان الشورى وانشاء مجلس نيابى من اصول الحكم الاسلامى ، ويبشر بالمبادىء الوطنية التى أعلنتها الثورة العرابية بعد قليل من ذلك الحين .

ولم تطل مدة سعد فى التحرير فى « الوقائع المصرية » فنقل فى ٣ مايو سنة ١٨٨٢ الى وظيفة معاون بنظارة الداخلية ، ومنح ١٥ جنيها مرتبا شهريا ، ثم عين فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ناظرا لقلم القضايا بمديرية الجيزة .

الوقائع المصرية

منذ خمسة وسبعين عاما

اود أن أقدم للقراء فصلا طريفا عن « الوقائع المصرية » منذ خمسة وسبعين عاما ، أى فى العهد الذى كان سعد محررا بها فيه ، فسيتضح من هذا الفصل كيف كان أسلوب سعد وهو لم يكد يجاوز العشرين من عمره ، أسلوبا فريدا فى عصره ، سبق زمانه بخمسين عاما على الاقل ! ولن اعلق بأكثر من هذا ، بل أعجل بعض الطرائف التى دلنى عليها سعد رحمه الله أثناء مراجعة مقالاته فى « الوقائع المصرية » والتى اقتبستها من صفحاتها فى ذلك التاريخ .

كانت « الوقائع المصرية » جريدة فيها كل سمات الجرائد التى يصدرها الافراد ، فهى تنشر الاعلانات بالأجر ، وهى تصف الحفلات والرحلات ، وهى تنشر المقالات الادبية والعلمية والاجتماعية والخطب والقصائد ... كل ذلك الى جوار القرارات والأوامر والشؤون الحكومية .

كانوا يكتبون تحت اسمها مايأتى :

« أماكن بيعها : فى مصر المحروسة ـ أحمد أفندى العشى ومحمد أفندى خليفة بالموسكى .

فى الاسكندرية ـ الخواجه حبيب الغرزوزى . »

كما كان مكتوبا الى الجهة اليمنى من الاسم ما يأتي :

« تعريفة ثمن الوقائع المصرية :

صـ

٨٥ بمصر المحروسة ٠

٩٧ بجهات الثغور والاقاليم البحرية والقبلية ٠

١٠٩ جهات السودان ٠ »

والى الجهة اليسرى من الاسم نجد ما يأتي :

« تعريفة نشر الاعلانات بالنقود الميرية :

صـ

٨ على كل سطر يوضع فى الصحيفة الاولى مرة اواثنتين اوثلاثا واذا زاد عن ذلك أدرج بنقص عشرين نصف فضة عن كل سطر فى كل مرة الى أن يبلغ أربعة قروش نصف الاجرة المقررة ٠

٥ على كل سطر بالصحيفة الثانية مثل ما قبله ٠

٣ على كل سطر بالصحيفة الثالثة أو الرابعة مثل ما قبله ٠ فاذا بلغ عدد سطور الاعلان مائة سطر يكون على هذا المنوال ٠ فان زاد عنها يكون الزائد عن المائة بحساب قرش واحد على كل سطر ٠ »

وكانت تصدر فى أربع صفحات فى أكثر أعدادها ، وقد تزداد الصفحات فتصير ستا أو ثماني أو عشرا ، وقليلا ما كانت تصدر فى اثنتى عشرة صفحة ٠

وكان حجمها فى مثل حجم « **آخر ساعة** » أو « **المصور** » ولكن فى ورق خشن عادى ٠

***

جاء فى عددها الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٨٠ (١٩ من ذى الحجة سنة ١٢٩٧) تحت عنوان : « سياحة محافظ السويس » ما يأتي :

«ننشرها على طولها لما فيهامنالفوائدالجغرافية لتلكالجهات ... » الخ .

***

وجاء فى العدد السابق ايضا ما يأتى :

« اعلان من التشريفات الخديوية :

انه لمناسبة انتقال المغفور لهاالست أوقومش قادن افنـدى ثانى حرم محترم جنتمكان أفندينا الكبير محمد على باشا صار تأخير فرح الزفاف الذى كان مشروعا فيه يومين تاريخه وتأجيل ذلك الى أوائل شهر صفر الخيرسنة ٩٨ »

***

ومن أطرف ما أرشدنى اليه الرئيس سعد رحمه الله ، هذا البلاغ الرسمى الذى أصدرته ادارة المطبوعات الى أصحاب الصحف ، ونشرته « الوقائع المصرية » فى عددها الصادر فى ٢ ربيع الثانى سنة ١٢٩٩ (٢٠فبراير الافرنكى سنة ١٨٨٢) :

((رسمى))

((من ادارة المطبوعات))

« الى حضرات ارباب امتيازات الجرائد العربية »

« ليس يخاف على أحد منكم ما هو الواجب على الكاتب أن يلتزمه فى كتابته من آداب القول ، والوقوف به عند حد لا يخدش ذهنا ، ولا يحرك خاطرا لوجهة شر ، ولايمس حق شخص من الاشخاص ، أو طائفة منالطوائف معنونة بعنوان خاص ، أو أمة تمتاز عن سواها باسممعين . وتعلمون أن استعمال الألفاظ الخشنة لا يفيد شيئا فىالقصد الحقيقى الذى لأجله تنشر الجرائد .

ان وظيفة الجريدة كشف حقيقة ، أو دفع وهم يضر توهمه بالعامة أو بالخاصة ، وتعميم الآداب والمبادىء العلمية النافعة ، ونقل أخبار الامم على وجه يفيدالمطلع تبصرا فى أمره وتنورا فى سيره » .

من أجل هذا نخطركم جميعا بأن تعتدلوا فى سيركم ، وأن تقصروا جرائدكم على ما يحكم العقل السليم أنه مفيد لوطنكم ، فلا تتعرضوا للقدح فى شخص بعينه ، أيا كان ، الا بعد صدور حكم قانونى عليه ، فلكم رواية الحكم لاغير . ومثل ذلك يلزمكم فى حكاية أحوال الطوائف والأمم ، لا تذكرون منها الا الصفات الثابتة التى يأخذ منها العقل نصيبا من العبرة فقط .

أما الأفكار السياسة فلا بأس بنقلها على شريطة أن تكون مجردة عن الطعن والقدح المنهى عنه .

واذا نقلتم عن الجرائد الاجنبية ، فلا تنقلوا الا ما تتحققوا (هكذا) فيه الفائدة من تنبيه الاذهان للافكار العمومية الصحيحة .

ثم اذا ناقضتم فكرا ، او دافعتم عن حق ، فليكن ذلك بغاية الأدب ، مع الاقتصار على مجرد مناقضة فكر بفكر ، بدون استعمال لأى تشنيع على شخص أو حكومة أو أمة . وليكن الفكر موجها الى نظيره بدون تعرض لصاحب الفكر فى ذاته .

وبالجملة فالمأمول أن تكون جرائدكم مطهرة من الألفاظ التى تمجها أذواق المتأدبين ، فان لفظ (الكذب) مثلا ينوب عنه لفظ (مخالف الحقيقة) أو (لا صحة له) وأمثال ذلك كثير .

وعليكم ملاحظة حركة الخواطر العمومية بكل دقة ، وأياكم ان تسيروا سيرا يعدل بها عن جادة الاعتدال .

هذا هو النمط الذى يجب عليكم أن تلاحظوه فى جميع ما تكتبونه . ومن يأت منكم بشىء يخالفه ، فقد عرض نفسه لاجراء أحكام النظام عليه . »

« المراد بالطوائف المعنونة بعنوان خاص المذكورة فى هذا المنشور ما يشمل طائفة البربر ، فانها لها عنوان يخصها ، فلا يجوز ان يمس حقها فى شىء من الألفاظ كما وقع من بعض الجرائد . »

***

((أمر كريم))

((بتشكيل أقلام قضايا الحكومة))

وهذا نموذج آخر من اللغة الرسمية لذلك العهد ، أثبته لطرافته وأهمية موضوعه ، وقدنشرته « الوقائع المصرية » فى عددها الصادر فى ١٣ ذىالقعدةسنة ١٢٩٧ الموافق ١٨ اكتوبر الافرنجى سنة ١٨٨٠ :

« تقرير رفعه حضرة دولتو رئيس مجلس النظار الى جناب الحضرة الفخيمة الخديوية ، وبناءعليه صدر الأمر الكريم الآتى ذكره فيما يختص بتشكيل أقلامقضايا فى بعض الدواوين العليا للمحاماة عن حقوق الحكومة السامية .

« مولاى :

أتشرف بأن أرفع لسدتكم العلية صورةديكريتو متعلقبترتيب أقلام قضايا الحكومة للتصديقعليه .

هذا وأنهى للأعتاب السنية أن هذه المأمورية محالة للآن على عهدة قوميتيه انحصرت فيها جميع القضايا التى للحكومة فيها مصلحة .

وهذه القوميتيه بنى تشكيلها فى الوقت الذى أنشئت فيه على ما كانت عليه بعض المصالح من الاستقلال عن النظارات وعلى قلة التدقيق الذى كان حاصلافى تحديد وظائفها ، وكثيرا ما أوجب ذلك عدم امكان تخصيصمادة ما بنظارة معينة .

وأما قوميتيه مستشارى الحكومة فانها قامت بأداء جميع الخدامات التى كان متوقعا أداؤهامنها . وقد اتفق مجلس النظار رأيا على أنيحيط جنابكم السامىعلما بالهمة الدالة على نباهة ودراية أعضاء القوميتيه المذكورةالذين لم يفتروا عن بذلها فى تأدية الوظائف الصعبة التىكانت أحيلت على عهدتهم . الا انه لماصدر الديكريتوالرقيم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بتتبع جميع

المصالح الادارية للنظارات أوجب الحال تعديل هذا الترتيب الذى صـــار الآن غير ملائم ومطابق للاحتياجات والنظامات الحالية .

فبناء عليه اتشرف بأن أعرض لجنابكم السامى بانشاء ثلاثة أقلام لقضايا الحكومة يكون مركزها فى النظـــارات التى يكون لوجود الأقلام المذكورة بها أهمية أكثر من غيرها .

وهذا الترتيب الجديد يساعد على تسهيل سرعة نهو القضـــايا حيث يجعل تحت ادارة رؤســـاء المصــــالح رجالا مخصوصـين يرجعون لاستشارتهم فى الأمور كلمــــا بدا لهم لزوم ذلك . ويترتب عليه أيضـــا منع عودة المشـــكلات التى طالما نشأت والدعاوى العديدة التى أقيمت على الحكومة فى أثناء هذه السنين الأخيرة .

هذا وقد تراءى للمجلس ايضا لزوم العـــرض على الأعتـــاب السنية بتعيين مأمورين مخصوصين يكلفون بالقيام لدى المحافظين والمديرين باداء وظائف مماثلة للتى يؤديها فى النظارات نظار أقلام القضايا وبالنيابة عن الحكومة أمام المجالس المحلية .

ويكون المأمورون المذكورون تابعين مباشرة لنظارة الماليـــة المتعلقة بها أهم المســـائل التى عليهم نظرها والبحث فيها وعلى الخصوص تحقيق المطاليب من أى نوع كانت والدعـــاوى المتعلقة بتحصيل الضرائب ويكون تعيينهم بأمر من ناظر المالية ويكونون على حسب قاعدة التتبع تحت أمر المحافظ أو المدير ، وأما وظائفهم فتتبين فى لائحة ادارية عمومية .

فهاهى الأوجه التى بنيت عليها نصوص الديكريتو الذى أتشرف برفعه لسدتكم العلية للتصـديق عليه من جنابكم السامى . وانى لولى النعم عبده الخاضع ومحسوبه المتواضع .

تحريرا فى ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٠ الموافق ١١ ذى القعـــدة سنة ١٢٩٧ . »

(رئيس مجلس النظار)

(الامضاء)

(رياض)

وتلا ذلك نص «الامر الكريم» بتشكيل أقلام القضايا الثلاثة كما اقترح مجلس النظار .

***

كانت المقالات غير الرسمية ، كالادبية والاجتماعية والعلمية ، تنشر فى «الوقائع المصرية» تحت هذا العنوان : « قسم غير رسمى » وكانت مقالات سعد كلها تنشر تحت هذا القسم ، افتتاحية فى الصفحة الاولى ، ومن أشهرها مقال تحت هذا العنوان : « الناس من خوف الذل فى ذل ، والناس من خوف الفقر فى فقر » ، نشره فى العدد الصادر بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٨٨٢ ، وكذلك المقال الذى نشره بالعدد الصادر فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ وعنوانه « الاقدام » ونشرهما من غير امضاء، ولكنه ختم المقال الثانى **(الاقدام)** بهذه الفقرة : «ذلك مبلغ المقال فى هذا المقام ، جلوناه للافهام ، مع ماتكلمنا به فى شرح حكمة الامام العربى سيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه» وهى : «الناس من خوف الذل فى ذل ، والناس من خوف الفقر فى فقر» ، عساه يصادف منها التفاتا ، فتقدم على ما غايته مجد ، ونهايته (**سعد**) ، ووضع كلمة **سعد** بين القوسين ، فدل على أنه كاتب المقالين !! وله مقالات كثيرة من غير عنوان نشرها تحت العنوان الخاص بالوقائع وهو : «قسم غير رسمى» ومنها هذه المقالة التى استهلها بقوله :

« ان التخاريف التى تعتقد الاوهام انها مماجاءت به الشرائع وقررته الاديان ، لا تخلو منها أمة من الامم، حتى التى اتصفت بالتنور والتقدم فى العلوم والمعارف . فأذهان العامة من كل قطر مشحونة بها ، وهم يعتقدونها كأصل دينى وعقيدة شرعية، لا خلاف فى ذلك بين عامة الشرق والغرب ، بل هى فى البلاد الغربية أدخل منها فى بعض البلاد الشرقية ، واشد تمكنا ورسوخا .. »

وقد نشرت الوقائع هذا المقال افتتاحية للعدد الصادر فى ٢٦ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٦ يناير الافرنكى سنة ١٨٨٢

سعد والثورة العرابيـــة

بدأت **الحــركة العرابية** ، فكان **ســعد** على الحقيقـة من أركانها وذوى الرأى فيهــا ، على حــداثةسنه وقلة تجاربه . واتصل فى أثنائها اتصالا وثيقــا بابن خالتهالمرحوم الشيخ **أحمد على محمود** ، أحــد أساطين تلك الحركة ، فكانكل منهما عضدا للآخر .

نشبت **الثورة العرابية** ، فاشار **ســعد** على أخيــه **فتحى** ، وهو أصغر منه بأربع سنين تقريبا ،وعلى ابن خاله **فتــح الله بركات** ، بالعودة الى البــلد ، فعارضــا ،ولــكنه صمم على أن يعودا ، قائلا انه لايريد أن يجعلهما هــدفا معهلطوارىء الايام . ولمــا ألحا عليــه فىالعودة معهما ، ابى، واشار فىغير تصريح الى أن القبض عليه فى مصر أهون منــه فى بلده ، وأنهمنتظر بمصر ماينزل به القضاء ، ثم أرسلهما مع الخدم لشراء تذاكرالســفر ، ولــكن الامــر بوقف قطارات الســكة الحــديد كان قدصدر ، فسافرا على **مركب شراعى** استؤجر لهما وحدهما .

بقى **سعد** بمصر ، وبعــد أيامقبض عليه (سنة ١٨٨٢ م .) ، **متهما** بانه عضو فى جمعية سريةتسعى **لقلب**نظامالحكومة. ولبث فى السجن شهورا ثم أفرج عنــه**بريئا** . .

الاستاذ سعد زغلول المحامي

خرج سعد من سجنه بريئا ،فى أعقاب الثورة العرابية ، فاعتزم الاشتغال بالمحاماة ، وهي مهنة الكفاح والنضال ، وقوة الحجة ، وذلاقة اللسان ، وروعة البيان ،وكلها مواهب ذوات نسب وثيق بقريحة سعد وروحه الشابة الوثابة • فانتظم فى سلك المحاماة سنة ١٨٨٤ ، أى فى أول عهد انشاء المحاكم بمصر •

ونبه الاستاذ سعد زغلول فى المحاماة نباهة لايبلغها وهم ،وكان فيها مثال الصدق والفضيلة والعطف على المظلومين ، ولم يكن يقبل من القضايا الا التى ثبت عنده أن الحق فى جانبها، فلا يزال بها يكشف بقوة حجته وبراعة منطقه أستارها ، حتى يشع نور الحقيقة عليها ، ويكون الحكم لها •

واشتهر فى ذلك الزمان أن سعدا لايقبل الا القضية العادلة ، وان القضية الرابحة هى التى يدافع عنها سعد ، كما اشتهر لدى القضاة أن سعدا لايتقدم الى ساحة القضاء الا بعد أن يوفى القضية حقها بحثا ودرسا وتمحيصا • فكانوا لايكلفون أنفسهم كبير عناء فى دراسة القضايا التى هو موكل فيها ، اعتمادا على أنه سيقدم لهم عنها بحثا مستفيضا ورأيا صحيحا عادلا •

ولست هنا فى مقام الكلام عن سعد محاميا ، ولكنى أسوق الى القراء قصة صغيرة ، سمعتها منه رحمه الله ، يتبينون منها ذلك الجاه العظيم الذى أدركه سعد فى المحاماة :

عرضت عليه قضية جنائية ،فأبى قبولها ،لان الادلة على التهمة قوية ثابتة ، فألح عليه أصحابها فى القبول ،وعرضوا مبلغا كبيرا، فرفض ، فظنوا أن المبلغ المعروض قليل فزادوه ، ولكنه أصر على الرفض ، فما زالوا يتشفعون اليه بأصدقائه العديدين ، ويسلكون فى رجائه كل سبيل ،حتى قبل التوكيل ، ولم يقبل

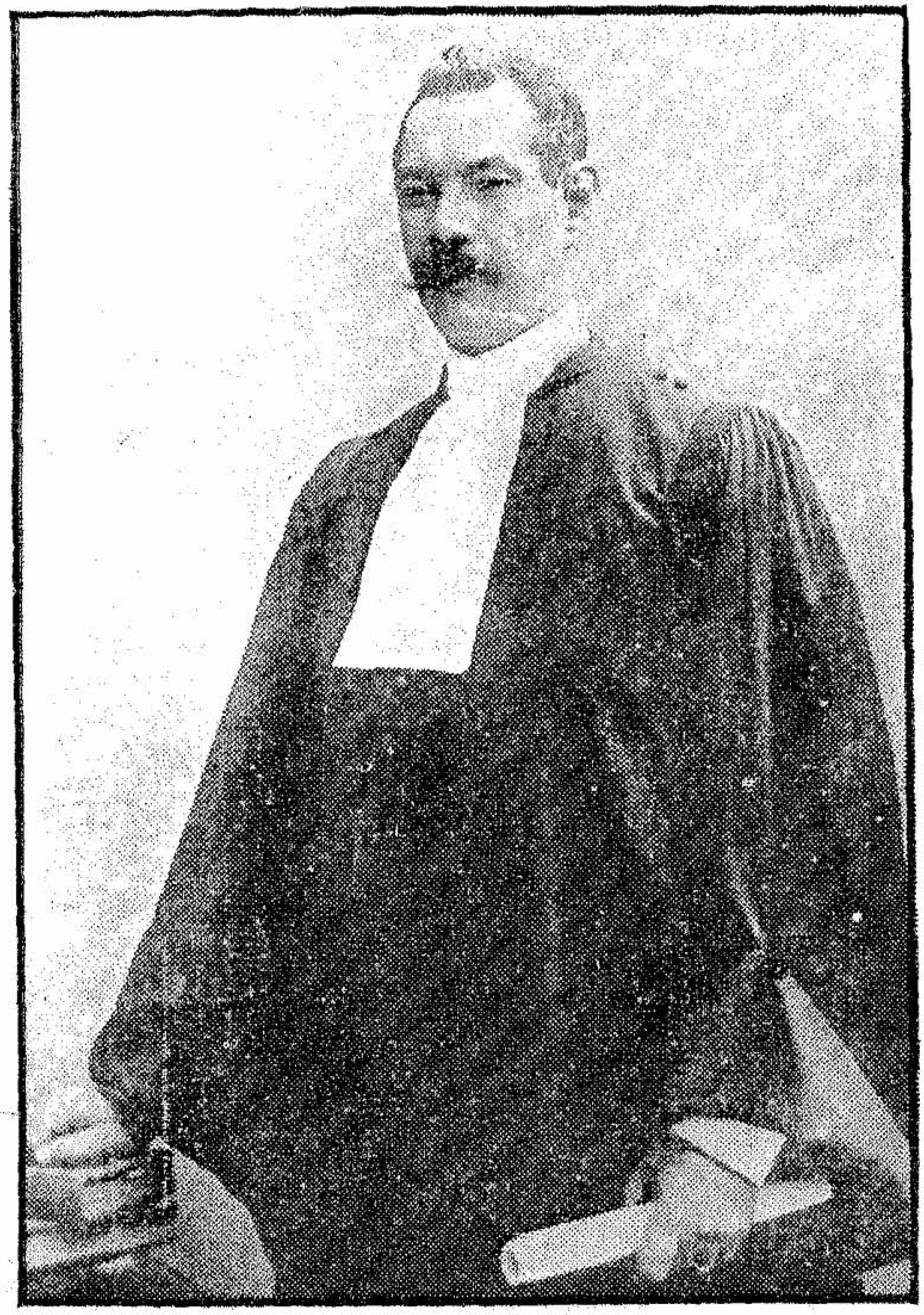

الأستاذ سعد زغلول المحامى

اتعابا !.. غير ان سعدا الذى لايقول الا الحق ، ولا يدافع الا عن الحق ، أبى ضميره أن يدافع عن قضية يعتقد أن الحق فى غير جانبها ، فذهب الى المحكمة ،وكانت محكمة بنها ، فقال :

« ليس عندى ما أقوله دفاعا في هذه القضية ، فان أمرها أظهر من أن يفتقر الى دفاع !! » . ثم سكت ، وكانت هذه الكلمة كل دفاعه العظيم الذى ترقبه القضاة قبل المتهمين بأشد اللهفة وأضيق الصبر .

اراد بكلمته أن التهمة فى القضية ظاهرة ، ولكن المحكمة التى عرف قضاتها ، كما عرف سائر القضاة وجميع الناس ، أن سعدا لايدافع الا عن الحق ، لم تستطع الا أن تحكم بالبراءة ، استنادا الى هذا الدفاع البارع !

ومن سننه الجليلة التى أخذ نفسه بها وهو محام ، تلك السنة التى شرحها بنفسه فى احدى خطبه :

أقامت نقابة المحامين الاهليين فى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٤ حفلة لتكريم المحامين الذين عينوا وزراء فى وزارة الشعب ، وحضر الحفلة الرئيس سعد زغلول (باشا) رئيس الوزراء ، فلم يكن بد من أن يقوم خطيبا ، فالمجال مجاله ، والحاضرون أهل مهنته ، فبدأ خطابه بمداعبتهم قائلا :

« زملائى الكرام : وكل من أرى زملائى ، فان كانوا محامين فقد كنت محاميا ، وان كانوا مجاورين فقد كنت مجاورا ، وان كانوا صحفيين فقد كنت صحفيا ، وان كانوا وزراء فقد كنت من الوزراء .. ولذلك أدعوكم كلكم زملاء . »

ثم جرى على سجيته التى يعز له فيها نظير ، وهى حسن اختيار المقال للمجال ، فقال :

« .. أريد أن أتأكد منكم أنكم لم تجدوا فى أنفسكم حرجا من الجملة التى وردت فى البيان الوزارى ، وهى أن على الحكومة أن تسعى جهدها فى احلال السلام محل الخصام ، فهل هذا يرضيكم؟

(أصوات من كل جانب : نعم ٠ نعم ٠) قلت ذلك وأنا معتقد أن زملائي المحامين يساعدونني على تحقيقه ، ففيه مكسب كبير لهم وللامة ٠ »

« أتذكر أني عندما كنت محاميا ــ ولا أقول هذا مفاخرة أو مباهاة ، بل حكاية للواقع ،يسمعه المحامون الذين هم أحدث مني سنا ليروا رأيهم في اتباعه ــ ويأتي موكلي مريدا **الصلح** لخشية خصمه من توكيلي عنه ، كنت أرحب به ، وأسهل الامر عليه ، بأن أرد اليه مقدم الاتعاب التي قبضتها منه ٠٠ لماذا سكتم ؟ (ضحك وتصفيق) يجب عليكم أن تساعدوا على **الصلح** ، ولو برد بعض الاتعاب ان لم يكن كلها ٠ وعلى أي حال أرجو ألا تكون **قيمة الاتعاب** مانعا لكم من تحقيق الصلح والسلام » ٠

« اني ما كنت أقيد مقدم الاتعاب في باب الايرادات ، بل في باب **الامانات**، لأني نفسي ضعف نفسي حتى اذا أراد الموكل الصلح رددت له الاتعاب وقلت له : هذه أمانتك ردت اليك ٠ فعليكم أنتم أن تتصرفوا في الامر كما تشاءون ،وقوا أنفسكم من طمعكم كما ترون ٠ وهذه نصيحة محام قديم لمحامين حديثين » ٠

ولاجدال في ان عبقرية سعد التي تجلت في مهنة المحاماة ، وسعة اطلاعه في القانون ،وتمكنه من دراسة الشريعة الاسلامية ، كل ذلك كان نبوغا فذا ، زكاه ، وقام عند اول الامر مقام أعلى الشهادات ، فلم يسعهم الا أن يعينوه قاضيا بالاستئناف ، وكان اول محام يعين في هذا المنصب الكبير ٠

سعد القاضي

ثراء سعد

كان ثراء الرئيس عظيما ، ولكن سخاءه وزهده فيه كان أعظم ، فقد كان المرحوم عبد الله زغلول (بك) ابن أخيه صغيرا ، وكان الرئيس مستشارا في الاستئناف ، فأراد أن يحفظ بيت زغلول في «ابيانه» بابن أخيه الصغير ، فوهبه على سبيل البيع أكثر من ستين فدانا بناحية « ابيانه » ، وهي ميراثه من أبيه وملك مجدد ، ثم شفعها بنحو ٤٠٠ فدان بناحية « مطوبس » كان اشتراها لنفسه .

وفي ابان اشتغاله بالمحاماة ، اقتنى عزبتين في مديرية البحيرة تبلغان ٤٠٠ فدان ، فتصرف في احداهما قبل ثورة سنة ١٩١٩ ، وتصرف في الاخرى في بدء قيامها ، ولم يحتفظ الا بالبيت الذي ولد فيه بابيانه ، وقد قام بنفسه على تجديد بنائه وزينته وزخرفه سنة ١٩٠٤ م . وظل يسكنه المرحوم عبد الله زغلول (بك) الى آخر ايامه ، ثم سكنه أولاده من بعده .

وقد مضت كل تلك الادوار ، وبيت سعد زغلول بالقاهرة مفتوح على الرحب والسعة لزائريه من المجاورين أولا ، ومن أعيان البلاد وعظمائها وأعضاء برلمانها آخرا ، الى أن ظفر بهذا الاسم الخالد : « بيت الامة » !

ذكـــرياتي

عن الرئيس سعد زغلول

قدمت فيما مضى اطرافا قصيرةعن نشأة الرئيس سعد زغلول وعن أسرته وحياته الأولى ،قصصتها كما سمعتها في جلسات شتى من المغفور له محمد فتح الله بركات« باشا »، لعـــل فيها تكملة لما تعرفه الامة من أطوار زعامتــه العظيمة المجيدة .

واشرع الآن في قصص بعض الذكريات الطريفـة عن ســـعد « رئيسي المحبوب » . وان رجلا كسعد ، ليجد سكرتيره في كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته شيئا طريفا يسجله ، لان حياته كلها كانت عظمة وزعامة ، لاتحوى الا الجد والحكمة والرشاد ، حتى في تبسيطها ومزاحها .

وها أنذا أذكر بعض ما سجلته عن الرئيس المحبوب ، مما يمكن لمثلى في صلتى به أن يعرفه .

الرئيس في يومه العادى

كان سعد رحمه الله يستيقظ مبكرا ، ويتناول طعام الافطار ، ثم يحلق ذقنه بنفسه ، وبينما هو يحلقها يملى على مقالا أو مذكرة ، أو يصغى الى ماتتلوه من الرسائل او يتناقش مع جلسائه . وكذلك يفعل اثناء الاكل .

وحوالى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة يستقل سيارته الى أحدى الجهات الخلوية للتنزه . وكانت رياضته المفضلة فى طريق الهرم . وندر أن خرج وحده ، فكان يدعو الى مصاحبته من يجده من اعضاء الوفد ، وكان اكثرهم استئثارا بهذه المصاحبة المغفور له فتح الله بركات (باشا) والاستاذ على الشمسى أمد الله فى عمره . وحين لا يجد أحدا كان رحمه الله يمنحنى هذا الشرف .

فاذا عاد دخل غرفة مكتبه واستقبل زواره من اعضاء الوفد وكبار الوفديين ووفود البلاد ، حتى اذا جاء موعد الغداء دعا الى مائدته من كان حاضرا من خلصائه ، ثم يستريح بعد الغداء قليلا ، ويمضى فترة آخر النهار فى قراءة الصحف أو كتابة مذكراته أو الاملاء على سكرتيره ، فاذا قاربت الشمس الزوال نزل الى غرفة مكتبه ورأس اجتماع الوفد أو قابل الزوار العديدين الذين لم يكن بيت الامة يخلو منهم .

وقل أن ينام قبل الساعة الحادية عشرة مساء ، وينام فى حالاته العادية ثلاث ساعات أو اربعا كل ليلة . وفى أيامه الاخيرة كان يتحايل على النوم نصف ساعة بعد الغداء وساعة او ساعتين فى الليل .

وماكان أشق على نفسه أن يمنعه الاطباء فى أيام مرضه من القراءة والكتابة ، ولكنه كان يحل رأيهم فوق شهوته الى العمل ، ويحبهم ويحترمهم .

تواضعه ووداعته

كان رحمه الله مشهورا بشدة العناد وقوة الشكيمة فى جهاده من أجل بلاده ، ولكنه فى مجلسه الخاص كان يتكشف عن أدب بارع فى الخطاب ، وتواضع جم فى التعبير . يسألنى أثناء الاملاء : « من **فضلك** ماذا كتبت ؟ اقرأ **حضرتك** ما كتبته . »

ولم يكن رحمه الله يعرف فى أوقات العمل للتعب اسما أو معنى، فكثيرا ما عمل فى الظروف العصيبة الى ما بعد منتصف الليل، وطالما أملى على ساعات متوالية ،كان يلتفت أثناءها فيقول : « **لا تؤاخذنى ، أنا جبار** » ثم يأذن لى فى الانصراف حينا لأستريح وأسترد نشاطى ، بينما ينعم هو النظر فيما أملى .

وكان لايرى على تمام عافيته الا فى أوقات الشدة والعمل المضنى! واذا سئل يومئذ عن صحته ضحك وقال : « **الحمد لله ،صحتى تجىء على المقت** » .

الرئيس والقراءة

كان **سعد** فى عامه الاخير يشغل فراغه بالقراءة فى كتب « **نهاية الأرب والتاج والاغانى** » وهى كتب طبعتها « **دار الكتب المصرية** » طبعا أنيقا جميلا، وكثيرا ما أثنى على حسن طبعها ، وكان يقول « ان العناية فى طبع الكتب وتجميلها تحبب الى الناس قراءتها، وتكون خير نشر واعلان لفائدتها» .

وكان أول عمله فى الصباح أن يقرأ **الصحف العربية** ، فيبدأ بالمعارضة منها، ثم يتناول سائر الصحف . واذا كان لديه متسع من الوقت قرأ الصفحات العلمية والادبية فيها .

وكان يتصفح يوميا جريدة **الاجيبشيان غازيت والبورص اجيبشيان** . بيد أنه رحمه الله كان يملؤه الزهد فى قراءة الصحف

المعارضة حين تقصر مقالاتها على المطاعن العقيمة ، وتجلى هـــذا الزهد فى أيامه الاخيرة ، حيث رغب عن الصحف المعارضـــة جميعا .

وكان رحمه الله يرقب باهتمام ما ينشر من الكتب الحديثة بمصر، فيكلفنى شراءها ، ويقرأ منها ما تسمح به الفرصة . وقرأت له كتاب «**الاسلام وأصول الحكم**» للاستاذ **على عبد الرزاق**» وزير الاوقاف فيما بعد »وادلى الى برأى فيه سجلته عندى ،وسأورده فى هذه المذكرات. وكذلك قرأت له كتاب المرحوم الاستاذ **مصطفى** صادق الرافعى فى « **اعجاز القرآن** » ، وكتاب الدكتور **طه حسين** « **فى الشعر الجاهلى** » وردالمرحوم الاستاذ **محمد فريد وجدى** عليه، ومحاضرات المرحوم الشيخ **محمد الخضرى** « بك » فى نقده .

واذكر أنه رحمه الله أعجب كل الاعجاب بكتاب الاستاذ محمد فريد وجدى هذا ، وكان قد وضعه فى نقد كتاب «فى الشعر الجاهلى » واهدى الى الرئيس نسخة منه ، فلما قراها كتب الى الاســـتاذ وجدى هـــذا الكتاب البليغ التالى :

« حضرة الاستاذ الفاضـــل **محمد فريد وجدى**

وصلنى كتابك الذى وضعته فى نقد كتاب «**فى الشعر الجاهلى**» وتفضلت بارساله الى . وقراته فى عزلة تجمع الفكر ، وسكون يحرك الذكر ، فراقنى منه قول شارح للحق ، ومنطق يقـــارع بالحجة فى ادب رائع ، وتحقيق دقيق فى أسلوب شـــائق واخلاص كامل للدين فى علم واســـع ، وانتصاف للحقيقـــة فى احترام فائق . ومجموع من هذه الخصـــال استمليت منه قلبا فياضا بالايمان ، وعقلا مثقفا بالعرفان ، ونفسا محلاة بالادب . فقررت عينا بوجود مثلك بيننا ، ورجوت الله ان يكثر من امثالك فينـــا ، وان يجازيكم على ما تصـــنعون بتوفيق البـــاحثين والمتناظرين لاحتذاء مثالكم فى دقة البحث ، وأدب المنـــاظرة ، وانكار الذات ، والانتصار للحق ، وبتوفيق النـــاس لاستماع اقوالكم واتباع احسنها ، والسلام على **المهتدين** » .

« **سعد زغلول** »

١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٦

الرئيس واللغات الأجنبية

تعلم رحمه الله الفرنسيـة من قديم ، وأدى بها امتحان الحقوق فى فرنسا ، وتلقى مبـادىء الانجليزية فى عدن على الاستـاذ مكرم عبيد والمغفور له **محمد عاطف بركات « باشا »** ، وهم فى طريقهم الى منفى **سيشيل** . وتعلم الالمانية منذ عام ١٩١١ على الآنسة **فريدا** (امينة بيت الأمة الآن) .

الرئيس والكتابة

كان يميل عادة الى الكتابة بعد قراءة الصحف فيرجـو من جلسائه أن يتركوه وحده ، ويعكف على كتابة خـواطره ، ثم يملى على ما كتب : فيكون حينـا مقالا انتخابيا أو قانونيا ، وحينا ردا على خصومه أو شرحا لنظرية وفدية ، ويكون أحيانا قليلة قطعة يترجمها عن كتـاب أجنبى . فيكلفنى ارسال ما أملى الى **البلاغ** أو **كوكب الشرق** ، أو يحفظه بين أوراقه .

وهناك مقالات عديدة كان يوحى الى بفكرتها موجزة ويترك لى تفصيلها وكتابتها فى مقال واف أعرضه عليه قبل نشره ، ثم أنشره بامضائى أو بغيره .

وكان رحمه الله يكتب **مذكراته** بالحبر بخطه ، وقد حظيت عنـده مرات كثيرة فأسمعنى أبوابا شتى منها فى وقت فراغه أو أثناء بحث أو ترتيب لاوراقه .

وكان **خطه** غير مستقيم الرسم لا يكاد يقرؤه الا من مرن على قراءته ، ولم يكن يتضح من كتابته غـير امضائه فانه يكتبه مبينا قريبـا الى الجمـال الخطى ، وكان يعترف برداءة خطه :

أرسلت اليه احدى شركات الاقلام الكاتبة مندوبها ليهدى اليه نموذجا من أقلامها بديع الصنع دقيق التركيب ، والتمس المندوب

ان يتفضلَ الرئيس فيكتب جملة بذلك القلم يردفها بامضائه، فكتب رحمه الله ، وهو يمازح المندوب، هذه الجملة : « خط هذا القلم جميل فى غير يدى » •

اسلوب الرئيس

كان رحمه الله اذا أراد كتابة مقال هام أو نداء خطير أكثر فيه من التبديل والتحوير ، وربما غير بعض جمله أو غيره كله ثلاث مرات أو أربعا • وكان يتحرى الاسلوب الصحيح والكلمات العربية الفصيحة جهد البحث • والى جانبه دائما معجم (أقرب الموارد) •

ووزن الجمل والمقاطع عنده جزء من كتابته ، فقد كان يعنى جد العناية بالمطالع والمواقف ، ويقرأ الجملة مرات ليتذوق نغمها فى سمعه ، وليعرف ان كانت نابية عما قبلها وبعدها فى الانسجام والاتزان • وهذا من غير شك أثر روحه الخطابية فى نفسه •

ومن نافلة القول أن نقول ان سعدا كان خطيب العصر ، فلم تشهد مصر خطيبا يملك أسماع الجماهير وقلوبهم مثله ، بلْ ان خطابته سر زعامته •

كان قوى الارتجال ، تتحدر الخطبة من فيه على الناس بأسرع مما تتحدر المقالة من قلمه على القرطاس • ولم يعد من خطبه الا الرسمية او شبهها ، فيكتبها ويراجعها مرارا على النحو الذى قدمته • ثم يتلوها مكتوبة •

وقد كان تعبيره فى الارتجال أقوى من تعبيره فى الروية • ولاحظت ذلك كثيرا ، فصارحته مرة به ، فقال : « هذا صحيح ، وأنا الاحظه أيضا » •

حبه للمناقشة وخضـــوعه للحجـة

قال عنه خصومه في بعض الأحايين أنه متشبث برأيه متعصب لفكرته ، فوالله ما كان أحب اليه أن تساق أمامه الملاحظات على ما يكتب ويقول .

غير أن تلك الظاهرة التى سموها استبدادا ، انما كانت منه فى الفكرة التي قتلها بحثا ، وقلب فيها وجوه الرأى جميعا . فاذا جادله عليها مجادل ،كان رحمه الله فى رسوخ اليقين ،ومجادله صاحب رأى فطير وبحث قصير .

لقد كان شغـوفا بان يطلع أعضاء الوفد وأصدقاءه المقربين على ما يكتبه قبل نشره ، فكثيرا ما كان يستدعينى لأقرأ عليهم ما أعده ، ويستمع لملاحظاتهم أيا كانت ، من حيث الاسلوب أو المعنى أو المناسبات .ولا يدهشك أنه رحمه الله كان يستدر هـذه الملاحظات ويتقبل صوابها بصدر رحب ولو كانت من سكرتيره . بل كان يقول لى دائما عند الشروع فى الاملاء : (لا تتأخر أن تنبهنى الى ماترى من النقد) .

فى مساء ٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ ـ فى عهد الوزارة الزيورية ـ زار بيت الامة وفد من أعيـان الفيوم، فقابلوا الرئيس فى مكتبه، فخطبهم خطبة سياسية شـديدة الوطأة على الوزارة . وبعـد أن انصرفوا تقدم الاستاذ **عزيز ميرهم** (المحامى وعضو مجلس الشيوخ رحمه الله)فناقش **الرئيس** حول عبارة شديدة فى خطبته تناولت احدى الجهات ، واستمر الجـدل طويلا بينهما ، حتى اقتنع **سعد** بملاحظة الاستاذ **عزيز**، وامرنى بحذف هذه العبـارة من النص الرسمى الذى سأرسـله الى الصحف .

وكانت تحضر اليـه **الوفود** ،فأستأذنه ، فيقول:أدخلهم للسلام فقط لانى متعب كثيرا . ولكنهم حين يدخلون ، وقد أوصيتهم أن يخطفوا الزيارة خطفا ،لايعرفون كيف ينسحبون بعد السلام ،لان **الرئيس** لايلبث أن يتجلى معهم على سجيته الديموقراطيـة ، فيسألهم عن أخبـار بلادهم وأحوالها ، ويناقشهم فى المسائل السياسية بأساليبهم وعلى أقدار عقولهم ، ويطول زمان المقابلة الى ما شاء الله !!

سعد فى مكتبه ببيت الأمة

سعـــد والطلبة

كان الرئيس يقدرجهودالطلبة فى الحركة الوطنية أعظم تقدير ، وكان يرى فيهم العنصر المثقف العامل الامين الذى ستقوم على أكتافه نهضة البلاد . وكان يسمح للجانهم أن تجتمع فى (بدروم بيت الامة) على أن يكون اجتماعهم فى حدود التعقل والحكمة والهدوء .

استقبل **الرئيس** فى ١٤ نوفمبر سنـة ١٩٢٤ ببيت الأمة أعضاء « **لجنة الطلبة التنفيذية** » المنتخبين عن العام الدراسى الجديد ، فقال لهم :

« أهنىء اللجنة التنفيذية الجديدة بمراكزها ، وأطلب منهـا الثبات والاعتدال والحكمة والحماسة ، وأن يرجع على أيديهـا للطلبة تضامنهم واتحادهم ، وأن يكونوا رجال اعمال لا أقوال . وفقنا الله واياكم لما فيه خير البلاد » .

وعقب تأليف **وزارة الشعب** ، قبل **الرئيس** بارتياح كبير أن تؤخذ له صورة مع أعضاء « **لجنة الطلبة التنفيذية** » ، فأخذت فى فنـاء بيت الامة .

وكان **الرئيس** رحمه الله ينوه دائما بآثار **الطلبـة** فى الحركة الوطنية ، وبلغ من اعترافه بجهودهم أن خصص لهم **مقعدا** فى مجلس النواب جعله وقفا عليهم ، واختار لهذا المقعد **زعيمهم** يومئذ السيد **حسن يس** ، فرشحه لعضـويةمجلس **النواب** فى أول برلمان . ونجح السيد حسن بفضل هـذا الترشيح نجاحا باهرا ، وظـل **الوفد** يرشحه فى كل انتخاب ، رمزا الى تلك الفـكرة التى كان **الرئيس** يقدسها . ولقد سمعته رحمه الله يقول « انه لم يكن يعرف السيد **حسن يس** ، ولاهو اتصل به فى عمل من قريب أو من بعيد ، ولكنه يعلم أنه زعيم **الطلبة** فى عهد **الثـورة** ، ولذلك اختاره ليمثل **الطلبـة** فى أول بناء اسـتقلال حصلت عليه البلاد ، حتى يكون فى هذا **التقدير الرسمى** اعتراف جميل بما كان للطلبة من تضحية وجهاد . »

ياشيخ جزيرى

فكرت فى تغيير الزى من« الشيخ » الى « الافندى » فى مستهل سنة ١٩٢٦ ، وكنت فى هذا الرأى من المحافظين المتشددين.

ودعانى الى التفكير فى التغيير أنى كنت ألاقى بعض الحرج او أكثر الحرج فى القيام بأعمالى وأنا بزى الشيخ . فلم يكن مالوفا ، ولا سائغا ، ولا سهلا أيضا أن أنوب بهذا الزى عن الرئيس في رد الزيارة لرجال الهيئات السياسية أو مقابلة الصحفيين الاجانب ، ولا أن أمارس أعمالى فى بيت الامة على كثرة أنواعها وشتى مناحيها !

وفجأة عرضت الفكرة على الاستاذ على الشمسى « باشا » عضو الوفد ، فحبذها وشجعنى عليها كل التشجيع ، فاتكلت على الله، وأعددت الزى الجديد . وكنت أخشى كل الخشية أن يعارض الرئيس ، فلم أستأذنه ، وقلت فى نفسى : لقد كان شيخا مثلى وغير زيه فى وقت كان الناس أشد حرصا فيه على القديم .

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٢٦ أبلغت الشمسى « باشا » انى تسلمت الملابس الجديدة ، وفى استطاعتى أن أودع زى الشيخ من الصباح، ولكنى مشفق وخجول من مقابلة الرئيس وحدى ، وأخشى أن يجد فى عدم استئذانى له خروجا على الادب الواجب . فهون على الامر ووعدنى أن يحضر مبكرا فى الصباح ليخرج مع الرئيس فى رياضته العادية ، فيقدمنى اليه « افنديا » !

وفى الصباح خرج الرئيس من مكتبه ومعه الشمسى « باشا » ، فقبل يده « افندى » ذو بذلة رمادية اللون، فسأل :من حضرته؟ فأجابه الشمسى « باشا » : هذا الجزيرى « افندى » ـ وكانت أول أول مرة سمعت أذنى فيها كلمة « الافندى » ، مقرونة باسمى ، فتأملنى رحمه الله طويلا ، ثم انفجر ضاحكا وهو يقول : « ماذا فعلت بنفسك ؟ انت كنت كويس ! على كل حال مبروك » . ولكنه رحمه الله ظل ينادينى الى آخر أيامه : « ياشيخ جزيرى » ! واذا كان الشمسى « باشا » حاضرا ضحك وقال : « بالعند فى الشمسى» !

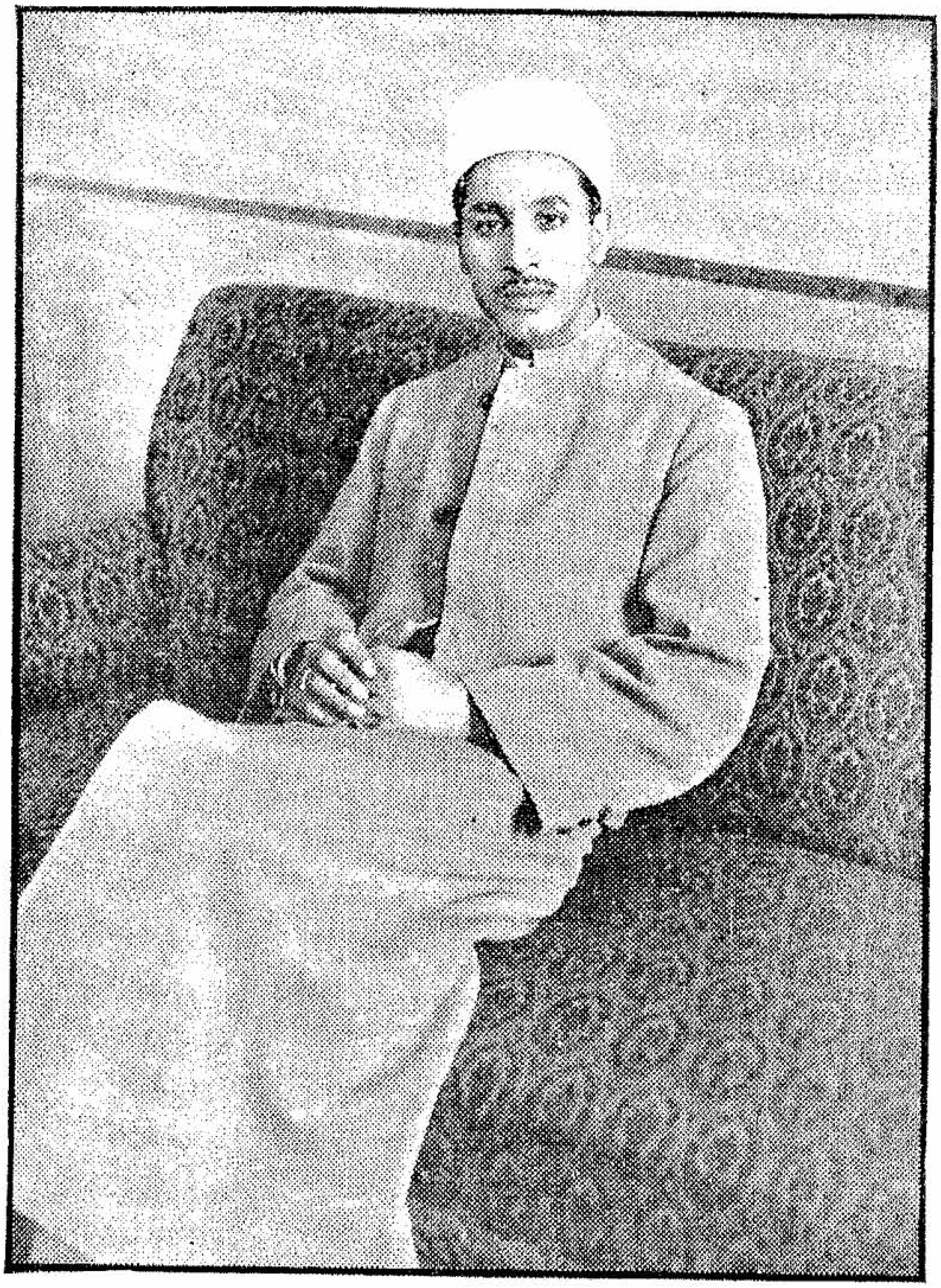

آخر صورة لسكرتير سعد بالعمامة

أول صورة لسكرتير سعد بالبذلة

وبعد هذا التاريخ بدأت سنة تغيير الزى تجد أنصارها بين طلبة دار العلوم . فلم ينته العام حتى كانوا جميعا قد استبدلوا الطربوش بالعمامة ، والبذلة الافندية بالجبة والقفطان .. وصار هذا الزى الجديد لباسهم المختار الى اليوم . واذكر للتاريخ ان استبدال الطربوش بالعمامة قد أصبح منذ ذلك العهد مستحبا سائغا، فاخذ به كثير من زملائنا واساتذتنا السابقين من رجال مدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم، وفى مقدمتهم أستاذنا الكبير ، الاديب العالم الذائع الصيت ، المغفور له احمد امين « بك » والاستاذ الفاضل زكى المهندس عميد دار العلوم سابقا ، والزميلان الاستاذان محمد عبد الرحمن الجديلى وكيل الوزارة للشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء سابقا ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور عضو مجلس الشيوخ سابقا ، وغيرهم كثيرون . ولم يبق محافظا على العهد القديم الى اليوم الا أفذاذ معدودون ، أذكر منهم الزملاء الاساتذة أمين الخولى أستاذ الادب العربى بكلية الآداب بجامعة القاهرة سابقا ، ومحمد البنا وكيل الوزارة للشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء سابقا ،وسيد زهران مراقب الشئون الدينية بوزارة الاوقاف سابقا ،ومحمد ابو زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة .

ذاكرة سعد وبديهته

كان رحمه الله من قوة الذاكرة وحضور البديهة فى غاية لاغاية وراءها ! والذين عاصروا سعدا يذكرون أنه كان يتلقى جملة وفود فى اليوم الواحد ، وفدا اثر وفد ، فيلقى على كل جماعة خطبة مرتجلة ، كل مافيها يناسب المقام ، ولا تشبه خطبة أختها لا فى لفظها ولا فى أسلوبها وموضوعها... ! هذا ، غير أحاديثه مع اعضاء الوفد ورجاله والصحفيين ، فهو فى كل مجلس المتكلم الخطيب المتدفق بلاغة وبيانا .

***

زار « بيت الامة » يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٦ فريق من محامى مدينة الاسكندرية ، يتقدمهم نقيبهم الاستاذ حسين والى .

وكان الرئيس فى رياضته الصباحية المعتادة ، فترقبوه حتى اذا عاد تلقوه على رأس السلم بالتحية والهتاف ،وقدمهم الاستاذ النقيب باسمائهم ، ثم تقدم هو باسمه ٠فما أسرع مامرت ببال الرئيس ذكريات متدافعة ، استوقف احداها فقال ، وهو لايزال على رأس السلم معتمدا على عصاه :

«اتذكر أنك (مخاطبا النقيب) ترافعت أمامى فى سنة ١٩٠٤، فاعجبت بمرافعتك واعتزمت أن أهنئك ٠٠ وانى أتذكر جيدا موضوع القضية ووجه دفاعك ٠٠ »

وطفق رحمه الله يقص عليهم ،وهم فى دهشة بالغة ، واعجاب حائر ، حديث ذلك الظرف الغابر ،كأنه يقص شيئا من حوادث الامس ٠

اتكاله على الله وحبه للحقيقة

يذكر جميع من عرفوا سعدا رحمه الله أنه كان على ايمان راسخ واعتقاد سليم ، وأنه كان يتوكل على الله فى كل حادث ، ويقول : « نحن ملهمون بعناية الله ،وموفقون برعايته ٠ وكل ماترون من نجاح لنا هو من عند الله » ٠

وكان يمقت المواربة والمخادعة وتزوير الاقوال والافعال ، وكان يحب الحقيقة مجردة على أى وجه تكون ٠

ومن طريف ما اذكره عنه فى هذا الصدد أننى عرضت عليه ـ قبل سفره الى بساتين بركات سنة ١٩٢٧ بيوم واحد ـ صورة زيتية كبيرة ، أهداها اليه أحد الرسامين ، وكان فى حضرته المغفور له الاستاذ أحمد خشبه « باشا » فأعجب خشبه « باشا » بالصورة كثيرا ، وقال انها جميلة جدا ، وكانت حقا جميلة ٠ ولكن الرئيس قال على الفور : « لاشيء أجمل من الحقيقة » ، فكانت كلمة حق وحكمة ،وكانت تورية لطيفة !

وقد تفضل رحمه الله فاهدى الى هذه الصورة ، وهى لاتزال عندى على نضارتها فى مكان الاعزاز والتكريم ٠

الرئيس والقضايا السياسية العامة

قضايا ماهر والنقراشي وحمد الباسل وفكرى أباظة

لم يكن اهتمام الرئيس بالخطابة والصحافة والادب لينسيه شئونا أخرى جمة يتولاها بنفسه أو برعايته • وقليل من يعرف أن سعدا كان هو المحامى الاصيل في قضية الاستاذين المغفور لهما الدكتور احمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي ، وفي قضية المغفور له حمد الباسل « باشا » ، وهما القضيتان اللتان شغلتا الافكار حينا من الدهر ، وكانتا محور الجدل بين الوفد وخصومه ، مصريين وأجانب • فقد كان رحمه الله يراجع المستندات ويضع المذكرات ، ويزود هيئة الدفاع في القضيتين برأيه ومشورته •• وبلغ من اهتمامه بأمر هاتين القضيتين ، أن كان ينقطع لدراستهما في الطابق العلوى أو في الحجرة الشرقية الصغيرة من الدور الاول ببيت الامة ، أكثر من يوم ، دون أن ينزل لرياضته اليومية المعتادة أو لمقابلة زواره •

ولست بحاجة الى أن أذكر نتيجة الحكم في القضيتين ، فقد كان المحامى فيهما هو الاستاذ سعد زغلول ، عظيم المحامين •• !

وأذكر في هذه المناسبة أن الاستاذ محمد فكرى أباظة زار بيت الامة يوم الاربعاء ٢٧ مايو سنة ١٩٢٥ ، في صحبة المغفور له عبد الله سليمان أباظة « بك » عضو مجلس الشيوخ • وكان عبد الله « بك » الاباظى الكبير الوحيد الذى ناصر سعدا الى آخر أيامه ، رحمهما الله . فقدم الاستاذ فكرى الى الرئيس سعد في مكتبه ، فمكثا في حضرته نحو الساعة ، وطلب الى الاثنان عند خروجهما من المكتب ألا أبلغ الصحف عن زيارة الاستاذ فكرى هذه ، لانه يريد أن تبقى سرا • وكانت الصحف قد نشرت أن النيابة استدعته في اليوم السابق للتحقيق معه في موضوع المقال الذى نشره بجريدة الاهرام يوم الاثنين ٢٥ مايو المذكور تحت

عنوان : « ٠٠ **الوداع** – من فكرى أباظة ، الى اللورد اللنبى ! »

وحاول الاستاذ **فكرى** ، ونحن عند باب « بيت الامة » ، أن يفهمنى تلميحا أن لادخل لزيارته بالسياسة أو الحزبية – وكانت الوزارة القائمة هى الزيورية ، وكانت بوادر السعى الى **الائتلاف** بدأت تظهر بين الاحزاب – وقال انه انما جاء ليستشير **سعدا** فى موضوع التحقيق معه على المقال المذكور ٠ وكتبت فى مذكراتى أن ذلك كان من غير شك من موضوعات الكلام فى مكتب الرئيس ، أو كان واحدها ٠

وأخبرنى الاستاذ **فكرى** ، ونحن وقوف ، أن **الرئيس** اشار عليه بأن يطلب من **النيابة** أن تتخلى عن التحقيق معه ، مادام اللورد اللنبى المجروح فى ذلك المقال لم يقدم اليها بلاغا يشكوه فيه ٠

وقال لى الصديق الكبير **عبد الله أباظة** « بك » ، فى مساء ذلك اليوم ، ان الاستاذ **فكرى** أباظة خرج من مكتب **الرئيس** حائرا مما سمع ورأى ، ومدهوشا من بلاغة **سعد** وروعة القائه وكمال استعداده ، حتى كان كأنه يلقى درسا فى القانون حضره تمام التحضير ٠

وتم ماأراد الزائران ، فلم يعلم بهذه الزيارة فى حينها أحد ، الا من كان حاضرها ٠

وصدق الاستاذ **فكرى** أباظة يومئذ ، فقد نشر بعد وفاة سعد بسنوات ، فى احدى الذكريات السنوية لوفاته رحمه الله ، فقال عن هذه المقابلة :

« ٠٠٠ وزرت **سعد** « باشا » فى أثناء التحقيق ، فلم أكد أدخل عليه حتى قال بصوت مرتفع ، ولا بد أنه فهم سر زيارتى :

– خذنى **محاميا** لك !

قلت : وما العمل « يادولة الباشا » ؟

قال : لاشىء ٠٠ يحاكمونك على طعنك فى ممثل دولة أجنبية متحابة ، ولكن ممثل هذه الدولة استقال وزالت صفته ٠٠

قلت : ولكن « ياباشا » طعنت أيضا فى « لورد لويد » الممثل الجديد !

قال : وهذا أيضا لم يقدم أوراقه بعد للدولة المصرية ، فهو لم يصبح ممثلا فى نظر قانون العقوبات •

ثم ضحك وقال : ومع ذلك فاؤكد لك أن التحقيق الذى يجرى معك هو من باب المجاملة للورد اللنبى ، وهو على ما اعتقد سيحفظ بعد سفره • »

قال الاستاذ **فكرى** :

« وقد ذهبت فورا الى النيابة ، وأدليت بالدفاع الذى لقننى اياه ذلك الرجل العظيم ••

وحفظت الاوراق كما توقع • »

الزعيم الرحيم

كان رحمه الله طيب النفس ، رحيم القلب الى درجة تتأثر باى مظهر من مظاهر التعاسة والشقاء • وندر أن رد سائلا أو ذا حاجة، وكان لايخلو بريد بيت الامة الصادر من احسانات واعانات تتفاوت فى المقادير ، ولا يعلم احد أخبارها غير سكرتيره • حتى قرينته الجليلة المغفور لها **ام المصريين** ، لم تكن تدرى ما تقدم يمين زوجها فى كل يوم من احسان •

وكان رفيقا بفلاحيه الزراع ،عطوفا عليهم ، سائلا عن أحوالهم فى كل فرصة • وكان يوصى ناظر زراعته أن يترفق بهم ، وأن يبدل عسر معسرهم يسرا ، وان يبلغه فى كل أوان ماذا ينبغى أن يعمله لتحسين معيشتهم •

ومن آيات رحمته وسماحة نفسه ما أذكره له فى الحادثة الآتية :

عرضت عليه يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٧ ، بين بريده ، كتابا من جريدة « منبر مصر الحر : Tribune Libre d'Egypte » لصاحبها الاستاذ **فولاد يكن** ،يطلب فيه قيمة اشتراك بيت الامة فى الجريدة عن سنة ١٩٢٧ ،وكنت قد أعطيت المبلغ الى محصل الجريدة وقدره خمسون قرشا ـ قبل عرض الطلب على **الرئيس** ،

لوثوقى بموافقتـــــه • وأبلغت الرئيس ذلك ، ولكنه فاجأنى بأن تصرف غيرجميل : «فالخمســون قرشا غير كافية،وصاحب الجريدة يطمع دون شك فى المزيد ، لانه كان يقـــول فى ماقال مالك فى الخمـــر ، ثم كتب خطابا مفتوحا يعتذر فيه عن كل ماقاله ٠٠ ! »

ثم أمرنى بأن أرســل اليـه خمسـة جنيهـــات : الخمســين السابقة ، و٤٥٠ قرشا أخرى ٠٠ وبعد أن سكت لحظات قال :

« ٠٠ انى متشائم من منح هذا المبلغ فى مقداره ، فقـد تذكرت الآن حادثة غريبة ، هى أن أحد الشعراء تقدم الى مهـديا نسـخة من ديوانه ، وكنت أعـرف رقـة حاله وضـيق ذات يده ، فادركت مايقتضيه المقام ، وفتحت الديوان ووضعت بين صـــفحاته ورقـة بخمسة جنيهات ـ نفس المقدار ـ ورجوته أن يقبل هو الديوان منى هدية ! فشكرنى فى تأثر عميق اوما هى الا أيام حتى قرأت فى احدى الصحف قصيدة لهذا الشاعر نفسه يسبنى فيها ويهجونى اقذع الهجو ! فعجبت من هذه المكافأة،ولم أدر لهـا سببـا ، مع أننى تلطفت جدا مع الشاعر، وتحرجت ان أجرح شعوره بتقديم المبلغ اليه جهـــرا ، فقدمتــــه له سرا فى سكون ! »

ثم ســكت رحمـــه الله لحظات أخرى فقال :

« ولــكن سبقت كلمتى بمنح المبلغ ، فقد خرج من ذمتى ، ٠٠ فأرسله اليه ٠٠ »

وضحك طويلا ، فقلت : « اتق شر من أحسنت اليه ! » فقال :
« صـحيح ، فقـد يصدق هـذا الانذار فى بعض الاحيان . »

سعد الوفى

١ ـ اسماعيل أباظه ٢ ـ محمد ابو شادى

٣ ـ يوسف أصلان قطاوى ٤ ـ عبد اللطيف الصوفانى

وكما كان سعد رحيما ، كان وفيا أصدق الوفاء ، فان الصفتين من امارات النفس الطيبة ، والضمير النقى الطاهر .

ونوادر سعد فى هذا الباب منقطعة النظير، ولا تحصى . فاكتفى بذكر هذه المواقف عنوانا واضحا على سجيته فى الوفاء لاصدقائه:

لاتسمح التقاليد ولا اللوائح البرلمانية بتابين اى متوفى فى الجلسة الرسمية، مالم يكن عضوا فى أحد مجلسى البرلمان ، أو رئيس دولة صديقة لهنا حقوق المودة والمجاملة . ولم يسمح سعد ، وهو رئيس مجلس النواب ، بالخروج على هذه القاعدة فى اية مناسبة ، ولكنه عقب وفاة المغفور له اسماعيل أباظه « باشا » عميد الاسرة الاباظية ، وصديق سعد القديم ، وزميله فى الجمعية التشريعية ، لم يملك زمام المبادىء والتقاليد، ازاء أسى نفسه العميق، ففاجا المجلس برثاء بليغ لهذا الفقيد ، القاه وهو اشد مايكون تأثرا وحزنا .

وكان اباظه « باشا » من خصومه السياسيين فى أدوار كثيرة، وطالما جادل سعدا وخالفه فى سياسته بمقالاته العديدة التى كان يكتبها فى الصحف تحت عنوان: « بيان لابد منه » . ولكنه كان زعيما يشار اليه بالبنان، ولا يجوز جحود فضله على البلاد ، فرأى سعد بحافز من وفائه ان التقاليد البرلمانية ينبغى أن تتسع لمثل هذا الزعيم الراحل ، فتودعه بكلمة وفاء بعد أن أتم واجبه الوطنى (١)

ولقد بلغت هذه المجاملة حدا ادهش الجميع ، ودلل بها سعد على انه خصم من طراز نادر فى كرم النفس ، وشرف الخصومة ، والوفاء للزملاء . فلم يسع افراد الاسرة الاباظية قاطبة ـ واكثرهم

خصوم لسعد على مذهب عميدهم الفقيد الراحل ـ الا أن يتوافدوا على سعد ، شاكرين له هذه التعزية الغالية التى أسر قلوبهم بها ، فكان مما قاله لهم :

« هذه ميزة المدرسة القديمة.. • العشرة عندنا فوق كل اعتبار • »

***

وفى يوم ١٩ يونيه سنة ١٩٢٤، وكان سعد رئيسا للوزارة، حضر جلسة مجلس النواب ، لاول مرة ، المغفور له الاستاذ محمد أبو شادى « بك » نائب قسم الخليفه ، وكان يبدو ضعيفا هالكا بعد المرض الطويل الذى أنهكه ، بل كان على الحقيقة فى صحوة من مرضه الذى توفى به • فدعى الى حلف اليمين الدستورية، فحلفها واهنا عييا، وانطلقت أيدى الاعضاء مصفقة ترحيبا به •

وتذكر سعد على سجيته فى الوفاء أن هذا الشيخ الفانى انما اعياه طول الجهاد من أجل سعد والوفد ، وانه كان لايبيت فى بيته ليلة الا ليبرحه فى الصباح الى احدى الدوائر الانتخابية فى البلاد النائية، على رأس دعاة الوفد • • فلم يملك سعد نفسه حتى قام يحيى صديقه القديم وزميله فى الجهاد ، فقال ، بين الفرحة واللوعة تشعان من عينيه :

« أرى قبل أن نبدأ أعمالنا أن أقدم خالص التهنئة لهيئة المجلس الموقر، ولنفسى، ولحضرة الاستاذ محمد أبو شادى (بك) على تماثله للشفاء ، فقد الم به مرض حرم المجلس منه من أول انعقاده الى اليوم • والآن وقد رايته والسرور يملأ قلبى جالسا بيننا، فانى أطلب منكم جميعا أن تشتركوا معى فى تهنئته ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن عليه بتمام الشفاء ، حتى يتم اشتراكه معنا فى خدمة البلاد • »

فلم يسع الاعضاء ، بعد تصفيق حاد ، الا أن يتناوبوا القول فى تهنئة العضو المريض رحمه الله•

***

وفى سنة ١٩٢٥ اشتد المرض على كبير من رجال الوفد ، حتى

أقعده في داره رهن النهاية المحتمة . وكان هذا الكبير محاميا عظيم الشأن، ترك مكتبه وبيته في سني الثورة ، وتنقل في البلاد مع أعضاء الوفد ورسله ، خطيبا مصقعا ، داعيا للوفد ، شارحا سياسته ، وخاصة في أيام الانتخابات ، حتى أنهكه طول النضال ، وأنذرت صحته بسوء المآل . فهل يعرف اليوم أحد أن سعدا الوفي الرحيم كان يعين صديقه وزميله المحامي الكبير باربعين جنيها في كل شهر ؟ لقد ظللت أؤدي بيدي في أول كل شهر هذه الرسالة الانسانية الوفية ، حتى قبض الله المحامي الكبير الى أوسع من الرحمة الدنيوية .

***

وكان المرحوم يوسف أصلان قطاوي « باشا » وزيرا للمالية في وزارة زيور « باشا »، فاستقال سنة ١٩٢٥ من الوزارة ، وكان موقفه حميدا مشكورا في هذه الاستقالة . وقيل في ذلك الحين أن السراي غضبت عليه لزيارته في احدى المناسبات بيت الامة، فارغمته على الاستقالة . فأرسل اليه الرئيس سعد هذا التلغراف:

(حضرة « صاحب المعالي » يوسف قطاوي « باشا »

أسفت أسفا مضاعفا لاستعفائكم، حيث حرمت الحكومة من واسع كفاءتكم ، وكان لمجاملتكم لي تأثير في قبول هذا الاستعفاء !

وكنت أود أن أشافهكم بهذه العواطف ، ولكني رأيت الكتابة بها أسلم وسيلة في الظروف الحاضرة . فأرجوكم أن تتقبلوها، كما أرجو أن تبلغوا فائق احترامي لحضرة قرينتكم الفاضلة .)

« سعد زغلول »

واحتفظ الى اليوم بمسودة هذا التلغراف ، بخط المغفور له فتح الله بركات « باشا » . ولم ينشر في أية صحيفة ، لان دقة الظروف وقتئذ لم تسمح بنشره .

***

كان المرحوم عبد اللطيف الصوفاني « بك » زميلا لسعد

ى الجمعية التشريعية وصديقا قديما ، وكان على راس نواب الحزب الوطنى فى المعارضة فى برلمان ١٩٢٤ ، وقد كثر الجدل والحوار بينه وبين سعد حين كان رئيسا لوزارة الشعب فى ذلك العهد . فلما توفى الصوفانى «بك» الى رحمة الله حزن عليه سعد حزنا صادقا ، وكان نعيه اليه مفاجأة ظاهرة الايلام.

أملى علي رحمه الله فى مساء ٢٤ مايو سنة ١٩٢٥ ، والكدر بادٍ على وجهه ، هذا التلغراف الى ابنه الاستاذ عبد العزيز الصوفانى :

« أشتد أسفى لوفاة والدكم الكريم ، الزميل القديم . فاعزيكم وجميع افراد بيتكم المجيد اجمل العزاء ، وارجو للراحل العظيم الرحمة الواسعة، ولكم الصبر الجميل » .

فجاء الرد فى ٢٦ مايو من ابنه الاستاذ عبد العزيز يقول :

«خففت تعزية دولتكم كثيرا من آلامنا ، وكانت اعظم تسلية لنا فى تلك الفاجعة . فنشكر لدولتكم من أعماق قلوبنا وبكل جوارحنا ذلك العطف الأبوى ، ونبتهل الى الله بقلوب مفعمة بالاسى ان يبقيكم مصدرا للوفاء ويمتعكم بالصحة . »

وفى مساء اليوم نفسه زار الاستاذ الصوفانى – الابن – بيت الأمة ليكرر الشكر بنفسه، وكان سعد خارجا من مكتبه معتزما الركوب للرياضة ، فسار معه الاستاذ عبد العزيز الى باب المنزل ، وكان ملخص الحديث بينهما ما ياتى :

قال سعد :

« البقية فى حياتكم . لقد تألمت كثيرا لوفاة المرحوم ، فانه كان طيب القلب جدا ، برغم كل شيء . وكان لا يتاخر عنا فى كل مهمة ، رحمه الله رحمة واسعة. وأملى انك تسير على سنته واخلاصه ، وفى بيتكم العوض »

فقال الاستاذ عبد العزيز :

« دولتك تعرف مقدار حبه لك ، وارجو الله أن ننزل عندك المكانة التى كان ينزلها والدنا . »

ثم ترحما على الفقيد طويلا فى تأثر شديد .

سعد مع ضيوفه

كان رحمه الله يحاول ببشاشة وجهه ولطف حديثه أن ينفي عن ضيوفه صفة الضيوف ، وكانوا يجلسون على مائدته فلا يلبثون أن يشعروا أنهم أصحاب البيت : وعلى الرغم من أنه كان يأكل طعاما خاصا قليل المقدار ، فانه لم يكن يغادر المائدة الا آخرهم ، فيظل يتعهد هذا ويدعو الى الاكل ذاك ، ويمازحهم بالاقاصيص ، ويناقشهم فى مسائل اليوم .

وكانت الوفود تزوره أثناء اقامته فى **مسجد وصيف** ، تفد اليه من شتى البلاد المجاورة ومن أقاصيها ، فيولم لها الولائم كل يوم . وكان من أبرز الوفود الاسرة **الاباظية** ، وديارها قريبة من **مسجد وصيف** ، فكانت ترعى الجوار وتنسى الحزبية . ومن اظرف ما أذكره ان الاستاذ **فكرى** أباظة افرط يوماً فى التهام « **الفتة باللحم المسلوق** » ، وكانت أكلة شهية ، فاسترعى نظر **سعد** فبادره بقوله بين ضحك الضيوف ومرحهم :

« كل . كلْ . ان شاء الله يطمر فيك ... »

وكان **سعد** فى مسجد وصيف يحتل مكان الابوة من ضيوفه .

وقد بنى فى عاميه الاخيرين ، بجوار داره هناك ، دارا جميلة صغيرة ، خصصها للضيافة ، يبيت فيها الضيوف ويستريحون . وكان يسهر على راحتهم ، ويسألهم كيف ناموا ، وكيف تنزهوا ، وماذا حدث بينهم من مداعبات وفكاهات ، ويشترك معهم فى أسمارهم ، وينظمها بنفسه . وحين يصبح الصباح يستشيرهم : ماذا يريدون اليوم من طعام ؟

وكان فى ضيافته ، فى رحلته الاخيرة الى مسجد وصيف سنة

١٩٢٧ ، المغفور لهم : «النقراشي» باشا » ، «وفخرى عبد النور » بك » ،والدكتور«محجوب ثابت»،وحافظ ابراهيم » بك » شاعر النيل ، وعبد الله سليمان أباظه» بك » عضو مجلس الشيوخ٠٠ وآخرون ٠

واذكر ان الرئيس بعثنى الى القاهرة فى رسالة خاصة ، واحضر لى أحد الخدم سيارة اجرة أنزل بها واعود .

وكان من بين الضيوف الذين جاءوا أمس صديقى المغفور له الشيخ عبد العزيز البشرى، فطلب منى أن ينزل معى فى السيارة ، فوافقت مسرورا بزمالته وركبنا، وبعد مسيرة مرحلة أغرانى الشوق الى القيادة على أن أطلب من السائق تخلية مكانه لى ، ففعل ٠ وكانت سيارة كبيرة قديمة من سيارات الريف ، فلاقيت بعض العنت فى قيادتها ، وأخذت نفسى بأن أسير على مهل ما استطعت ، وكان الطريق ممتدا بين أرض زراعية منخفضة الى اليمين ، وترعة كبيرة الى الشمال ٠ فلاحظت على مدى قليل من الامتار أن جملا يقف فى أسفل الارض على مقربة من الطريق ، فأنذرت مرتين بالنفير كى أنبه صاحب الجمل ان كان يزمع الصعود الى الطريق ،ولكن صوت النفير كان ضخما مزعجا ، فاضطرب الجمل وهاج، ولم يظهر له صاحب ٠ وما لبث أن صعد الى الطريق قفزا فى البقعة التى أجتازها ، فصدمته السيارة وبرك أمام مقدمها قبل أن أستطيع تفادى المفاجأة ، ووقفت السيارة .

كان الزميل الشيخ عبد العزيز البشرى رحمه الله جالسا فى المقعد الخلفى ، وكان يجاذبنى الحديث من آن لآخر ، مبتهجا مشروح الصدر ، فلما حدث التصادم هزنا هزا عنيفا ، فصرخ الشيخ بأعلى صوته يستغيث بى، فلحقت به فى مقعده ، وحاولت أن أبعث الطمأنينة الى نفسه ، وأن أفهمه أن الحادث لا يوجب هذا الانزعاج ، ولكنه كاد يغيب عن وعيه ، وظل يناشدنى أن أعنى به وأن أطمئنه على نفسه ، وهو يردد فى عبارات جازعة هالعة : « بالله هل أنا حى ؟ هل وقف نبضى ؟ هل يدق قلبى ؟ هل تكسرت أعضائى ؟ » !!وكان رحمه الله فى استغاثته ، كالعهد به ، أديبا ظريفا ، يتخير الالفاظ التى تسيل رقة وعذوبة ٠

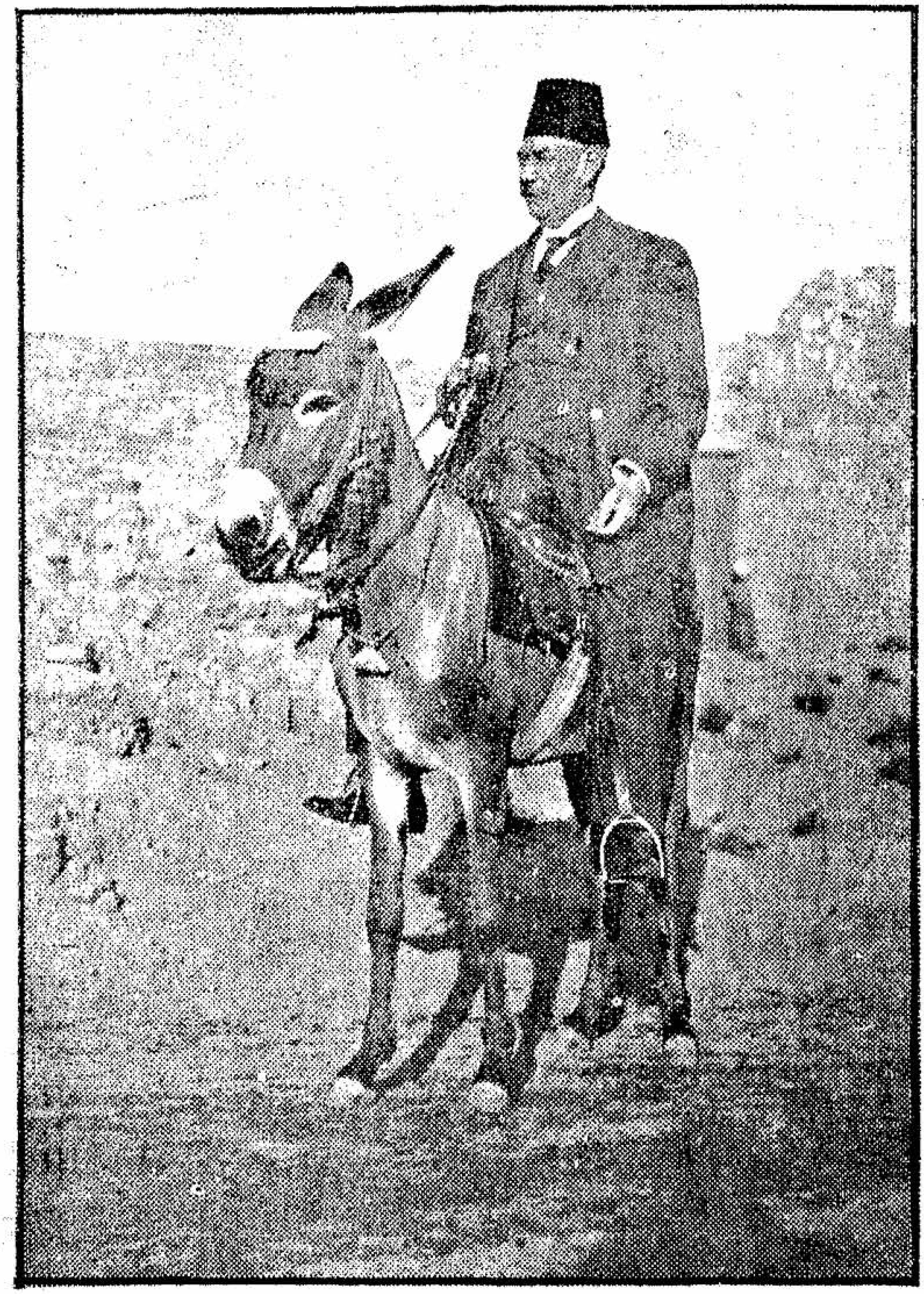

سعد فى نزهته الريفية بمسجد وصيف

ولم استطع ، بعد أن اطمأننت على صديقى وعلى بساطة الحادث ، الا أن ضحكت ملء فمي ، وشر المصائب ما يضحك !

ومكثنا نحو ساعة فى الطريق ننتظر ، حتى أقبلت علينا سيارة قادمة من مسجد وصيف ،فركبناها مع ركابها ، بعد أن ارضيت صاحب سيارة الاجرة بستة جنيهات تعويضا له عن تلف خزان الماء وتكسر الرفارف والمصابيح الامامية ، وعن أجر الركوب •

ومن العجيب أن الجمل لم يصبه أدنى جرح ، ولم ينزعج مثل صديقى أى انزعاج ، بل ظل باركا امام السيارة لا نرى له صاحبا ، ولا هو يريد الرحيل •فتركناه الى عناية السائق يسلمه الى صاحبه •

***

أعود الى الحديث عن الرئيس سعد مع ضيوفه :

قلت ان المغفور له الدكتور محجوب ثابت كان بين ضيوف سعد بمسجد وصيف فى رحلته الاخيرة اليها ، وأقول ان الدكتور كان محور أنس الجماعة • ولم يكن انسان ليجادل فى أن الدكتور محجوب خفيف الروح على كل نفس ، فلا اذكر أن ساعة انقضت فى مسجد وصيف فى تلك الايام دون ضحك ومرح وفكاهة • وكان الرئيس زعيم السامر فى وقار واحتشام ، وكان الاستاذ النقراشي مؤلف المؤامرات ومخرجها ، جاعلا بطلها على الدوام الدكتور محجوب ثابت ••عليهم جميعا رحمة الله • وكان سعد يضحك حتى تغرورق عيناه بالدموع ، وكان يقول :

« ضحكنا كثيرا فاللهم اجعله خيرا » ! وكان احساسا داخليا كان ينطق لسانه بهذا الدعاء ،فقد قدر له الله أن يختاره بعد أيام لا تبلغ الاسابيع ، اذ بدأ فى تلك الفترة مرضه بظهور الالتهاب البسيط فى داخل أذنه اليمنى وفى ظاهرها • ومن مواعظ القدر أنه أحس رحمه الله بهذا الالتهاب الذى قضى بدائه ، وهو فى مجلس ضيوفه أولئك ، يبادلهم مسراتهم ومداعباتهم ، ويشرف على أنسهم وحبورهم !!

رحلة البــاخرة محاسن
ضيوف سعد فى الرحلة
الدكتور محجوب ثابت والوزارة

رغب سعد رحمه الله فى عام١٩٢٦ أن يقوم برحلة فى النيل الى بلاد مديرية الجيزة ، ترويحا للنفس ، واستردادا للنشاط . فاعدت الباخرة « محاسن » لهذه الرحلة ، فقامت بركابها فى يوم الاربعاء ٤ مايو سنة ١٩٢٦ .

وقد أدركت من استعراض أسماء الضـــيوف الذين دعاهم سعد رحمه الله الى مصاحبته فى هذه النزهة أن مفاجآت ومؤامرات سارة ستحدث فيها ، فقد كان الدكتور محجوب ثابت رحمه الله فى مقـدمة المدعوين ، وكانت دعـــوته بوحى من المغفــور له الاستاذ محمود **فهمى النقراشى** الذى كان لايهنأ له مجلس انس الا اذا كان الدكتـــور **محجوب** واسطة عقده . ولهـذا أعددت أقلامى وأوراقى لأسجل الفصول الممتعة التى يزمع الاستاذ **النقراشى** أن يخرجها على **الباخرة** !

وكانت الوزارة القائمة فى ذلك العهد هى الوزارة **الائتلافيـــة** الاولى برياسة المغفور له **عـدلى يكن** « باشا » وكان منصب **وزير** الصحة شاغرا ، والمعروف حينئذ أنه لابد من استشارة **ســـعد** زعيم الائتــلاف فيمن يشغله . وكان معروفا أيضا أن **الدكتــور محجوب ثابت** شغوف كل الشغف بمنصب الوزارة ، وانه يرى نفسه أحق بمنصب وزير الصحة الحالى من أى مرشح : فهو أولا وفدى صميم من انصار الوفد اللامعين ، وهو ثانيا كفء قادر بفنه ودراسته وتجاريبه ، فلامناص من أن يطمع فى هذا المنصب طمعا مشروعا ،

الزعيم وأمير الشعراء احمد شوقى

ولاسيما أنه لم يكن بين الوفديين في ذلك الحين عدد كبير من الاطباء الظاهرين ذوى الحيثية . فكان امله فى الوزارة متجـددا على الدوام ، حتى قبـل ان يخلو منصب وزير الصحة ، لسبق جهـاده فى الحركة الوطنية ، ولفرط اخلاصه للوفد ورئيسه.

هذه مقدمة لابد من ذكرها قبل ان أنقل من مذكراتى ماسجلته عن حوادث هذه الرحلة وأحاديثها:

***

الاربعاء ٤ مايو سنة ١٩٢٦ :

تناول **الرئيس** غداءه فى **بيت الامة** ، ثم قصـد الى الباخرة « **محاسن** » عقب الغداء ، قبل ضيوفه ، فنام فيها نومه اليومى العادى . وبدأ الضيوف يفدون على الباخرة منذ الساعة الثالثة بعد الظهر، وكان يستقبلهم فيها وزير الاشغال يومئذ **عثمان محرم** « باشـا » ووكيـل الوزارة وسكرتيرها . ولم يحضر كثير من المودعين لان الرئيس امر بكتمان خبر السفر ، وأذكر ممن حضروا الاستاذ **على الشمسى** « باشا » وزير المعارف فى الوزارة، والمغفور له **احمد شوقى** « بك » أمـير الشعراء .

وفى منتصف الساعة الرابعة اقلعت الباخرة بركابها من مرساها بجوار كوبرى قصر النيـل فى طريقها الى مديرية الجيزة . وقد دعا **الرئيس** الى هـذه الرحلة حضرات : **واصف غالى** « باشا » والدكتـور **حامد محمود** ، والدكتور **حسـن كامل** « بك » والاستاذ **النقراشى** ، والدكتور **محجوب ثابت** ، **وفخرى عبد النور** « بك » ، **وعبد الله سليمان اباظه** « بك » والاستاذ **طاهر اللوزى** ، والاسـتاذ **عبد الرحمن عزام** ، وسكرتير **سعد** .

ولم يدرك الاسـتاذ **عـزام** الباخرة فى موعد اقلاعها ، فلحق بها عند كوبرى عباس ، وانضم الى ركابها .. وسبقنا الى هـذا الكوبرى **عثمان محرم** « باشـا » **والشمسى** « باشا » فحييا من أعلاه ضيوف الباخرة .

وتأخر عن موعد الباخرة ايضا « الاوسـطى » **بدران** طاهى الرئيس ، وكان يعد ادوات المطبخ ، فتركنا له رفاصا ، وانتظرته

الباخرة تحت مستشفى الدكتور رانز نحو ربع الساعة . وكان في خدمة الرئيس في هذه الرحلة « مدموازيل فريدا » الوصيفة الخاصة ، ووالدتها ، والحاج احمد عثمان خادم الرئيس الخاص عليهما رحمة الله .

***

وأذكر في هذه المناسبة أن « مدموازيل فريدا » كانت المشرفة على صحة الرئيس والمكلفة تقديم الادوية اليه في مواعيدها . وكانت دقيقة مخلصة في أداء مهمتها ، فاذا جاء موعد الدواء لم تبال أي انسان او عمل يشغل سعدا ، ودخلت عليه مكتبه او حجرته وقدمت له الدواء . وكان في بعض الاحيان يستمهلها باشارة أو بكلمة ، اذ يكون مشغولا بحديث هام ، فتنتظر ، ولكنها لا تلبث أكثر من دقيقة حتى تقدم له الدواء بحركة خاطفة لا تجعله يستطيع التملص من الامر الواقع ، فيتناول الدواء ، وقد يكون على مضض أو تبرم ، ولكني لاحظت في كل مرة أنه كان دائما على أدب رفيع معها ، وكان يطيع بطاعتها أوامر أطبائه التي كان يحلها في نفسه مكانة التقديس .

وفي هذه المناسبة ايضا أذكر ان سعدا تعلم اللغة الالمانية بمساعدة « مدموازيل فريدا » منذ عام ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، وكان يقرأ عليها كتب اللغتين الالمانية والانجليزية ، فتصحح نطقه ، وتساعده على فهم الاساليب . وكان رحمه الله حفيا بقصاده من الالمان أو الانجليز ، فكان يقابلهم مهما كان لديه من العمل ، ويحادثهم على قدر جهده بلغتهم ، ليستزيد من المران عليها ، ولا يجد غضاضة في أن يخطىء التعبير او ان ينبهه احد الى خطئه ؛ وكان يمزج كلامه في هاتين اللغتين بالنكات الطريفة ؛ والمداعبات التي تجمل خطاه فيهما ، وتملأ نفس محدثه بالسرور .

وقد لازمت هذه الآنسة أم المصريين بعد وفاة سعد ، ملازمة الظل ، فلما اختارها الله الى جواره وجوار زوجها الحبيب ، عينت « مدموازيل فريدا » أمينة على « متحف بيت الامة » .

وكان ذائعا مشهورا أن اخلاص هذه الآنسة الالمانية لسعد ولام المصريين اخلاص منقطع النظير .

***

امتلأ جو هذه الرحلة ببشاشة وسرور ليس وراءهما مزيد. وكان **سعد** رحمه الله هو المساهم الاكبر فيما تجلى فى الرحلة من انس وبشر .

فلما استيقظ من نومه الخفيف ، أرسل من حجرته يسأل : هل حضر جميع المدعوين ؟ فلما علم أن عقدهم قد انتظم دخل عليهم القاعة الكبرى فى الباخرة، فرآهم يلعبون النرد (**الطاولة**) فبدا عليهم شيء من الحرج ،ولكنه فاجأهم بقوله : « لقد أحسنتم صنعا باحضار (الطاولة) ، فقد خطرت ببالى الآن وأنا فى غرفتى ، وخشيت ان يكون الخدم قد نسوها . » ثم طلب اليهم أن يستمروا فى لعبهم ، لان المقصود من هذه الرحلة الرياضة والتسلية ،فاجتمعوا حوله ، واقترح عليهم أن يتناوبوا اللعب جميعا ، كل فى دوره. فاقترعوا بطرح الزهر على اى اثنين يلعبان أولا ،فأسفرت القرعة عن **الرئيس** والدكتور **حامد محمود** ، فلعبا ، فكانت **الغلبة** للدكتور ، مع أن الرئيس مشهود له بالبراعة فى لعب النرد . فضحك **الرئيس** عقب الدور ضحكة المغلوب ، وقال للدكتور : « **لو ذات سوار لطمتنى** » ! فحملق الدكتور **حامد** فى وجوهنا ليفهم المغزى ـ لانه بحكم ثقافته الانجليزية الرفيعة لايجيد فنون اللغة العربية .. فضحك الصحاب ضحكا عاليا ،وارتبك الدكتور ، واحمر وجهه ، على الرغم من أنه فى موقف الغالب المنتصر ! وقال الاستاذ **النقراشى**: « لن يترك الدكتور **حامد** الاستاذ **الجزيرى** هذه الليلة حتى يفسر له معنى هذا المثل ! »

ثم صاروا يتداولون اللعب ،اثنين اثنين ، يقوم المغلوب ويبقى الغالب بحسب ترتيب القرعة ،وسألهم **الرئيس** اخيرا عن الموعد الذى يريدون فيه شرب **الشاى** ،فاقترحوا منتصف الساعة

السادسة ، وانتقلنا فى الموعد الى غرفة الطعام ، فشربنا الشاى ، وأكلنا حاشيته من الفطائر اللذيذة ، وجرى وقتئذ حديث طريف كان الدكتور **محجوب ثابت** بطله ومحور فكاهته •

وكانت **الباخرة** فى مبدأ قيامها تسير مسرعة ، فاشار **الرئيس** بأن تسير على مهل ، لان الرحلة الى غير جهة مقصودة ، فلا داعى للعجلة • وكان اليوم صاحيا جميل الجو ، وكان **الرئيس** على أوفى صحته وعافيته ونشاطه ، ذا شهية مقبلة على الممازحة وأحاديث اللهو والمرح •

***

على مائدة الشاى :

كان الدكتور **محجوب** رحمه الله فاكهة المائدة ، ونحن نشرب الشاى • وهو يميل بطبعه الى الدعابة وأحاديث السرور ، ولاصدقائه شغف عظيم بمداعبته ومضاحكته ، فى احترام واجلال ومحبة ، وكان لايهنأ له بال الا اذا هيأ لهم أسباب مسراتهم ، وحقق لهم مايبتغون من الانس به •

الدكتور محجوب والوزارة :

ولم يطل الانتظار ، فما هى الارشفات رشفها الفتيون من آنية الشاى ، حتى بدأ **المخرج** العظيم يحرك **ابطال** روايته • وكان الدكتور يمنى نفسه دائما بمنصب **وزير الصحة** ، وكان المنصب خاليا ، وكثيرا ما أوحى أصدقاء الدكتور اليه أنه أجدر الوفديين بهذا المنصب ، فكانت الدعابة تدور دائما بينه وبينهم حول هذا الموضوع الحبيب الى قلبه :

النقراشى : الاحظ أن الدكتور محجوب مهموم وآسف على ضياع مركزه فى الوزارة •

الدكتور محجوب : قد قطعنا الامل يانقراشى ، ويظهر أنكم لاتصدقوننى !

سعد والنقراشي والدكتور محجوب

الرئيس سعد (متجاهلا) :في أى شيء تتكلمون ؟ أشركوني في حديثكم فلا علم لى بشيء !

النقراشي ـ المسألة يا « دولةالرئيس» أن أهل السياسة العليا كانوا يتفاوضـــون مع الدكتـــورمحجوب أيام الازمة الوزارية ليقبل منصب وزير الحربية •

محجوب : يقينا يامولاى **الرئيس** لم يتفق لى علم شيء ، لانى كنت أيام الازمة فى لجنة التوفيق فى الاسكندرية ••

(والذين أنسوا بصداقة الدكتور **محجوب** يذكرون أن كلمة « **يقينا** » كانت من لوازمه فى كلامه ، وكذلك كلمــة « **حقيقــة** » وغيرها منالكلمات ذوات القاف•)

النقراشي : نعم ، ولكنك كنتعلى صلة تامة بأعــوانك فى مصر ووصلك منهم تلغراف يقول:« انالاخبار سارةواحضر بأول قطار»!

محجوب : (رافعا يديه الى الرئيس) والله ياباشا كانت مؤامرة طبخها **النقــراشي وفخــرى عبــدالنور** •

فخرى بك : لاتقل مؤامرة ، انى حــدثتك بالحقيقــة ولا علم لى بشأن **النقراشي** معك •

الرئيس : ماذا حدثته به **يا فخرى** « بك » ؟

فخرى بك : فى أيام الازمة ،قلت له أن بعض أصحابك الذين يعرفون قدرك رشــحوك لوزارةالصـــحة ، وعلمت أن الدكتور **شـــاهين** باشــا (وكيل الصحةيومئــذ) قال : « لا أقبل **حافظ عفيفى** وزيرا ، لان هواى ليس معالدســـتوريين ، وان كان لابد من الدكتـــور **حسن كامــل** بك فانىأقبل العمل معه لانه أســـتاذى وأكبر منى ســـنا • أما الدكتور**محجوب** فانى أقبله وزيرا للصحة بكل سرور لانى أحبه وأثق بكفاءته ومقدرته الفنية • »

محجوب : (يمسح شفتيه بلسانه) **يقينا** يا « باشا » قلت فى نفسى لابأس من قبــــول وزارةالصحة • أما الحربية فماذا أعمل فيها ؟

الرئيس : بالله يادكتور **محجوب** ، حدثنـــا عن ذات صدرك فى ذلك الحين ، وماذا كانت آمالك ؟

(احرنج الدكتور **محجوب** وتطلع اليه الجميع ينتظرون) !

محجوب : والله يامولاى ترددت كثيرا ، لانى قلت فى نفسى أن **الوزارة** ستحرمنى من الجلوس على « **قهوة الشيشة** » كعادتى •

النقراشي : ومن مناكفة بائعى **الجرائد** أيضا !

محجوب : حقيقة يانقرش ،فانى انتظرهم كل ليلة لاشترى منهم الجرائد ، ثلاثا أو أربعا بقرش •

الرئيس : هل هذا هو المانع فقط ؟

محجوب : ويامولاى **الرئيس** ،تضطرنى الوزارة الى السكنى فى بيت أنيق أو مايسمونه **(فيلا)** ،وأدفع أجرة عشرين جنيها شهريا على الاقل •

الرئيس : ثم ماذا ؟

محجوب : آه ! والملابس الرسمية ، فسأدعي فى كل ليلة الى حفلة ساهرة ، وأخنق نفسى (بالقلع)واللبس ، وأنا رجل تعودت العيشة السهلة •

الرئيس (مبتسما) : ليس فى هذه الاسباب ما يمنع ، لان الذى يعرض عليك الوزارة يعرف طبعا أنك نائب العمال ، وأنك مضطر لان تكون دائما على صلات بهم •ونحن فى عهد ديموقراطى ، فماذا يمنع من جلوسك وأنت وزير على **(قهوة الشيشة)** أو **(صولت)** !

النقراشي : مع أنه اشترط تسمية وزارته باسم وزارة الصحة **والعمال** •

محجوب : يقينا لانى منهم وانتخبت على أكتافهم •

الرئيس ـ ثم التكاليف الرسمية ليست سببا هاما •

محجوب : يقينا ياباشا ! لكننى ترددت كثيرا فيما بينى وبين نفسى •

الرئيس : تعنى لو أن **الوزارة** عرضت عليك على ألا تجلس فى **قهوة الشيشة** ، أفكنت ترفضها وتؤثر عليها الجلوس فى القهوة ؟

محجوب : نعم يخيل الى ذلك ،لان الوزارة ستعتقلنى طول النهار بين أربعة حوائط ! ثم أقضى الليل فى بيتى كذلك ! ليس فى هذه العيشة مايرفه أو يسلى ! نعم عندى « **شيشتى** » فى البيت ، ولكنها فى القهوة لها كل معانيها •

النقراشي : ولا تنس مناكفة بائعى الجرائد •

محجوب : آه منك **يانقرش** !

الرئيس : ومتى تبتدىء هذه المناكفة يادكتور ؟

محجوب : (يبطىء فى الجواب ويحمر وجهه) حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، ولكن هذه **يانقرش** ليست شهوة هامة ، اذ يمكنني وأنا وزير أن أزيدهم قرشا أو قرشين •

الرئيس : أظن أنه لايحق لك أن تمتنع عن قبول الوزارة لمثل هذه الاسباب ، وانا أنصح لك بقبولها حتى تعرض عليك •

(فضحك الجميع ، ولكن سرعان ماتكاتموا الضحك حتى لايظن الدكتور أن الامر هزل ••)

• • • • • • • • • • • • • •

وهكذا اعتقد **الدكتور** أن فى المسألة جانبا كبيرا من الحقيقة ، ولمع له خيال الماضى القريب ، فلمحنا على جبينه تكسرا دل على انزعاج نفسه وحسرته على خيبة أمله • ولكنه مالبث أن أبرقت أسارير وجهه وابتسم ابتسامة فيها شىء من الاستحياء ، ثم أحسن وضع طربوشه وسوى جاكتته وياقته ، فحسب الجميع أحسن حساب ماجال أخيرا بخاطر **الدكتور** ، وأدركوا أن أمله فى الوزارة قد تجدد وقوى ، لان **وزارة** الصحة لم يسبق السيف فيها ، ولم يبد **الرئيس** اعتراضا على ترشيحه لها ، بل هو نصحه بالقبول !

* * *

وعند فراغنا من **الشاى** كانت الباخرة تسير حذاء مدخل « المعصرة » فانتقلنا الى سطحها ، حيث استأنفوا لعب **النرد** ، وانتحى بعضهم ناحية يلعب **الشطرنج** ، ومن لم يشترك فى اللعب كان يتسلى بالنظر أو بأحاديث السمر •

وفى الساعة السابعة مساء ، رست الباخرة فى مياه « حلوان » على مقربة من يخت الملك « **قاصد خير** » •

ولما حل موعد العشاء ، تعشى الرئيس فى حجرته ، وتعشينا نحن فى حجرة الطعام • وكانت جلسة العشاء أقل نشاطا فى المزاح من جلسة الشاى ، ولعل ذلك لغيبة **الرئيس** عنها ، فلم تتوجه

الميول الى ما تتوجه اليه من ارادة المزاح وقت حضوره ، ترويحا له وترفيها عن نفسه .

بدأ الحديث على مائدة العشاء بمناقشات طبية بين أطباء الرحلة الدكاترة : **حسن كامل «بك» ، وحامد محمود ، ومحجوب ثابت** ، وتدخل فيها أحيانا الاستاذ **النقراشي** قصدا الى مداعبة الدكتور **محجوب** . ثم انقضى أكثر الحديث في وصف بقاع فلسطين ولبنان وسوريا ، وكان يتناوب حديث الوصف الدكتور **محجوب ثابت** والاستاذ **طاهر اللوزى** .

وعرفت في هذه الجلسة أن الدكتور **محجوب** أدى فريضة الحج ، ولذلك وجب أن نضم الى القابه لقب « **الحاج** » ، فيكون اسمه يومئذ مع القابه : الاستاذ الدكتور النائب المحترم الحاج محجوب ثابت !!

انتقلنا بعد تناول العشاء الى صالون **الرئيس** وطالت السهرة الى مابعد منتصف الليل ، فقمنا للنوم ، وكانت الباخرة راسية في مياه جزيرة البدرشين .

***

الخميس ٥ مايو سنة ١٩٢٦ :

استيقظنا مبكرين ، وتناولنا طعام الافطار جماعات ، وفي الثامنة صباحا استأنفت الباخرة سيرها .

وقد بدا **الرئيس** مسرورا جدا من جمال الجو وتمام الهدوء والسكون ، وماهي الا لحظة أبدى فيها **الرئيس** ارتياحه الى هذه الحالة حتى طلعت علينا وفود المراكب من كل جانب ، وأحاطت بالباخرة تسايرها ، وقد امتلأت بفلاحي البلاد التي نجرى في مياهها . وظلوا يحاذون **الباخرة** ويتابعونها ، وهي تسير رويدا رويدا ، ويتبعهم على الشاطىء صفوف متلاحقة من الاهلين . وكان الجميع يهتفون **للرئيس** وصحبه ولنائبهم ، ويسألون الله بدعوات حارة أن يتم على **الرئيس** الصحة والعافية . وما زالوا يلحون في وقف الباخرة حتى وقفت بين « التبين » من جهة

الشرق ، والشوبك الغربي من جهة الغرب ، وبقينا نحو الساعة بين أصوات الهتـاف العالية . وحضر في هذه الوقفة « النائب المحترم » محمد عزام « بك » نائب دائرة المعصرة ، والشيخ عبـد الغفـار عزام عمـدة الشوبك الغربي ، فزارا ركاب الباخرة ، ومكثا فيهـا الى أن نزلا في الشوبك الشرقي .

وعلى هذه الصورة استأنفت الباخرة سيرها ، ولاحقتها المراكب في النيل والصفوف على الشاطىء الى مدى بعيد ، وهي تهتف بأعلى أصواتها : فليحي سعد « باشا » زغلول . ليحي زعيم الامة . ليحي المجاهد عن الامة . أتم الله صحتك يا سعد . ...

سرنا الى أن وصـلنا بلدة الشوبك الشرقي ، وكان الخبر قد بلغها ، فاستقبلنا أهلوها على الشاطىء بالهتاف العالي المتصل ، وأرغمونا بنـداءاتهم من الاعماق على الوقوف امام بلدتهم ، فوقفنا ، وخطب أحدهم - وكان الرئيس مع ضيوفه في احدى الحجرات - فأبلغته رسـالتهم ، فكلفني أن أبلغهم عظيم شكره ، وانه كان يود رؤيتهم والحديث اليهم لولا خشيته من التعرض للجو ...

ثم أراد الرئيس ممـازحة الدكتور محجوب ، فطلب اليه أن يقـوم فيخطبهم ، على أن يرفع صوته ليسمعه ، فامتثل ، وكان على الدوام ذا شهوة خطابية ، ثم انثنى يبحث عن طربوشـه فلم يجده ، ولم يتـذكر أين تركه ، فاستعار من فخري عبـد النور « بك » طربوشـه ، وخرج الى سـطح البـاخرة ، حيث قدمه الاستاذ النقراشي الى اهالي البلدة بكلمة لم تخـل من الدعابة التي لا يعفيه منها في أي ظرف .

واستأنفت الباخرة سـيرها ، وهم يهتفون : « ليحي سعد » ، بلحن يشبه لحن الأذكار ، وظلوا يودعوننا الى مدى بعيد .

***

عاد الصحاب منذ الصباح الى لعب النرد كما فعلوا بالامس . وتابعت الباخرة سـيرها ، حتى وصلنا بلدة « المسـاندة » من « دائرة العياط » في السـاعة الثانية مساء ، فخرج الينا أهلوها صغارا وكبارا ، وظلوا يجرون مع الباخرة على الشاطىء مسافة طويلة جـدا ، كانوا يخوضون أثناءها في الماء ، وهم يهتفون

هتافا عاليا متصلا ، حتى اذا بلغنا« هويس العيـــاط » لم يمكنهم الاستمرار فى الملاحقة •

***

دخلنا لتناول الغداء ، ومررنا فى الاثناء على طلمبـات الصف ، فاستقبلنا هناك جمع غفـير من أهالى البلدان المجاورة • ويظهر أن جريدة **الاهرام** وصلت الى تلك البلاد قبلنا ، وفيها أخبار الرحلة، فكنا كلما تقدمنا وجدنا الجموع على الشاطئين فى انتظارنا •

ولم يكن غداء اليوم حافلا بمثل ما دار أمس من حديث اللهــو والمتعة ، واقتصر الكلام فيه على سؤال وجواب قصــــيرين بين **الرئيس** والدكتور **محجـوب** عن المرغبات فى **الوزارة** والمنفـرات منهـــا ، وعلى دعاية سيئة من الاستاذ **النقراشى** حول مسـاومة **الدكتور** لسائق عربة الاجرة !!

وعند انتهائنا من الغـداء فى الساعة الثالثة كانت البـــاخرة ترسو امام « جزيرة فيشر » ، وهى فى وسط النيل ، وكلها حدائق غناء ، وقد ثبتت شواطئها من كل جانب بالاحجار المرصوصـة المحكمة الاوضاع ، وامتـــلأت بالفلاحين يهتفون ويصـفقون •

أوى **الرئيس** الى حجرته لينام • ونزل الاستــاذان **النقراشى** وعبـــد **الرحمن عزام** فى مركب صغير الى الواقفين عـــلى شاطىء الجزيرة ليحيياهم وليشكرا لهـــم حسن استقبالهم ، فوجداهم قـد حملوا معهم خـــرفانا ودجاجا وكثيرا من الهدايا وأصناف الطعام التى تكفى جمعا كبيرا لزمن طويل،فاعتذرا لان عندنا الكفاية وزيادة، فلم يقبلوا العذر الا بعد جهـــد عنيف ، وتلك تقاليد فلاحينـــا الكرام •

ولم ير الدكتـــور **محجـوب** صديقيه عند نزولهما الى الجزيرة، فانتهز **فخرى عبد النور** « بك »الفرصة للوقيعة، وقال للدكتور:

« أنظر ماذا فعل **النقراشى** !تركك وأخذ معه **عبد الرحمن عزام** ليستأثرا بمقابلة أهـل الجزيرة والخطابة فيهم ! » • • فقـــال الدكتور **محجوب** :

« يقينا يا سيدى !!

واذا تكون كريهـــة أدعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

هــكذا يا ابن نقرش ، تخص نفسك بالاستقبالات والحفاوات والأبهات !! »

وقضينا مســاء الخميس في اللعب والحديث ، وعاد الاستاذ **واصف غالى « باشا »** فى هــذا المساء الى القاهرة •

***

الجمعة ٦ مايو سنة ١٩٢٦ :

صدر الامر الى الباخرة أن تعود الى القاهرة ، فشرعت فى الساعة الثامنة صــباحا تعود أدراجها ،وكان الجو جميلا بديعا ، وكنــا نسير على مســـافة قريبة من الشاطىء ، ففوجئنا فى منتصف الساعة العاشرة بما عكر **مزاج** الرحلة !

لقد اغترزت البـــاخرة فى الوحل ، فى مــكان لايعلوماؤه ، وشمر البحارة عن ســـواعدهم يعالجونها فلم يفلحوا • وأدركتنا فى الساعة العــاشرة باخرة من بواخر الركاب التى تسير بــين مصر القديمة والبلدان القبلية ،فحاولت نحو ســـاعة أن تجر باخرتنا من مأزقها فلم تنجح ،وانقطعت الحبال مرتين ، وكان **فخرى عبد النور** « بك » يشجع البحارة ورجال الباخرة بقوله : « اقرأوا **الفاتحة** يارجال ! قولوا **يا سيد يا بدوى** ! هيا أبطال ! »

واخيرا شكرنا للباخرة القادمة حسن صنيعها ، فأخذت طريقها على أسف وألم من ركابها !

كنا فى مياه بلدة اســمها« **نزلة عليان** » ، فقصد اليهــا **الاســتاذ النقراشي** فى مركب صغير ليتكلم من تليفون عمدتها مع **وزير** الاشــغال ، ولكنه لم يستطع الا الاتصال التليفونى مع مدير الجيزة ، فرجاه أن يبلغ الامر الى الوزير •

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر اقبلت باخرة أخرى من بواخــر الركاب ، اسمها « بركة » ،وحاولت كسابقتها زحزحت باخرتنا من مغرزها ، فعجزت •

وفي منتصف الساعة الثانية جاءتنا النجدة ، فقد انتشر الخبر فى « نزلة عليــان » بعد ذهاب الاستاذ **النقراشي** اليها ، فتنادى أهلوها لاغاثتنا ، وسارع منهــم نحو مائة من الفلاحين الاشداء فى

مركب شراعي، ومعهم بعض رجال البوليس . ولما صاروا منا على مائتي متر تقريبا ، هتفوا من أعماقهم : « ليحيى سعد «باشا» ليحي رئيس الامة » .. ثم نزلوا من مركبهم يخوضون في ماء النيل الى أن وصـــلوا الى باخرتنا ، فشرعوا يعالجون زحزحتها بأيديهم وبأكتافهم ، هم من جانب ورجال الباخرة « بركة » من جانب آخر، ومازال الجميع في جهادهم وعنائهم يهتفون بنغم مؤثر: « يحيى سعد على بركة سعد » ، حتى تحركت الباخرة من مكانها . وكنا جميعا نشجعهم ونمدح همتهم ومروءتهم وشهامتهم ، أثناء بلائهم الشاق، فلما أتموا صنيعهم الجميل ، أطل عليهم سعد وهم خائضون تحت الباخرة في الماء يهتفون له هتافا حارا متصاعدا الى عنان السماء ، فحياهم بكلتا يديه تحايا متكررة، فيهـا كل الشـكر والاعتراف بالفضل .

ولاأزال أحتفظ في مذكراتي باسمي رجلين من هؤلاء الابطال، يسرني أن أنوه بهما بعد طول العهد :

الشيخ **فيصل عليان** ـ عمدة نزلة عليان .

الصول **فرج البلوى** ـ صول نزلة اخصـــاص التابعة لمركز الصف .

وبعد أن قام هؤلاء **الفلاحون** الكرام بنجدتهم ، ركبوا مراكبهم، وظلوا يدورون حول « **محاسن** » وهم يهتفون :

« ليحى **سعـد** . ليحي منقذ البـــلاد . ليحى رئيس مجلس النواب . ليحيٰ زعيم الامة .. »

وبعد الساعة الثانية بقليـــل جاء نارفاص صغير لوزارة الاشغال، اسمه «دبور» وفيه بعض موظفي الوزارة ، فشكرنا لهم مبادرتهم ، فقفلوا راجعين وهم يهتفون **لسعد** هتافا طويلا .

وهكذا استأنفت الباخرة سيرها في منتصف الساعة الثالثة، فدخلنا غرفة الطعـــام لنتناول الغداء .

واقتصر حديث الغـداء أيضا عـلى ماأذاعه الاستاذ **النقـراشي** من أن الدكتور **محـجوب** يحسد شوقي أمير الشعراء على حفلات التكريم التي تقام له ، وعـلى مقارنة بين **شوقي وحافظ ابراهيم** والدكتور **محجـوب** ، ومفاضلة بين **محجوب** والدكتور **حامد محمود**

في الكتابة ، وكانت جميع الاحاديث مفارقات متنافرة ، لايقصدبها الا الضحك والسرور ·

ومررنا ببلدة « الشوبك الشرقى » بعدالغداء حين كانت الساعة ربعا بعد الثالثة ، فرأينا اهلهامنتظرين ، وقد امتطى عمدتهم صهوة جواد ظل يلاحقنا به الى مدى بعيد ·

وعند مرورنا ببلدة · «التبين »هرع الينا أهلوها ، نساءاورجالا، وهم يهتفون : « **ليحيى سعد** » ·وكان ينتظرنا فى مياهها مركب كبير يستقله عدد لايحصى من أهالى الشوبك الغربى، ومراكب أخرى كثيرة مملوءة بالرجال يحملون الاعلام ، فلم يفرغ الجميع من الهتاف الا بعد أن غبناعن عيونهم ·

وثابرت « **محاسن** » على السير قدما الى القاهرة ، وكلما قابلنا مركب حيانا ركابه تحية عالية · وفى الساعة الخامسة شربنا الشاى مع ملحقاته ، ولاحظ الرئيس ان الدكتور **محجوب** غير حاضر ، فأرسلنا نستدعيه ،ولما جاء فاجأه **عبد الله أباظه** « بك » بقوله : « دائما تتأخر يادكتور ! فماذا تفعل لو أصبحت وزيرا ؟ » فقال الدكتور : «لا ياسيدى ! الوزارة ترغمنى على حفظ المواعيد · ومادام **الرئيس** يضع ثقته فى ويرشحنى لها ، فلا أقل من أن أحقق حسن ظنه ، حتى لايقول أحد انه رشح خائبا ·· »

الرئيس : لاتزال متعلقا بالوزارة يادكتور !

النقراشى : ليكون « باشا » !

محجوب : لا يانقرش ! لاأريد الباشوية ، والا فمن أين اشترى بذلتها ، وثمنها يبلغ الثمانين جنيها !

* * *

وعادت « محاسن » الى مرفئها، حيث كانت الساعة السادسة مساء ·

سعد يشجع الفنانين

زارنى فى سنة ١٩٢٥ ببيت الامة أحد موظفى وزارة الزراعة، ولا أذكر من اسمه الا كلمة (الاحمر) وفى صحبته طفل لا يجاوز التاسعة أو العاشرة من عمره • وقال ان هذا الطفل أخوه ، وهو يهوى الانشاد ، وصوته حسن ، ويتمنى لو ينشد أمام الرئيس أبياتا وطنية ، فعرضت الامر على سعد ، وكان معتدل المزاج ، فأذن ، فأدخلت الاخوين الى مكتبه ، وشرع الطفل فى رباطة جأش ينشد بصوت جميل أبياتا وطنية رقيقة، وطرب سعد وعجب من شجاعة الطفل ، وقبله وحياه بكلمات طيبة •

كان هذا الطفل يلبس بذلة ذات بنطلون قصير ، وكان نحيفا أشد النحافة ، واسمه اليوم ، الاستاذ محمد عبد المطلب ، المطرب الشعبى الشهير •

وكان سعد رحمه الله يشجع الفنانين كل التشجيع ، حتى ظهر منهم منذ أوائل عهد الثورة عدد غير قليل هم من دعائم المسرح والسينما فى هذا العصر ، وأذكر منهم السادة : حسن فائق ، وحسين المليجى ، وعبد الفتاح القصرى ، وكلهم بحمد الله نجوم لامعة فى هذا العهد • وحين أذكرهم لا أنسى الصديق المرحوم توفيق تادرس أحد موظفى وزارة الاشغال فى سنوات الثورة ، فقد كان دولابا دوارا لا يستقر له قرار • وكانت مهمته تزويد حفلات الوفد الانتخابية ، وحفلات الدعاية ، فى أى مكان تكون ، بالشبان الذين خلقتهم الثورة ليغذوها بالمونولوجات الوطنية والاغانى الحماسية الشعبية ، وكان السيد توفيق رحمه الله هو جامع شملهم فى ناد تمثيلى اشتهر فى ذلك العهد لدى ادارة الامن العام باثارة الشعب ، والتحريض على الثورة ، وكان

اسمه « **نادى المعارف** » • وكان توفيق رئيسه ، وكنت الوكيل فى زمن التلمذة، حتى اذا التحقت ببيت الامة استقلت من النادى كى أستطيع أن أحسن خدمته •

كان أعضاء « **نادى المعارف** »من أمثال من ذكرت ، وكانوا على اخلاص عجيب ، وحماسة فياضة،وشجاعة منقطعة النظير ، فى تأييدهم للثورة ولحركة **سعد** ،وما أظن حفلة وطنية خلت من أحدهم ، ولو كانت فى أقاصى الصعيد ، وكانوا يبدأون الحفلات بأزجالهم ، ومونولوجاتهم ،وأناشيدهم ، معتمدين فى أكثر الاحيان على الآلات الموسيقية ،فتلتئم أسماع الناس حولهم ، وبسود السكون والهدوء الحفل ،فلا تسمع بعد ، الا تصفيقا كالرعد ، اعجابا وطربا وحماسة،وكم من قائل منهم كان له من التأثير فى الجموع أقوى من فعل خطيب قدير •

كان **سعد** رحمه الله يرحب بهم فى الحفلات ، ويسر كل السرور بسماعهم ، ولطالما شجعهم امام الجمهور بالكلام الرقيق وبالتحيات والقبلات ، وطلب منهم المزيد •

سعد زعيم الرعاع

ذكرت فيما مضى عند الكلام على «مولد **سعد** ونشأته الاولى»، أن **سعدا** رحمه الله ، كان يتواضع حتى ينتسب الى « **الرعاع والفلاحين** » ، وانى سأورد **خطبة لسعد** فى حفلة أقامها العمال سنة ١٩٢٤ تكريما لزعيمهم ، يفخر فيها بأنه من الرعاع • فهذه هى الخطبة أثبتها بمناسبتها :

أقامت نقابة عمال شركة السكك الحديدية وواحات عين شمس، يوم الجمعة ٤ يوليو سنة ١٩٢٤ بنادى السباق فى مصر الجديدة ، حفلة شاى تكريما لعبد الرحمن فهمى « بك » (زعيم العمال) رحمه الله ، وللاستاذ حسن نافع مستشار نقابتهم ، حفظه الله ، بمناسبة انتخابهما عضوين فى مجلس النواب • وقد حضرها سعد رئيس مجلس الوزراء ،وكثير من الوزراء والشيوخ والنواب وعلية القوم ، وبعد أن خطب خطباء الحفلة ، تعالت الاصوات طالبة الى الرئيس القاء كلمة فيهم ، فالقى رحمه الله خطابا قال فيه :

خطبة سعد فى العمال

« ايها العمال المجدون ، ايهاالسادة :

أشكركم ، وأشكر شعراءكم وخطباءكم وزجاليكم، أشكرهم جميعا على ماخصونى بهمن عبارات الثناء. وأقول ان ما جاء فى عباراتهم من أننى شرفتكم بحضورى ، أو انكم حسبتم حضورى شرفا لكم ، اقول وأؤكد لكم أننى لو شعرت بانى شرفتكم بهذا الحضور لآخذت نفسى كثيرا على هذا الشعور . والحق اقول لكم اننى تشرفت بالحضور بينكم ، وفرحت كثيرا لاننى رأيت قوة من القوى التى عملت على انماء النهضة الوطنية ، والتى كان لها فضل كبير فى الوصول بالحركة القومية الى الحد الذى وصلت اليه .

افرح كثيرا ، واسر كثيرا ، كلما شعرت أن هذه الحركة ليست فيما يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هى منبثة ايضا وعلى الاخص فى الطبقة التى سماها حسادنا «طبقة الرعاع» ! وافتخر بأنى من الرعاع مثلكم . « هتاف متكرر : **ليحى سعد زعيم الرعاع** » ! لو كانت هذه الحركة قاصرة على الطبقة العليا ، لما قامت لها قائمة ، ولما انتشرت هذا الانتشار ، ولما انتصر المبدأ الوطنى بالطبقة التى يسمونها « طبقة الرعاع » ، وهى الطبقة الاكثر عديدا فى الامة ، والتى ليس لها صالح خاص ، والتى مبدؤها ثابت على الدوام ، مبدؤها الاستقلال التام لمصر والسودان . هذه الطبقة لا تسعى وراء وظيفة تنالها ، ولا منصب تحل فيه ، ولا مصلحة تقضيها ، ولكنها تريد أن تعيش ليكون الوطن عزيزا ! ... ولا يبهر نظرى ولايطرب سمعى اكثر من أن ارى رجلا فقيرا لا قوت عنده ينادى : « **ليحى الوطن** » ، وليس يطمع فى شىء الا أن يعيش كما هو ! ولكن ذلك الرجل صاحب الاموال ، وذلك الموظف فى المنصب العالى ، اذا قال : « يحيى الوطن » ، فانما يقول « تحيى وظيفتى اومصلحتى » ! ولذلك رأيت كثيرا

من أرباب تلك المصالح ، ومن ذوى الوظائف ، تقلبوا وتغيروا ، ولكن «الرعاع» أمثالكم ما تغيروا ولا بدلوا عقائدهم • لذلك فانى معتقد موقن مؤمن أن حركتنا حركة طبيعية قوية ، سينبت نباتها ، وستؤتى أكلها باذن الله ان لم يكن اليوم فغدا ••• »

الرئيس
والشيخ محمد شاكر
وكيل الازهر سابقاً

مساء الاثنين ٨ يونيه سنة ١٩٢٥ :

عرضت فيما عرضت على الرئيس من بريد اليوم رسالة فى حكم ترجمة القرآن ، للاستاذ الشيخ محمد حسنين وكيل الجامع الازهر سابقا ، فجرتنا هذه الرسالة الى الحديث عن الاستاذ الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الازهر سابقا ، لانه كتب فى موضوعها كثيرا ، فسألنى سعد عنه : « ياترى كيف حاله اليوم؟» قلت : انه بخير • فقال : « وماذا تم فى قضيته التى كان قد رفعها على الحكومة ؟ » فقلت : سمعت أنهم صالحوه عليها واسترضوه• فقال : « لا أدرى لأى شيء غضب منا ! ألح على فى عهد وزارتى كثيرا أن أقرأ ملف هذه القضية، فكان من سوء حظه أنى قرأتها أكثر من مرة بعناية تامة ، فلم أجد لما يدعيه فيها وجها من الحق • فلم أستطع أن أرضيه بشيء لأنى كنت مقتنعا بانه لايطلب حقا ، ولو لم أقرأها بنفسى لكان الامر شيئا آخر • ولكن الشيخ شاكر لم يعجبه أن نمشى مع الحق ، فغضب منا من ذلك الحين وقاطعنا الى اليوم • فتكلمت عن الشيخ شاكر كلاما فهم الرئيس منه أن لى صلة عائلية به ، فقال فى مداعبة ظريفة : «لامؤاخذة ياشيخ جزيرى ، يجب أن نقول الحق ولو على أنفسنا !! » ثم تكلم رحمه الله عن المقالات السياسية التى كان ينشرها الشيخ فى المقطم وغيره من الصحف •••

واخيرا قال : لا أعتقد أن كلامه فى هذه الايام صادر عن قلبه ، فقد تغيرت نظرياته بعد غضبه منا ، ولهذا لا أستطيع أن أفهم

ماذا يريد بمقـالاته • والحق أن الكلمة اذا خرجت من القلب دخلت القلب •• !

***

الشيخ شاكر أيضا :

في صباح الاثنين ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٥ كنت أزور صهري المغفور له الشيخ **احمد هرون** وكيل الجامع الازهر وقتئذ بمكتبه في ادارة المعاهد الدينيـة ، فلاقيت عنده الاستاذ الشيخ **محمد شاكر** (وهو صهر الشيخ احمد هرون)

سألني الشيخ **شاكر** عن صحة **الرئيس** وعن أحـوال الوفد ، فتذكرت حديث **الرئيس** عنه في مساء الاثنين ٨ يونيه المـاضي ، وذكرت له خلاصته في عبـارات رقيقة ، فاستفزته ذكرى مؤلمة ، ولمعت عيناه لمعانا مشرقا ، ثم قال:

« يدهشني أن **سعد** « باشا » يجهل سبب غضبي ، ولو أنه فكر واستعرض جهادي في منـاصرته لعرف أن لي حقا كبيرا عليه لم يجزني به ولا بجزئه • لقد ناصرته في شـدته ، فلم يعطف عـلي في رخائه • فتشوا بيتي مرتين ، واعتقـلوا ابني مرتين ، ونقلوا ابني الآخر الى مكان قصي في آخر الصعيد ، ومر زمن كنت فيه المدافع الوحيد عن سياسته • وبعد ذلك جاءت انتخابات النواب فنزلت **لابراهيم راتب** عن دائرة عابدين ، لأن الوفد رشحه لهـا ، وجاءت انتخابات الشيوخ فنزلت أيضا لمرشح الوفد • ثم انتظرت ، ولكن **سعدا** فضل علي الشيخ **علي سليمان** والشيخ **أحمد نصر** ، ولا سابقة لهما في الوطنية أو السعدية على الاخص ! وأخـيرا يفضـل علي **طه حسنين** « بك » ••! »

« يقول **سعد** « باشا » ان « الملك » غاضب علي ! ولكن لمـاذا ؟ كان « الملك » يعطف علي ، وكنت كلما طلبت مقابلته اذن لي فيها ، فزرته مرة ومكثت معه أربعين دقيقة كان كل كلامي فيها دفاعا عن **سعد** ، وعن الوفد ، وتأكيدا لاخلاصهم وتأييـدهم للعرش ، فامتعض « الملك فؤاد » منـذ ذلك اليوم وأقصاني عنه • وهـكذا غضب « الملك » علي من أجل **سعد** • فهل لم يكن في متناول نفوذ **سعد** أن

يزيل غضبه ، وهو هو الذى كان لايرد له قول ، والذى أراد فتم تعيين الدكتور **ماهر وعلى الشمسي** وزيرين ٠! لا ! ان **سعد** «باشا» لم ينصفني أدنى انصاف ، بل هو نكبني في معاشي ، وصادرني في حقوقي مصادرة عنيفة ، وماكنت لأنتظر ذلك بعد جهـــد البلاء ومشقة العناء »

***

وكان الحديث طويلا استغرق نحو الساعة ، وعيت منه هـــذا الملخص ٠ فجئت في المساء ورويته للرئيس ، فحسبت أن له مآخذ يعيبها على الشيــخ ولا يريد أن يجرح شعوري بابدائها ٠٠ وبعد أن سكت قليلا قال :

« ٠٠٠ لو كان الامر في حاجة الى **القسم** لأقسمت ، ولـكني ساقول لك **الحقيقة** لتقتنع أنت ٠٠ انى عرضت اسم الشيخ **شـاكر** على « الملك » مرتين ، فأبى ، ولم يكن هذا الاباء للسبب الذى ذكره الشيخ ، وانما كان لان الملك يتهمه بالنزعة الخديوية ، وبانه متصل فعلا بالخديوى ٠ وقد حاولت في المرتين أن أحسن ظنه به فما أفلحت ، ثم انتويت أن أرده الى خدمة الحكومة ، ولكنى كنت متوقعـا في كل مدتى أن يـرفض « الملك » بتاتا ٠ وما كان ليهمني كثيرا أن أتشدد في مثل هـــذه المسألة ، لأنى أعتقدها من قبيل المنح فقط ، فقد قلت لك في ليلة سابقة انى درست قضيتـه بنفسى ولم أجد فيها منفـذا الى مساعدته أو دليلا على ان له حقا ٠٠٠ نعم كنت أتشدد فيما أعتقده حقا ومن مصلحة البلاد والسياسة التي انتهجتها ، فما كان يصدني شيء عن هذا والا **استعفيت** ٠ على أن مدتى في الوزارة لم تكن لتسع **طمع الطامعين** ، فقد وليت الحكم واعلم أن **آلافا** ينتظرون الخير على يدى ، ولكن كيف أنفذ ما لا أعتقده حقا ؟ وهل أنا نفذت كل ما اعتقده حقا ؟ ان مدتى كانت أقصر من أن تتحقق فيها الآمال ، وقد قضيت اكثرها في متاعب **وآلام من جراء** رصاصة المسدس التي ضربت بها » !

***

ثم زرت الاستاذ الشيخ مرة أو مرتين ٠٠٠ وبعد ذلك استأذنت له الرئيس فى موعد ، فاستقبله فيه ببيت الامة بالحفاوة والاكرام، ولم يجر بينهما كلام عن الماضى ، وانما تكلما عن السياســـة فى أحوالها الحاضرة ٠

الحـــكم فى قضية السردار

فى مساء الاثنين ٨ يونيه سنة ١٩٢٥ :

تحدث الرئيس الى جلسائه فى قضية السردار ، فقال قائل : لا أظن أن فى تاريخ القضاء المصرى حكما يشبه هذا الحكم من حيث كثرة المحكوم عليهم بالاعدام فيه! فقال **الرئيس** : « لا ٠٠٠ أقص عليكم أنى كنت أترافع فى قضية كبيرة أمام محكمة بنها ، فالقيت دفاعى ، وتركت **المحكمة** واثقا كل الثقة بأن المتهمين برآء من التهمة، كما أنا برىء منها ٠ وانتظرت كاتبى ليعود الى بالحكم ، فما كان أعظم دهشتى حين عاد يخبرنى بأن الحكم صدر باعدام المتهمين جميعا ، وعددهم سبعة افسألته: وهل لم تحكم على المحكمة معهم ايضا ! فأجاب بالسلب والحمد لله ! ٠٠٠ وأخيرا صـــدر الحكم ببراءتهم جميعا أمام محكمة الدرجة الثانية » ٠

سعد والمربى الكبـــير والزعـــامة

مساء الثلاثاء ٢٣ يونيه سنة ١٩٢٥ :

جلست مع **الرئيس** فى مكتبه بعد تناول العشاء ، وكان الاستاذ **مصطفى النحاس** «باشا» حاضرا، وحضر فى أثناء الحديث الشيـــخ **محمد عز العرب** « بك » ــ رحمه الله ــ واستطرد الحديث الى خطبة الاستـــاذ **أحمد فهمي العمروسى** « بك » التى القـــاها فى مدينـــة **دمنهور** ، منذ ثلاثة أيام ، حينما كان فى وفد **حزب الاتحاد** ، الذى ذهب ليبث الدعوة للحزب، ويجمع له الاشتراكات من أهالى مديرية البحيرة ٠ وقد تعرض الاستـــاذ **العمروسى** فى خطبته **للرئيس** ، زاعما أن للزعامة شروطا لم تتوافر **لسعد** ولذلك فشل فى سياسته ٠

س :

« لا ادرى ماذا كان ذلك المربى الكبير ؟ (وكانت جرائد الوزارة القائمة تمنحه هذا اللقب بسخاء) . وما قيمته هو فى نفسه حتى يعرض للزعامة ويحصى شروطها ؟ وهل نحن ادعينا الزعامة لأنفسنا ؟ وهل هى ذلك الشيء المركب الذى نقول ونستمر نقول ونعيد فيه ؟ أنا لا افهم الزعامة الا أن يجمع الناس على شخص يثقون به ، ويعتقدون أنه أهل لثقتهم ولأن يحمل أمانتهم ...

هذا العمروسى « بك » عرفته أيام كنت وزيرا للمعارف ، فقد مدحوا لى فيه وفى كفاءته . فاخترته بناء على ما سمعت من هذا المدح سكرتيرا فنيا لى، ولكنى بعد خبرة وجدته لا يستطيع أن يؤدى المساعدة الفنية المطلوبة ممن يشغل وظيفته ، ولم اجد فيه اى كفاءة ممتازة للقيام بهذه السكرتارية الفنية ، فنحيته عنى بأسلوب لا يشعره أنى غير راض عنه ، وعينته على ما اذكر وكيلا لمدرسة ثانوية »

وسكت الرئيس قليلا ، ثم قال :

« يذكرنى اللقب الفخم الذى تعطيه الجرائد للعمروسى « بك » (يقصد : الاستاذ العالم والمربى الكبير) بأمين سامى باشا ، فقد كنت اسمع عنه ، قبل أن أتولى وزارة المعارف ، شيئا كثيرا من المدح والاطناب . فلما صرت وزيرها حدثت عنه أيضا بأنه المربى الكبير والاستاذ العظيم ...

وهكذا بقيت له فى ذهنى صورة محترمة ... وفى احد الايام دخل مكتبى فى الوزارة مدرس اسمه الشيخ العوامرى ، فشكا لى من امين سامى ، فارسلت اليه أسأله عن حقيقة هذه الشكوى ، فأنكرها دون تردد ، فقلت : هل استطيع احضار الشيخ العوامرى ليواجهك بشكواه ؟ فقال : بكل سرور .. فطلبت الشيخ ، فشرح لى الشكوى أمامه بلسان طلق وتعبير غير متكلف ولهجة طبيعية ، مما اشعرنى أنه صادق فى شكواه ، فسألت سامى « باشا » : ما رأيك فيما تسمع ؟ فلم يستطع انكارا . وتصبب جبينه عرقا !! فاشرت الى الشيخ العوامرى بالانصراف ثم اكتفيت من مجازاة هذا الاستاذ العالم العظيم والمربى الكبير بتلك الوقفة المخجلة ، وبرؤيتى له فى هذا الحال الذى لا يسر !!

دعابة صحفية: حزب الشيطان

ما دامت الذكريات ساقتني الى « حزب الاتحاد » فلأنقل هذه الذكرى عنه :

أنابني **الرئيس** فى ابلاغ عزائه الى الاستاذ الشيخ **محمد شاكر** فى وفاة زوجته ، فذهبت الى السرادق ليلا ومكثت أستمع لتلاوة **القرآن** حينا . وفى الاثناء دخل السرادق كبير مشهور الاسم من رجال **حزب الاتحاد** ، وكان **الرئيس** ينعى على هذا الحزب قيامه على غير أساس وطنى ، وكان الحزب فى ذلك العهد فى ابان سطوته ، على ضعفها الشديد !! وكانت الصحف الوفدية تسميه « **حزب القش** » . فلما دخل ذلك **الكبير الاتحادى** سرادق المأتم كان المقرىء يتلو من **سورة المجادلة** هذه الآية الكريمة : « **أولئك حزب الشيطان ، ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون** » . فاسترعت هذه المصادفة أذهان السامعين ، فتعاجبوا وتهامسوا ضاحكين . فنقلت القصة الى الرئيس ، فضحك طويلا ، وكلفنى أن أكتبها فى احدى جريدتى الوفد ، **البلاغ** أو **كوكب الشرق** ، مقترحا تسمية حزب الاتحاد « **بحزب الشيطان** » ، فنشرت الجريدة كلمتى . وذهبت هذه التسمية علما على حزب الاتحاد ، فلا تذكره الجرائد الوفدية الا بهذا الاسم .

كتاب

الاسلام وأصول الحكم

للاستاذ على عبد الرازق

من علماء الازهر ، ووزير الاوقاف فيما بعد

رأى سعد فى الكتاب

انقل للتاريخ هذا الفصل من مذكراتى ، كما كتبته فى حينه ، لاأستطيع تبديل حرف فيه . وقد يكون الحديث مريرا لايجمل بى أن أكون أداة نشره ، ولكن الامانة توجب ان أنشره مادمت بصدد اعلان ذكرياتى عن سعد ، ففى الحديث على وجهه الآخر عصبية اسلامية شديدة ، ورأى جميل فى الاسلام وأحكامه ومدنيته :

مساء الخميس ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٥ :

« دخلت الى مكتب الرئيس ، بعد فراغ « دولته » من مقابلة زواره لأقدم له مجلد السنة الثانية من مجلتى (**مجلة القضاء الشرعى**) والعدد الاول من سنتها الثالثة ، فتقبلها بقبول حسن ، وشجعنى على الإستمرار فى اصدارها ، ووعدنى أن يدلى برأيه فيها بعد أن يتصفح موضوعاتها . ثم استرعى نظره عنوان المقال الافتتاحى فى العدد الجديد ، وهو (**الامامة الكبرى أو الخلافة**) لفضيلة الاستاذ الشيخ **عبد الوهاب خلاف** ، فقال : أو تكتبون أيضا عن الخلافة ؟ — (ونحن الآن بعد مرور أيام على صدور حكم هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ **على عبد الرازق** من زمرة علماء **الازهر** الشريف لاصداره كتاب (**الاسلام وأصول الحكم**) — فأجبت « دولته » : نعم ، والمجلة تعالج موضوع **الخلافة** منذ الغاء الاتراك لها . فقال : وما رأى محرر المجلة ؟ قلت : انه يلتقى مع الشيخ

على عبدالرازق فى بعض النقط، وبظهر أن ذلك كان سببا فى أن كبيرا من رجال السراي استدعى اليه الاستاذ الشيخ **خلاف** ونصحه أن يكف عن الكتابة فى هذا الموضوع ، وأفضى فضيلته الى بذلك طالبا استرداد موضوعه التالى من المطبعة ففعلت .

ثم سالت « دولته » : ومارأيكم فى كتاب «**الاسلام وأصول الحكم**» ؟

فاستعد « **دولته** » كما يستعد المحاضر لالقاء محاضرة ، او الخطيب لالقاء خطبة ، ثم قال :

« لقد قرأته بامعان لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ أو الصواب، عجبت أولا كيف يكتب عالم دينى بهذا الأسلوب فى مثل هذا الموضوع ؟

وقد قرأت كثيرا **للمستشرقين** ولسواهم فما وجدت ممن طعن منهم فى **الاسلام** حدة كهذه الحدة فى التعبير ، على نحو ماكتب الشيخ **على عبد الرازق** !لقد عرفت انه جاهل بقواعد دينه ، بل بالبسيط من نظرياته ، والا فكيف يدعى أن **الاسلام** ليس مدنيا ولاهو بنظام يصلح للحكم ؟ فأية ناحية مدنية من نواحى الحياة لم ينص عليها الاسلام ؟ هل البيع أو الاجارة أو الهبة أو اى نوع آخر من المعاملات ؟ ألم يدرس شيئا من هذا فى الازهر ؟ أولم يقرأ ان أمما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام فقط عهودا طويلة كانت أنضر العصور ؟ وأن أمما لا تزال تحكم بهذه القواعد وهى آمنة مطمئنة ؟ فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟

وأعجب من هذا ماذكره فى كتابه عن الزكاة ؟ فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الازهرية ؟

انى لاأفهم معنى للحملة المتحيزة التى تثيرها جريدة **السياسة** حول هذا الموضوع ، وماقرار هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ **على** من زمرتهم الا قرار صحيح لاعيب فيه ، لان لهم حقا صريحا ـ بمقتضى القانون أو بمقتضى المنطق والعقل ـ أن يخرجوا من يخرج على أنظمتهم من حظيرتهم . فذلك أمر لاعلاقة له مطلقا بحرية الرأى التى تنعيها السياسة . »

وهنا قلت : لعـــل مايغيظ السياسة هو أن العلماء لم يندفعوا من تلقاء أنفسهم الى هذه المحاكمة، وانما كانوا مسوقين ـ عـــلى رأيها ـ بجهة يهمها تأييد مركز الخـلافة فاســـــتعانت بنفوذ العلماء ٠

فقال : « أعرف ذلك ، ولكن مهمـا كان الباعث فان العلماء فعلوا ما هو واجب وحق ، وما لا يجـوز أن توجـه اليهم أدنى ملامة فيه ٠

والذى يؤلمنى حقا أن كثيرا من الشـبان الذين لم تقو مداركهم فى العلم القومى ، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الاعجاب بكل جديد ، سيتحيزون لمثل هـــذه الافـكار ، خطأ كانت أو صوابا، دون تمحيص ولا درس ، ويجدون تشجيعا على هذا التحيز فيما تكتبه جريدة السياسة وأمثالها من الثناء العظيم على الشـــيخ على عبد الرازق ومن تسميتها له بالعالم المدقق والمصلح الاسلامى والاستاذ الكبير ٠٠ الخ ٠

وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشـيخ بين حرية الرأى وبين القواعد الاسلامية الراسخة التى تصدى كتـابه لهدمها ٠ »

وهنا جاء موعد العشاء فختم « دولته » القول برجاء الله أن يصلح الاحوال ويوفق الجميـع الى السداد ٠

خادم الرئيس ينصحه

ومما حدثنا به سعد فى ليلة « المربى الكبير والزعامة » (مساء الثلاثاء ٢٣ يونيه سنة ١٩٢٥) انه حينما كان فى لندن يفاوض اللورد ملنر ، وقد أنزلته الحكومة الانجليزية ومعه أعضـاء الوفد فى قصر فخم ، جاءه خادمه الخاص محمد احمد ، وهـو يكاد يبكى من الاشفاق ويقول :

« ياسيدى « الباشا » حذار أن تفرط فى حقوق البلد ! ماهذا القصر الفخم الذى لم تر العين مثله ؟ وماهذا الاثاث الفاخر ، وما هـذه الاستعـدادات التى لاتعمل لغير الملوك ؟ آه ! انهم يغرونـكم بالتفريط فى حقوق مصر ، ويخدعون نفوسكم ٠ ٠٠ فحذار « ياباشا » أن ينسيكم هذا الزخرف وطننا المحبـوب ، وأن

تغتروا بهذه المجاملات والمظاهر الكاذبة ..»

قال سعد :

« وحقا كان استعدادهم واكرامهم لنا يفوق الوصف ، ويؤثر في النفوس الضعيفة .. ومما يؤسف له اننا نشاهد اليوم أن مظاهر أحقر من تلك المظاهر تجعل بعض ذوى النفوس القلقة يدوسون كرامة وطنهم وكرامة أشخاصهم ، ويبيعونهما بمتاع قليل من العرض الزائل!»

وكثير من أهل ذلك العهد يعرفون السيد محمد أحمد ، وهو يتمتع بصحته وبلحيته التي يرخيها على الدوام *.

* * *

أنا سـعد زغلول

فى انتخابات سنة ١٩٢٥ (التى أسفرت عن مجلس نواب حل في يوم انعقـاده) كان مرشـح الوفد لدائرة الخليفة هو المغفور له الاستاذ **محمد ابو شادى** « بك »وكان ينافسه عليها الاستاذ **محمد حافظ رمضـان** « بك ــ باشا »رئيس الحزب الوطنى ، حفظه‌الله ،

وكان **سـعد** يهتم بهـذه الدائرةاهتماما كبيرا ، لرغبته الشـديدة فى نجاح الاسـتاذ **أبى شـادى**جزاء وطنيته الصادقة وتضحيته بصـحته وماله فى سبيل نصرةالوفد ، ولان فى نجاحه اقصاءا لخصم سـياسى كبير عن مقـاعدالنيابة • فكلفنى رحمـه الله يوم الانتخاب أن أحضر اعلان النتيجةوأن أبلغـه اياها فور اعـلانها • فذهبت ، وأعلنت النتيجة حوالىالساعة الرابعة بعد الظهر ، فكان الفائز هو **ابو شـادى** « بك » ،فقصدت الى أقرب تليفون وطلبت رقم تليفونى ببيت الامة ، فـكانالحديث الآتى :

انا ــ بيت الامة ؟

ــ نعم • مين ؟

انا ــ من أنت ؟ أدع لى أحـدامن الخـدم يكلمنى بسرعة ، انا الجزيرى •

ــ ايه اخبارك ياشيخجزيرى ؟**أنا سعد زغلول** •

وكانت هـذه أول مـرة أكلمفيها **الرئيس** بالتليفون • فوجمت واضـطربت اضطرابا شـديدا ،لاننى كنت محـتدا فى كلامى • وعذرى أن غرفتى لايدخلها أجنبىقبل حضورى ، وأنى لم أتوقع أن يشرفها **الرئيس** خصوصا لى مثلهذا الوقت ، وقت راحتـه بعـد الغداء • ولـكن لهفة **الرئيس** علىمعـرفة نتيجة الانتخاب جعلتـه يضحى براحته وينزل الى غرفتىليتلقى بنفسـه أول خبر تلفونى عن هذه الدائرة •

وبعـد برهة استجمعت فيهـاجأشى ، أبلغتـه النتيجة ، فكان فرحه عظيما ، وحين عدت الى بيتالامة رفه عنى أثر تلك المفـاجأة بكلام لطيف رقيق •

الاستاذ على الشمسى

كان الاستاذ على الشمسى أحداثنين لايخلو منهما « بيت الامة يوما ، ولا يكاد يخرج سعدلرياضته الصباحية المعتادة الا مع أحدهما • أما الثانى فهو المغفورله محمد فتح الله بركات « باشا » والد الاستاذ الكبير محمد بهىالدين بركات

عرف الاستاذ الشمسى سعداعن طريق المرحوم والده أمين الشمسى « باشا » منذ كان زميلالسعد فى الجمعية التشريعية • وكان سعد يحب الاستاذ علىالشمسى جدا وينـاديه باسمه مفردا ، ويحلو له أن يكون زميله فى النزهة اليومية التى كان يقضيها فى الصباح بسيارته الى الجزيرة أو طريق الاهرام

وكان رأيه عنده غير مهمل ،ورجاؤه فى منزلة الاعزاز •وكثيرا ما كان يظفر بموافقة الرئيسفى شئون كان يستعصى على سواه الظفر بها •

وكان يتحرق غيرة على سمعةالوفد ،ويأبى أن ينضم الى صفوفه من غير مبدأه السياسى أو تنقلبين الاحزاب •

كان حزب الاتحاد فى عمرهالقصير ، لايكاد يظفر بجزء صغير من نصرة الرأى العام ، وسمعالشمسى (باشا) فى فترة الترشيح للانتخابات الائتلافية أنمثريا كبيرا من الاتحاديين يذيع أنه يضمن ترشيح الوفد له بمبلغمن المال يقدمه اليه ، فغلى الدم فى رأسه ، ولم يهدأ حتى أقرالوفد قاعدة تحظر ترشيح أى اتحادى تحت رايته ، ولو كان قدانتسب لحزب الاتحاد يوما واحدا، ومهما كانت توبته وانابته •

وبحكم تردده الكثير المستمرعلى بيت الامة ، كانت صلتى به كما كانت صلتى بزميله فتح الله(باشا) لاتنقطع يوما واحدا ، وكنت أجد من الاثنين العظيمين كل عطف وتشجيع • وقلت فى

احـدى الذكريات السابقـة أن الفضل الاكبر فى اقدامى على تغيير زى الشيخ كان للاستاذ الشمسي حفظه الله •

ولم يكن احـد ليجهـل مكانة الشمسي أو فتح الله لدى سـعد ، أو ينكر نفوذهمـا الفعال فى سياسة الوفد وتصرفاته • والذين شهدوا ذلك العهـد يذكرون أن الاثنين العظيمين هما اللذان سعيا السعى الحميد لعقد الائتلاف بين الاحزاب ، سـنة ١٩٢٦ ، وهما اللذان وضـعا قواعـده وأقاما بنيانه •

ولهذه السوابق منهما ، فى النزول من قلب سـعد فى المكان الاسمى ، وفى خدمة الوفد الخدمة الصـالحة التى تؤتى ثمـراتها للبلاد ، اتجه اليهما الرأى العام ، عقب وفاة سعد ، كما اتجه اليهما رأى كثيرين من اعضـاء الوفـد ، وظل الاثنـان يتردد الترشـيح بينهما لرياسة الوفد ، حتى كانت المفاجأة ، وكانت الغلبة للاسـتاذ مصطفى النحاس باشا ، سكرتير الوفد فى ذلك العهد •

محمد فتح الله بركات ((باشا))

هو عضو الوفد الثانى الذى لم يكن يخلو منه بيت الامة يوما ، والذى كان يصخب سعدا فى رياضته الصباحية حين لا يكون زميله الاستاذ الشمسى حاضرا .

كان المغفور له فتح الله بركات « باشا » يهاب سعدا كل الهيبة ، ويحبه كل المحبة ، وكان يأبى أن يلح عليه فيما لا رغبة له فيه حتى لا يضايقه ، ولكنه يعلم أن للرئيس أوقات رضا لا أثر للشدة أو لصلابة الرأى فيها ، فكان فتح الله « باشا » يكلفنى انتهاز الفرصة للحصول على موافقة الرئيس على بعض مسائل فى أوقات رضاه ، وكنت أنجح بفضل الله فى كثير منها ، فكان يداعبنى حين أبلغه النتيجة بقوله : « أنت الآن أشطر منى » .

ومن نافلة القول أن أذكر أن فتح الله (باشا) رحمه الله ، كان الراس المدبر فى الوفد ، وأنه كان محور كل حركة فيه ، وندر أن ترسم سياسة للوفد – ولاسيما فى شئون الانتخابات – دون أن يكون له فى ذلك رأى معول عليه ، وكان يقاسمه هذا النفوذ زميله الاستاذ على الشمسى حفظه الله . وكان الوصف الذائع عن فتح الله « باشا » فى الاوساط الوفدية وفى أوساط خصوم الوفد أنه « داهية الوفد » ؟ وفى الحق أن الدهاء والفطنة وحسن التدبير وأخذ الامور باللين والوداعة والمصانعة ، .. كل تلك ، صفات قد تجلت فيه رحمه الله ، على متانة فى الخلق وأدب فى المعاشرة .

كان ينظر إلى الامور نظرة فلسفية عميقة ، ولا يؤخذ بظواهرها التى تخدع الناس فى حقيقتها :

كان وزيرا للزراعة فى الوزارة الائتلافية الاولى التى راسها المغفور

محمد فتح الله بركات باشا

له على يكن «باشا» سنة ١٩٢٦، ثم استمر وزيرا فى الوزارة الائتلافية التالية التى رأسها المغفور له عبد الخالق ثروت « باشا » والتى توفى الرئيس سعد وهى فى الحكم .

وكانت دار وزارة الزراعة فى المبنى الذى تشغله الآن وزارة الصحة العمومية أمام البرلمان ، وكنت فى ذلك العهد سكرتيره البرلمانى ، نقلنى الى وزارته بعد وفاة سعد .. وعلى الرغم من تقدمه فى السن ، فقد كان يحب حبا جما أن يسير على قدميه مسافات طويلة فى فصل الشتاء ، فكان يطلب الى أن أتصد الى منزله فى الزمالك صباح كل يوم لأسايره مشيا على الاقدام من منزله الى مكتبه فى الوزارة .

وذات صباح حضر الى منزله أحد الصحفيين ، فكان ثالثنا فى المسير الى الوزارة .

كانت تتردد فى تلك الايام اشاعة عن أزمة وزارية ، فأحب الصحفى أن يعرف شيئا من الاخبار عن هذه الازمة ، فأبدى له فتح الله « باشا » رحمه الله تبرمه من الحالة السياسية العامة ، وقال كلاما فهمنا منه أنه يود اعتزال المنصب الوزارى والبعد عن متاعبه . وكنا قد بلغنا فى سيرنا دار الآثار المصرية « الانتيكخانة » ، وقد وقف أمامها أحد رجال البوليس ، فضرب الارض برجليه ، وحيا المغفور له فتح الله « باشا » التحية العسكرية ! وهنا قال الصحفى ضاحكا : « كيف تزهد يا (باشا) فى منصب الوزارة وما يحيط به من مظاهر الحفاوة والتكريم ؟ وهل كان هذا العسكرى يحييك هذه التحية لو لم تكن وزيرا ؟ » فقال رحمه الله : « هل تظن أننى الوزير ؟ ان الوزير هو حاجبى » ، وأشار بيده الى حاجبه الذى كان يمشى وراءنا ببذلته الرسمية ، قال : « لو لم يكن هذا الحاجب يمشى خلفى ، لما حيانى أو حفل بى أحد ! »

* * *

ولن أختم هذا الفصل من الذكريات قبل أن أسجل مرة أخرى أن للمغفور له فتح الله بركات « باشا » فضل امدادى بكل البيانات عن أسرة سعد ونشأته الاولى ، وهى البيانات التى سبقت فى الصفحات الاولى من هذا الكتاب .

أصدقاء سكرتير سعد

يقيمون له حفلة تكريم برعاية سعد

كانت صلتي برجال **الصحافة**، بحكم عمــلى فى بيت الأمة ، مستمرة قوية ، وعلى أحسن المودة والمعاونة . فلما عينني **الرئيس** سكرتيرا له بمجلس النـواب ،عقب انتخابه رئيسا للمجلس ، شاء فضل عـدد من أصـدقائي الصـــحفيين ، والادباء ، ومن أساتذتي وزملائي ، أن يقيموا حفلة تكريم يكرمون بها سكرتير سعد بمناســبة هذا التعيين ،واختاروا لرياسة لجنة التـكريم الصديق الكبير الاستاذ **احمــد حافظ عوض** « بك » رحمه الله، صاحب جريدة « **كوكب الشرق** »، فأرسل **حافظ** « **بك** » الى الرئيس **سعد** هذا الكتاب :

مصر فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٦

مولاى صاحب الدولة الرئيس الجليل **سعد زغلول** « باشا »

بعد تقبيل يدكم الشريفة ،ابلغ دولتكم انني وجمـــاعة من الصحفيين والادباء فـكروا فى اقامة حفلة تـكريم للاســـتاذ الجزيرى بمناسبة تعيينه سكرتيرا خاصا لدولتكم بمجلس النواب. وقد رايت من أقدس واجباتي أن ابلغ دولتكم امر هذا العزم كيما تشرفوا هـــذه الحفلة برعايتكم الشريفة .

وتفضلوا يامولاى بقبول أزكى تحيات واحترامات

ولدكم المخلص وخادمكم الامين

« احمد حافظ عوض »

فتفضل الرئيس بارسال الرد الآتي :

« مسجد وصيف فى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦

« حضرة صاحب العزة احمد حافظ عوض « بك »

ورد خطابك المنبيء بعزمك مع جماعة من الصحفيين والادباء على إقامة حفلة تكريمية « للشيخ الجزيري » للاستاذ الجزيري بمناسبة تعيينه بمجلس النواب. وأعتبر هذا الانباء فضلا أشكرك عليه ، كما أعتبر وضع هذه الحفلة تحت رعايتي زيادة في الفضل تستحق المزيد من الشكر.

واترك لكم وللاستاذ المكرم باقامتها ، بقية الكلام فيما يناسب المقام : فلكم بيان حسن، وفيه شعور رقيق وأدب . والسلام ».

« سعد زغلول »

سعد رئيس وزارة الشعب

كان عهد **الرئيس** رحمه الله ،وهو على رأس **وزارة الشعب** درة عهوده الذهبية : لانه وضح القضية المصرية فيه رسميا ، فوق ماوضحها شعبيا ، ورسم طريق الوفد فى المفاوضات رسما كان النبراس فى جميع المفاوضات التى عالجها الزعماء من بعده . ثم هو قد أعطى فى ذلك العهد أحسن المثل للحكومة الديموقراطية وأدق التنفيذ للنظم الدستورية ،وأعدل الحكم للحياة النيابية وكان فيه رجل الامة والحكومة ،مجتمعة فيه كل القوى ، صادرا فى نطقه عن الدولة والبرلمان والامة .

على أن ذلك العهد النفيس كان كله دفاعا عن الحق والدستور وسلطات الامة ، وكان أوضح منارا وأبين هدى يعين على نهج السبيل القويم للخدمة الوطنية ،ولم يكن الحوار البرلمانى ، الذى كثر فيه بين **الرئيس** رحمه الله وبين كرسى أو كراسى فى **المعارضة** الا منزها عن المطاعن الشخصية ،خالصا للمصلحة العامة ، والا منتهيا بالتسليم للحق ،وبالتصافى والتصافح .

ولقد حوت مضابط مجلسى البرلمان فى سنة ١٩٢٤ كل حوادث ذلك العهد وأخباره ومناقشاته ،بيد أننى كنت أجد طرافة فى بعض مايجرى فى المجلسين اومايصدر بعيدا عنهما فى بيت الامة ، فسجلته فى مذكراتى ،وانى لاذكره الآن على أنه أمثلة قليلة من روائع ذلك العهد ،عهد الرئيس **سعد** رحمه الله .

سعد رئيس وزارة الشعب

سعد رئيس الوزراء

يهتف لملك مصر والسودان في مبدأ انعقاد البرلمان

على الرغم من المشادة التي حدثت عند وضع **الدستور** المصرى سنة ١٩٢٣ ، فيما يختص بالسودان ، وبلقب « **ملك مصر** » كان سعد أول رئيس حكومة مصرية نادى علنا ورسميا باستقلال « **مصر والسودان** » ، وهتف بحياة ملك واحد لهما .

قال في الجلسة الثانية لمجلس النواب المنعقدة يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٤ ، في كلمته التي هنأ بها المرحوم **احمد مظلوم** « باشا » ، على انتخابه رئيسا للمجلس :

« .. واننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لاحسن الآراء وأصوبها ، حتى نؤدى المهمة الشاقة الملقاة على عواتقنا ، نؤديها كما ينبغى أن تؤدي ، ونصل بها الى الغاية التي يتمناها كل واحد منا . وهذه الامنية هي أن نحقق استقلال بلادنا **مصر والسودان** . »

ثم قال :

« واني بكل قلبى أهتف مع رئيسنا المحترم لجلالة ملك مصر والسودان .. وقولوا معى : ليحى ملك **مصر والسودان** »

(**هتاف** عال من النواب : ليحى ملك مصر والسودان . ليحى رئيس الحكومة المصرية . ليحى رئيس الامة المصرية السودانية ..)

كان هذا أول تصريح رسمي لرئيس الحكومة في أول برلمان تألف على قواعد ذلك الدستور الذى حرمنا فيه من ذكر « ملك مصر والسودان » !

ومن عجب أن اثبات مثل هذا التصريح كان - بعد سنوات قليلة - مثار جدل عنيف ، وسبب تراشق بالتهم في جلسات كثيرة متتالية ، عندما كان نواب الحزب الوطني يصممون ، في مناسبات افتتاح البرلمان أو مايشبهها ، على أن يسجلوا في المضابط هتافاتهم بحياة « ملك مصر والسودان » !!

رأى سعد فى دستور سنة ١٩٢٣

بدأت مناقشة أول **خطاب العرش** ، ألقى فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ ، فى الجلسة التاسعة لمجلس النواب المنعقدة يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٢٤ ، فتكلم نواب الحزب الوطنى : « **عبد اللطيف الصوفانى وعبد الرحمن الرافعى وعبد الحميد سعيد** » عن وجوب تعديل **الدستور** ، وضرورة الاشارة الى هذا التعديل فى الرد على خطاب العرش ..

فرد عليهم **سعد زغلول** رئيس الوزراء بخطبة طويلة جاء فيها :

« ... نحن قلنا فى خطاب العرش : (ان الدستور تاسس على المبادىء العصرية) ، فلم نقل انه تأسس على أحسن المبادىء العصرية ، ولا قلنا ان كل مبادئه طبق المبادىء العصرية . ..حقا ان أساسه من المبادىء العصرية ، لانه حفظ حرية الفكر ، حرية القول ، حرية العمل ، حفظ للامة سلطتها ، قرر مبدأ المسئولية الوزارية . تأسس على هذه المبادىء ، ولكن جاءت فيه أحكام وقيود تضعف من هذه المبادىء وتقيدها .. هذا شىء آخر ! ! يحق لى أن أقول انه تأسس على المبادىء العصرية ، ويمكن ان أقول بعد ذلك ان فيه عيوبا ..

أعتقد بصفة كونى فردا ، وزعيما ، ورئيس حكومة ، أن فى الدستور عيوبا . وقد أوافقكم اذا طلبتم التعديل . وللتعديل طريقة فى الدستور . فاذا كنتم ترون أن هناك أوجها للتعديل فعليكم أن تناقشوها وتقدموا اقتراحا بها ليتناقش فيه مجلسكم ومجلس الشيوخ . والحكومة تقركم ، بل أنا أعدكم أن أكون معكم فى تعديل ماسبق لى أن استنكرته ...

أيها الاخوان ، أيها الفضلاء : هل كان يروقنا فى أول يوم انتخبنا فيه مجلس النواب واحتفلنا بالدستور أن نقول أن الدستور معيب ، ونجعل الملك هو الذى يقول ذلك !! »

حق الحكومة فى الكلام

(الجلسة الخامسة والاربعون لمجلس النواب : ١٢ يونية سنة ١٩٢٤)

رئيس الجلسة : هل من معترض على اقفال باب المناقشة ؟

أصوات : لا .

وكيل وزارة المعارف العمومية: أطلب الاذن لى بالكلام .

رئيس الجلسة :لقد اقفل باب المناقشة .

« **سعد** » **رئيس الوزراء** :للحكومة الحق دائما فى الكلام .

رئيس الجلسة : حتى بعد اقفال باب المناقشة ؟

وزير الاوقاف : نعم ، فان النص الوارد فى الدستور نص عام .

(يشير الوزير الى المادة ٦٣ من الدستور التى تقول ان للوزراء أن يحضروا أى المجلسين، ويجب أن يسمعوا كلما طلبوا الكلام ...)

حق السلطة التنفيذية

فى وضع خطط التعليم

تلى فى الجلسة السابقة اقتراح من النائب المحترم **مكرم عبيد** هذا نصه :

« اقترح أن ينتخب المجلس لجنة من أعضائه لوضع نظام لتنفيذ التعليم الاجبارى للبنين والبنات فى أقرب وقت ، على أن ترفع اللجنة تقريرها الى المجلس فى أوائل الدور العادى المقبل»

أصوات : اقتراح حسن نوافق عليه .

أصوات : يجب أن يحول الاقتراح على لجنة المعارف مباشرة .

« **سعد رئيس الوزراء** » :نعارض هذا الاقتراح ، لانه تدخل فى أعمال السلطة التنفيذية ، اذ مسألة التعليم ووضع خططه حق

من حقوق هذه السلطة ،ولا يصح أن تعين لجنة برلمانية للنظر فى أعمال هى من اختصاص الحكومة ٠ »

أصوات : هذا مشروع قانون٠٠٠

رئيس الوزراء : « اذا كان المقصود هو مشروع قانون ، فلا مانع ٠ أما الاقتراح بنصه الحالى فيعتبر تدخلا فى أعمال السلطة التنفيذية ٠٠٠ »

مكرم عبيد : تلك رغبة ، ولا مانع من أن نضع مشروع قانون٠

رئيس الوزراء : « الرغبة فى محلها ، ولكن تأليف لجنة برلمانية للنظر في خطط التعليم لا تمكن الموافقة عليه ٠ والواقع أن لديكم أعمالا كثيرة ، ويسرنا أن ينار لنا الطريق بابداء الآراء»

محمود علام : سيعمل مشروع قانون ٠

رئيس الوزراء : « هذا شيء آخر ٠ »

سعد رئيس الوزراء

يستأذن مجلس النواب فى التغيب أسبوعا

حضر رحمه الله جلسة مجلس النواب المنعقدة في ٦ ابريل سنة ١٩٢٤ ، واستأذن رئيس المجلس فى القاء كلمة ، ثم قام فقال :

« اريد ان أستودعكم الله ،وأن أستاذنكم فى التغيب عنكم مدة أسبوع ،لأنى تعب ،وقد أشار علي أطبائى بالراحة هذه المدة ، فجئت لأستأذنكم فى ذلك وأشكركم » ٠

أين هذا التقليد البرلمانى مما جرت به الامور بعد ذلك ،اذ كان رئيس الوزارة يغيب شهورا دون استئذان ! لقد كان لسعد من ضعف صحته ومن سطوة نفوذه ومن حكم اللائحة ما يشفع له ولا يرغمه على الاستئذان ، خصوصا أن الغيبة لن تطول أكثر من أسبوع ، ولكنه كان يرى أن للنواب حقا فى تبادل الآراء والبحوث والمناقشات مع الحكومة ، فلا ينبغى أن يتخلف عنهم الا باذنهم ، ولهذا أراد أن يضع هذا التقليد تأدبا رفيعا من رئيس أول وزارة برلمانية !

مرتبات الموظفين

(الجلسة الرابعة والاربعون لمجلس النواب : ١١ يونية سنة ١٩٢٤)

نظر المجلس فى هذه الجلسة تقرير لجنة المالية عن أبواب (الماهيات والأجر والمرتبات) فى الميزانية . وبعد كلام طويل من بعض الاعضاء فى تخفيض مرتبات الموظفين، قام رئيس الوزراء سعد رحمه الله وألقى التصريح الآتى :

« عندما تسلمت الحكومة مقاليد الامور ، هالتها حقيقة زيادة المرتبات ، ووجدت أنها خارجة عن كل حد ، وأن الطريقة التى سارت عليها غير عادلة ، وغير مناسبة لروح الاقتصاد . وقد مضت أوقات طويلة لم يعمل فيها عمل مفيد للدولة ، بل كان معظمه منحصرا فى زيادة مرتبات أو تعديل درجات ! ... هذا نظام مختل جدا ، ومعتل للغاية ، تألمت منه انا واخوانى كل الألم ، ولهذا فانى أوافق حضرة العضو المحترم على المقدمات التى قالها ، وانها لمقدمات يؤسف لها . ولكن الزيادات التى حصلت فى هذه الفترة ، وان كان من أثرها تحسين حالة الموظفين ، الا أنه قد ترتب عليها ضرر كبير حتى بالنسبة للأخلاق . ولكنا وجدنا امام الامر الواقع ، وأمام حقوق يجب علينا أن نحترمها ، فلا يمكننا أن نمس هذه المرتبات ، لأننا لو مسسناها بأية كيفية كانت لترتب على ذلك انقلاب عظيم لا يحسن بنا أن نسعى اليه ، لاننا وان كنا نرى ان الحالة مضرة وغير عادلة ، ولكن من طرف آخر يهمنا جدا أن نبقى فى الموظفين روح النشاط والجد فى العمل . لا يجوز لنا أن نأتى لموظف قد رتب نفسه على صرف ١٠٠٠ جنيه فى السنة ونقول له : لا نعطيك الا ٦٠٠ جنيه ! هذا ضرر يجب علينا أن نتوقاه . ولذلك لم نقدم على اى تنقيص فى مرتبات الموظفين ، ولن نقدم على هذا ، اللهم الا اذا وجدت ضرورة قصوى بحيث لا تمكننا المحافظة على هذه الحالة . وكما قدمت لا يمكن أن نقول لموظف يأخذ ١٠٠٠ جنيه : سنعطيك ٩٠٠ جنيه اولكن اذا خلت وظيفة

واتبها ۱۰۰۰ جنيه، وعينا موظفا جديدا فيها بمرتب ۸۰۰ جنيه ، فان هذا لايضر بحق الشخص الجديد ولا بحق الحكومة .

لذلك ترى الحكومة ان اللجنة التى اقترحت لجنة المالية تشكيلها لاتنظر فى تنقيص مرتبات الموظفين، لان هذا يوجب خللا كبيرا جدا وتكون نتيجته الاعتداء على الحقوق المكتسبة ، والآمال المشروعة التى لها الحق أن توجد ولها الحق فى أن تحترم . وعلى هذا يكون القاعدة التى يجب ان ترسم للجنة ، هى أن تنظر فى ترتيب حالة اقتصادية بالنسبة للموظفين لاتضر بحقوق اكتسبت ، ولا بآمال مشروعة خلقت ، وتوفر على الدولة المبالغ الطائلة . يجب أن يكون هذا هو الاساس، لا التنقيص ، لانا لانرى هذا أساسا صالحا .

هذا مايمكن للحكومة أن تعرضه كأساس لعمل اللجنة المطلوبة .

فمع موافقتى على تشكيل هذه اللجنة ، أرى أن يكون موضوع بحثها قائما على ايجاد طريقة تحفظ على الموظف حقه المكتسب، ولا تضر بصالح الحكومة من الوجهة الاقتصادية (تصفيق).»

الجيش والسودان

(الجلسة التاسعة والعشرون لمجلس النواب : ١٧ مايو سنة ١٩٢٤)

أجاب رئيس الوزراء «سعد» رحمه الله فى هذه الجلسة ، نائبا عن وزير الحربية ، عن اسئلة وجهها أحد النواب الى الوزير . وهذا هو نص الاسئلة والجواب عنها :

رئيس الوزراء ـ وجه حضرة النائب المحترم حسن عبد الرحمن «أفندى» أسئلة لمعالى وزير الحربية هذا نصها:

(١) ما عدد الجيش المصرى العامل الآن ؟ وما هى وحداته؟

(٢) ما هو العدد المعسكر منه فى مصر ؟ وما هو العدد المعسكر منه فى السودان ؟

(٣) هل سردار الجيش المصرى موظف مصرى ؟ وهل هو مرءوس

لوزير الحربية ، ومسئول أمامه عن أعماله ، ويرجع اليه فيها ؟ وهل يتقاضى مرتبا من خزينة مصر ؟

(٤) ألا يرى معالى الوزير أنه لايتفق مع كرامة الدولة المصرية، ولا يتمشى مع روح استقلالها ، أن يكون الرئيس الاعلى لقواتها اجنبيا ، وأن اقامته بالسودان لاتتفق مع مصلحة العمل ؟

السؤالان الاول والثاني : سبق ان اجاب عنهما معالى وزير الحربية بجلسة ١٢ مايو .

أما السؤال **الثالث** فجوابه : نعم ان سردار الجيش المصرى موظف مصرى ، ومرءوس لوزير الحربية المصرية ، ومسؤول أمامه قانونا ، ويجب عليه قانونا أن يرجع اليه في أعماله . أما مرتبه فيتقاضاه من الخزينة المصرية .

والسؤال الرابع جوابه : نعم لايتفق مع كرامة الدولة المصرية أن يكون الرئيس الاعلى لقواتها أجنبيا ، بل ولا الرئيس الادنى أيضا . ولكن هكذا كان من قبل! ويجب علينا أن نمحوه ، كما أن اقامة السردار بالسودان لاتتفق مع مصلحة العمل ، وهذا واقع من قبل أيضا، ويجب أن نتخذ الوسائل لازالة ذلك (تصفيق) .

النائب المحترم **حسن عبد الرحمن** مقدم السؤال : - انى مع ارتياحى العظيم لاجابة صاحب الدولة الرئيس الجليل ، يخيل الى أن القوة الغاصبة والضعف الذى استولى على نفوس الحكام السابقين هما اللذان سلبانا مزايا هذا المركز الذى ترى فيه مصر رمز استقلالها وعنوان سيادتها على جيشها . نعم يخيل الى أن الغاصب عندما عقد الاتفاقية المشئومة - اتفاقية سنة ١٨٩٩ - وضع في المادة الثالثة منها ذلك النص الذى يفوض الرياسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب بالحاكم العام .

رئيس الجلسة - هذه خطبة ياحضرة العضو !

حسن عبد الرحمن - انى أريد أن أقول ان هذه حالة محزنة ، وارجو الحكومة الحاضرة التى تمثل الشعب أن تعين للجيش رئيسا مصريا . وعلى كل حال فانى مغتبط بجواب

دولة الرئيس ، ونأمل أن ننال آمالنا القومية على يد الوزارة التى تحس باحساسنا وتشعر بشعورنا .

رئيس الوزراء - كلنا ولاشك متألمون ، بل نحن ننظر بعين المقت لهذه الحالة ، ولا نحب أن تبقى دقيقة واحدة ، ونريد أن يكون جيشنا ضباطه وجنوده وسلاحه وكل مايتعلق به مصريا . هذه أمانينا وهذا ما نسعى اليه (تصفيق) .

نصائح الى النواب

قدمت لجنة المالية بمجلس النواب تقريرها عن ميزانية السنة المالية ١٩٢٤ - ١٩٢٥ (المصروفات) الى المجلس ، فقام سعد رئيس الوزراء ، فى الجلسة المخصصة لنظر هذا التقرير ، واسدى الى النواب النصائح الآتية :

« ... لا يمكن أن ننجز أعمالنا اذا كنا كلما اتخذنا قرارا عدنا الى المناقشة فيه ، وكلما أخذ الرأى على أمر طلب بعضنا أخذ الرأى فيه ثانيا ، ناسين أنه تقرر قبل ذلك بقليل ! فهذه طريقة يطول شرحها ، ولاتؤدى الى ما نطلبه من النظام . فارجو من حضراتكم أن تعدلوا عنها ، اذ الواجب علينا أن نظهر بمظهر المجد فى أعماله ، وأن نلتزم ما نقره ، ولو كانت هذه القرارات ضد رأى البعض منا .

وانى بصفتى أحدكم ، ويهمنى جدا أن تكون أبحاث مجلسنا الموقر منتجة ، أرجوكم ألا نضيع الوقت فى مناقشات لا طائل تحتها ، فنعيد ما بدأناه ونبدأ ما أتممناه ! وأؤكد لحضراتكم أن كلامى هذا صادر عن اخلاص جم وحب شديد لاعلاء شأن المجلس الذى يجب أن يتفرغ للنظر فى أهم ما لديه الآن وهى الميزانية . وارجو أن توافقونى على ذلك ، فنسير فى أعمالنا سيرا حسنا . واسأل الله تعالى أن يوفقنا الى ما فيه الخير العام . »[1]

حول خطبة العرش

سنة ١٩٢٤

نشر **البلاغ** فى ٢٠ مارس سنة١٩٢٤ تحت عنوان « **خطبة العرش وموقف الوزارة** » تصريحاللرئيس **سعد زغلول** عن موقف وزارته فى حالة ما اذا قرر مجلس النواب تعديل خطبة العرش ، قال فيه :

« ان التعديل يدل فى عرف البلاد الدستورية على عدم الثقة بالوزارة التى هى مسئولة عن الخطبة ، وعدم الثقة بالوزارة يستلزم حتما استعفاءها ، وهذا ما أنا مصمم عليه ، احتراما لارادة نواب الامة ، وعملا بالمادة ٦٥ من الدستور التى هى صريحة فى وجوب الاستقالة عند عدم الثقة ٠ » .

ونشر **البلاغ** فى اليوم التالى أنه فهم من **الرئيس** « أن الوزارة تستقيل أيضا اذا كانت الاغلبية التى يوافق بها النواب على خطبة العرش أغلبية قليلة ٠ »

الامانى القومية

هى الاستقلال التام لمصر والسودان

امتلأت الاندية الخاصة والعامة بالمجادلات والمناقشات فى خطبة العرش ، وانبث نفر هنا وهناك يشككون فى معانيها ومبانيها ، ويوقعون الابهام فيها ٠ وفى مساء اليوم العشرين من شهر مارس سنة ١٩٢٤ ، اجتمع جمهور عظيم من الطلبة من شتى المدارس بحديقة الازبكية ، ولبثوا زمنا يخطب بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا جمعا الى بيت الامة ، وكان الرئيس سعد رحمه الله فى مكتبه ، فخرج الى الشرفة لاستقبالهم ، وعرف منهم شواغل بالهم ، ثم القى عليهم بين هتاف يصم الآذان وتصفيق كانه الرعد القاصف ، هذه الخطبة الآتية :

خطبة الرئيس

« ان للبرلمان الحق التام فى بحث خطبة العرش ومناقشتها ، وله الحرية التامة فى ادخال ما يريد ادخاله من التعديلات . هذا حق ، وهذه حرية ، لا يمكن أحدا أن ينازعه فيهما . ولكن على الوزارة واجبا بازاء هذا الحق ، وهو أن تتنحى عن الاعمال عند حصول هذا التعديل ، لان الوزارة ليست الا قسما من مجلسى البرلمان تخصص لتنفيذ أفكاره والتعبير عنها فى خطاب العرش ، فاذا أدخل النواب تعديلا عليه ، دل ذلك على أن الوزارة لم تحسن التعبير عن أفكاره ، وأنها عبرت عنها تعبيرا غير صادق ، وفى هذا دلالة على سوء الظن بها وعدم الثقة فيها . وبما أن القوة التى ترتكز عليها ، هى هذه الثقة ، فاذا فقدتها أصبحت بغير مسند ، فلزمها أن تترك مناصبها .

هذه قاعدة دستورية معروفة فى جمع البلاد الدستورية ، التى تقضى دساتيرها بوضع خطبة للعرش ، وبالرد عليها . وقد كان الحاصل عندنا قبل العهد البرلمانى الحالى أن الوزارة تبقى فى مراكزها ، حتى رغم ارادة الامة ! بل رأينا أن الوزارة كانت تزداد تشبثا بمراكزها واحتفاظا بها كلما اشتد سخط الامة عليها ! غير أن الوزارة السعدية ، التى أخذت على نفسها فى بيانها الوزارى العهد بأن تبث روح الدستور فى المصالح ، وأوضحت أن أحسن وسيلة لهذا هو القدوة الحسنة ، أرادت أن تأخذ بتلك القاعدة الدستورية ، فتتخلى عن الاعمال اذا قرر النواب تعديل خطبة العرش .

فهذا التخلى ليس تحكما فى ضمائر النواب ، ولكنه قيام بواجب دستورى . والزامها بالبقاء مع حصول التعديل ، هو الذى يصح أن يعتبر تحكما فى الضمائر ، والزاما بما لا يلزم .

ان خطبة العرش لا يمكن حملها الا على ما تضمنه برنامج الوزارة ، والخطب التى تقدمته وصاحبته وتلته ، وفى كل هذا تصريحات جلية بأن مهمة هذه الوزارة هى السعى فى

الحصول على الاستقلال التام لمصروالسودان • ولقد عبرت عن هذا المعنى فى خطاب العرش بعبارة ، ان لم تكن أوسع واشمل واصرح ، فهى على الاقل مساويةلها ، وهى « الامانى القومية لمصر والسودان » ، والذى يقول بغيرذلك : اما جاهل بمدلول هذه العبارة ، أو بما يجيش فى صدور أمتـه من الامانى • والذين يشكون في وطنية الوزارة الحالية واخلاصها لمبادئها ، عليهم أن يثبتوا أولا وطنيتهم واخلاصهم للمبادىء الحقة ! انهم يوهمون بما يقولون ان الوزارة أبهمت فى تعبيرها ، ميلا للانجليز ! فلماذا تميل لهم ؟ وبأى ثمن يمكن الانجليز أن يستميلوها ؟! ان لها فى قلوب ١٤ مليونا من النفوس منزلة رفيعة لم يحلم بها حالم ، فهل أعدوا عددا أكثر من هذا العدد من القلوب ؟ وبنوا فيها منزلة أرفع من هذه المنزلة ، حتى تستمال ؟ وهل هذا فى مقدور البشر ؟ أظن أن هذا رابع المستحيلات !!

وان **زغلولا** ، الذى يراد التشكيك فيه ، لا يمكن أن يتزحزح عن مبادئه ، ولم يخلق الله لغاية اليوم من يمكنه أن يحوله عن عقيدته أو يتحكم فى ضميره • وهو باق على عهده ، مخلص لبلاده ، يردد آناء الليل و أطراف النهار ذلك المبدأ الذى بثه فى طول البلاد وعرضها ، حتى صار شعارا عاما للامة ، الا وهو: **الاستقلال التام لمصروالسودان** •»

مناقشة الرد على خطاب العرش

(١) فى مجلس الشيوخ

كانت لجنة الرد على خطاب العرش بمجلس الشيوخ مؤلفة برياسة «المغفور له» **يوسف وهبه** «باشا» فقدمت تقريرها الى المجلس ، وانتخبت «المغفور له» **أحمد زكي ابو السعود** «باشا» مقررا فى الموضوع • ونظر المجلس تقرير اللجنة فى جلسته المنعقدة يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٢٤ ، فتلى التقرير ومشروع الرد •

ولأجل توضيح المناقشة الآتية ، أثبت الفقرتين اللتين دار حولهما الجدل فى **خطاب العرش** :

وهذا نص **الفقرة الاولى** (وهى الفقرة الثالثة فى الخطاب) :

« لقد وضعت البلاد فيكم ثقة عظمى ، وألقت بها عليكم مسئولية كبرى ، فأمامكم مهمة من أدق المهمات وأخطرها ، اذ يتعلق بها مستقبل البلاد ، وهى مهمة تحقيق استقلالها التام بمعناها الصحيح ••• »

وهذا نص **الفقرة الثانية** (وهى الفقرة الرابعة فى الخطاب) :

« لهذا يحق لى أن أصرح علنا ، باسمى وباسمكم ، أن حكومتى مستعدة للدخول مع الحكومة البريطانية فى مفاوضات حرة من كل قيد ، لتحقيق الامانى القومية بالنسبة لمصر والسودان ••• »

***

بدأ المناقشة « **أحمد زكي أبو السعود** باشا » المقرر ، فقال بعد كلام طويل ان الرد على خطاب العرش « جاء صورة طبق الاصل

تقريبا ، الا فى كلمة فى الفقرة الثالثة ، فقد جاء فيها : (فأمامكم مهمة من أدق المهمات وأخطرها ، اذ يتعلق بها مستقبل البلاد ، وهى مهمة تحقيق استقلالها التام بمعناه الصحيح) ، فأضافت اللجنة بعد كلمتى (مستقبل البلاد) كلمتى (مصر والسودان) ، وهذه الاضافة فى عرف النحاة بدل . »

ثم قال :

« وجاء فى الفقرة الرابعة أن الحكومة (مستعدة للدخول مع الحكومة البريطانية فى مفاوضات حرة من كل قيد ، لتحقيق الامانى القومية بالنسبة لمصر والسودان) ، وقد وافقت اللجنة على عبارة (مفاوضات حرة من كل قيد) ، لانها لو لم تعمل ذلك لاضطرت الى حصر القيود وتعدادها ، وهو مالا يؤمن معه الخطأ . وانما استوقف نظرها عبارة (**الامانى القومية**) ، والمصريون يعرفون الامانى القومية أنها هى الاستقلال التام ، ولذلك أضافت اللجنة من قبيل التفسير أيضا أن الامانى القومية هى (الاستقلال التام لمصر والسودان) . ورأت اللجنة الموافقة على ما جاء بعد ذلك من خطاب العرش ..... »

بعد ذلك قام الشيخ المحترم علي عبد الرازق « بك » فاقترح ردا آخر على خطاب العرش قدمله بقوله :

« لاحظ أن الرد (رد اللجنة) ليس شكرا للخطبة ، ولا مناقشة لها ، والواقع أن فيه ابهاما وغموضا ، لأن العادة جرت فى البلاد الدستورية على أن خطبة العرش تحررها الحكومة وانصارها ، فاذا كان للوزارة أنصار كثيرون فى المجلس ، فلا يصح للمجلس أن يعترض عليها . كذلك فى البلاد العريقة فى الانظمة الدستورية ، يكتفى فى الرد بجملة واحدة ، وهى أنهم يؤيدون خطاب العرش بلا قيد ولا شرط ، ما دامت الوزارة حائزة للثقة . لذلك أعددت مشروعا للرد على الخطبة ، فلتسمح لى اللجنة بهذا التطفل ، لأن المصلحة العامة توجب على ذلك ..... »

ثم تلا مشروع الرد الذى يقترحه ، ذاكرا فيه أن المجلس يرفع الشكر على ما تضمنه خطاب العرش من المبادىء النفيسة

التى يرى فى تنفيــذها اقوم طريقة لوصول البلاد الى السعادة المادية والادبيــة ، وتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان ٠٠»
(تصفيق حاد)

وتكلم بعده كثير من الشيوخ ، ومنهم أعضاء فى لجنة الرد ، فحبــذوا مشروعه ، وعدلوا عن مشروع اللجنة ٠٠٠ ثم قام **سعد زغلول** « باشا» رئيس الوزراء فألقى الخطبة الآتية :

خطبة الرئيس

ايها السادة :

انى لا أريد من هذا الموقف أن ألقى خطابا سياسيا ، ولا أريد أن أبين غامضا فى خطبة العرش ، فان خطبة العرش قد تليت عليكم يوم افتتاح المجلس ، تليت عليكم فصفقتم لها تصفيقا جادا فى أكثر من موضع ، وكانت أول جمــلة صفقتم وهتفتم لها هى الجمــلة التى يدعى بأنها مبهمــة ، تلك الجملة هى : « الدخول فى مفاضات حرة من كل قيد بقصد تحقيق الامانى القوميــة بالنســبة لمصر والسودان » ا أليس كذلك ؟

(أصوات كثيرة : نعم) ٠

الرئيس : المعنى الذى فهمتموه فى ذلك الوقت ، المعــنى الذى استفزكم للتصفيق والهتاف ، هو المعنى الذى قصدته الوزارة من تلك الجملة !

أريد أن أقول اننا نحن الوزراء لسنا أجانب عنكم ، نحن قسم منكم ، قسم من البرلمان تخصص لتنفيــذ أفكاره وآرائه والتعبير عنها ، فهو فى خطبة العرش انما يعبر عن أفكاركم ، أى أن الوزارة فى خطبة العرش تعبر عن أفكار البرلمــان وآرائه : فان كانت احسنت التعبير فبهــا ونعمت ، وان لم تكن قد أحسنت التعبير فالبرلمان يرد بما يدل على أنها لم تحسنه ٠ هذا الرد قد يكون تعديلا ، وقد يكون تفسيرا ، وقد يكون تأويلا ، ٠٠٠ كل هذه عبارات معناها أن الوزارة التى تولت وضع هذا الخطاب ، وتولت التعبير عن أفكار البرلمان ، قد أساءت التعبير عنه ، فان كان

الامر كذلك ، فالوزارة التي تخصصت للتعبير عن افكار البرلمان وتنفيذ آرائه لا يمكنها أن تبقى بعد هذا فى مراكزها .

التفسير المراد ادخاله: اما أن يكون مفهوما من الخطبة ، أو لا يكون مفهوما منها . فان كان مفهوما منها فهو عبث محض ، لانه اذا كان كل قارىء للخطبة يفهم منها ما يفهمه من التفسير ، فاذن لا حاجة للتفسير . وأما اذا كان لا يفهم منها المعنى الذى يراد تفسيره ، ويراد أن يلقى فى ذهن السامع أو القارىء شيء جديد ، فهذا مالا تقبل الوزارة معه البقاء ، لانه يكون بمثابة لطمة لاتتحملها وزارة أجهدت نفسها فى وضع المبادىء وتحرير المعانى لخطبة العرش .

نبئونى يا حضرات الاعضاء ، نبئونى ، اخبرونى : ما الذى يراد بالامانى القومية ؟ هل فهمتم من **الامانى القومية** معنى آخر غير الاستقلال التام ؟ كلا ! الامانى لغة جمع امنية ، والامنية هى ما يتمناه الانسان ، والقومية نسبة للقوم ، والقوم هم المصريون ، والمصريون : ما الذى يتمنونه ؟ يتمنون الاستقلال التام !! (تصفيق حاد) .

حينئذ فالامانى القومية هى عبارة عن الاستقلال التام لمصر والسودان .

ان كان للامانى القومية معنيان: معنى هو الاستقلال التام ، ومعنى هو أقل من هذا الاستقلال، ... كنت أفهم لهذا التفسير معنى ! ولكن اذا كان ليس هناك تعدد فى المعنى ، والعبارة لاتدل الا على معنى واحد هو الاستقلال التام ، فأنا لا أفهم مطلقا معنى لتفسير هذه العبارة الا الرغبة فى ارضاء الخصوم ! أترضون بذلك ؟ أترضون أن وزارة تجهد نفسها ، وتضع خطبة مثل هذه الخطبة ، وتعبر تعبيرا واضحا غير غامض ، وتصفقون لهذا المعنى الذى فهمتوه عندما ألقى عليكم ، ثم يأتى معترض من الخارج ويقول ان هذا المعنى غامض، .. تلغون عقولكم، وتقولون : نعم؟! (تصفيق حاد) : لا أقبل على شرفى وشرفكم أن نتطوح الى هذا الحد ، فتجرح كرامتى أنا الواقف بين أيديكم اذا كنت أقبل تفسيرا لكلمة واضحة ، خصوصا على يد مجلس عال كمجلسكم ، أتعشم

فيه كل خير ، وأعتمد على ثقته في ادارة شئون البلاد ، كيف يمكنني أن أقبل ان أشترك في عمل مع مجلس يضن على بلفظة، يقول انى رغما عنك وارضاء للخصوم أفسر كلامك مع كونه واضحا ! (أصوات : حاشا !حاشا !) أنا لاأقبل ذلك مطلقا! ان الواقف بين أيديكم هو الذى يصيح صباح مساء بالاستقلال التام لمصر والسودان ! (هتاف شديد جدا) ٠

ماهى خطبة العرش ؟ هى عبارة عن الخطة السياسية التى تجرى الوزارة عليها ٠ هذه الخطة السياسية أيها السادة معروفة ، خطة الوزارة الحالية ، خطة كتبت بدماء الشهداء ، كتبت على قلب كل مصرى ، وهى ترمى الى السعى للحصول على الاستقلال التام لمصر والسودان ٠ هذه هى الخطة التى جرت الوزارة عليها ، قبل أن تتولى الحكم وبعد أن تولته ٠٠ فخطبة العرش هى خلاصة للخطب التى سمعتموها ، والمقالات التى قرأتموها ، والبيانات التى نشرت عليكم ، هى خلاصة كل ذلك ٠ هل يخطر فى بال أحد عند قراءتها أن الوزارة تريد أن تتلاعب بالافهام ؟ وأن تغمض وتبهم لكى ترضى قوما لحساب آخرين ؟! ٠٠٠

(أصوات : كلا ! كلا !) ٠

الرئيس – كلا ! وألف مرة كلا! انى أشكر اللجنة كل الشكر على انها قالت انها واثقة كل الثقة بالوزارة ، وأشكرها أن قالت ان هذا التفسير فوز للوزارة ، أى انها لاتشك فى أن تفسيرها موافق كل الموافقة لمقاصد الوزارة !أشكر اللجنة وحضرة المقرر ، ولكن أرجوه وأرجو حضرات اخوانه أن يلتفتوا الى أن هناك فوزا أجدر منه وأليق ، وهو التصديق على خطبة العرش بغير تفسير ! (تصفيق حاد)

تقول انك واثق بى ! ولكن تأتينى بما يرضى خصومى وتقول كما يقول الخصوم ! تقول اننى واثق بالوزارة ، ولكنى أطلب التعديل ! ٠٠ الوزارة لاتحتمل هذا ! لايمكنني ، بصفة كونى وطنيا ، وبصفة كونى رئيسا للحكومة ، وبصفة كونى معتنقا للمبادىء الدستورية ، أن المح ولو من بعيد أن هناك عدم ثقة، مهما غطيت ، ومهما لفت ، ومهما سترت !! لايمكنني بعد هذا أن أبقى دقيقة واحدة فى منصة الحكم ! وانا عوضا عن أن أكون محل مراقبة أتولى المراقبة ٠٠ »

ولم يسع احمد زكي ابو السعود باشا ، (مقرر لجنة الرد على خطاب العرش) بعد هذا الخطاب القوى الا أن يقوم فيقول :

أقدم لحضرة صاحب الدولة جزيل الشكر على الكلمة التى تفضل بأن يلقيها علينا فى موضوع خطبة العرش ، وقد قدمت فى كلمتي السابقة أن النتيجة التى خرجت بها اللجنة كانت فوزا للوزارة ، بمعنى أن المجلس يتفق مع الوزارة فى خطاب العرش لفظا ومعنى ، قلت ان الوزارة قد فازت فى هذا الموضوع ، وكان فى هذا القول ما يغنى عن مدح الخطاب واطرائه . وليسمح لى صاحب الدولة أن أقول كلمة :

انى أرى وأنا أتكلم بلسان اللجنة ، واللجنة تقرنى على ما أقول ، اننا سائرون فى طريق واحد ، وأعتقد اننا سنصل الى غاية واحدة ، أقول أن اللجنة عندما فحصت خطاب العرش لترد عليه وجدت أمامها وثيقة واحدة ، هى خطاب العرش . نعم ان للوزارة برنامجا عاهدت البلاد عليه ، قالت فيه انها تتمسك بالمبادىء التى ترمى الى تمتع البلاد بحقها الطبيعى بالاستقلال الحقيقى لمصر والسودان . هذا برنامج الوزارة ، عاهدت عليه البلاد وعاهدتها البلاد عليه . ولكن ليسمح لى صاحب الدولة أن أقول ان هذا البرنامج لم يكن للآن وثيقة برلمانية ، لانه صدر قبل افتتاح البرلمان وتنفيذ الدستور ، فهو لم يكن عهدا بين الوزارة وبين المجلس ، وانما العهد هو الذى ورد فى خطاب العرش . . . فنحن ، أعضاء اللجنة معذورون فى ألا نبنى حكمنا الا عليه . وقد كنا ملزمين بحكم الامانة التى القيتموها فى أعناقنا أن نحصر بحثنا فى الوثيقة الرسمية ، وهى خطاب العرش . أما الآن ، وقد تفضل دولة الرئيس وصرح أمام المجلس بأن الامانى القومية هى الاستقلال التام ، فهذا هو عهدنا مع الوزارة (تصفيق حاد) .

نحن الآن فى مقام تحديد قاعدة للمفاوضة مع الحكومة الانجليزية ، كما جاء بخطاب العرش ، فيجب أن نتفق على هذه القاعدة . وقد جاء خطاب العرش ذاكرا الامانى القومية ، ويكمله الآن دولة الرئيس بتصريحه بأن هذه الامانى هى الاستقلال التام

لمصر والسودان ، فنحن على هذاالعهد • لذلك أرى ان الخطـاب الذىألقاه دولته الآن يعتبرمتمماالخطاب العـرش ، وأتـكلم الآن بصفتى الشخصية ، فأقول انه يمكن الاســــتغناء عن التفسير بتفسير دولة الباشــا ، ويكون تفسيره أمامنا هو العهد •

رئيس الوزراء ــ « مامعــنىهذا ؟ »

احمدزكى أبوالسعود «باشا» ــمعناه أن كلمة الامانى القومية••

رئيس الوزراء ــ « هــل لك أن تقول لى : كم معنى للأمانى القومية ؟ »

أحمدزكى ابوالسعود «باشا» ــ يمكن أن يفهم منهـا الاجنبى معنى الاســــــتقلال التام لمصروالسودان ، أو الاستقلال التام لمصر وبعض الحقوق فى السودان ،ويمكن أن يفهم منها غير ذلك • على اننى قلت أن هذا التفسـيرأصبح لامحل له بعد التصريح •

رئيس الوزراء ــ « ليس للامانى القومية غير معنى واحد•»

احمد زكى أبوالسعود «باشا»أرى أن الرد الذى أعدته اللجنة أكثر وضوحا ،والكلمةالتفسيرية يمكن حذفها •

رئيس الوزراء ــ الحــكومةتتمسك بالرد الذىاقترحه حضرة على « بك » عبدالرازق ، وأظن ان هذا محل اتفاق ، خصوصــا أن فى خطـــاب العرش اشياءأهملتها اللجنة ،فانها لم تتعرض لما تناوله الخطاب من حماية الامومة والعناية بالاطفال :

احمد زكى أبوالسعود «باشا» ــ قد أشرنا الى ذلك جميعه فى الرد الذى أعددناه •

رئيس الوزراء ــ أرى أن ردحضرة على عبدالرازق بك أوفق•

أصوات ــ موافقون •

رئيس المجلس ــ تمت المناقشة. وأمام حضراتكم نصان للردعلى خطبة العرش : النص الذى أعدته اللجنة • والنص الذى اقترحه حضرة **على عبد الرازق** « بك »

أصوات ــ نؤيد حضرة **على عبد الرازق** « بك »

رئيس المجلس – من يوافق على اقتراح حضرة على عبد الرازق « بك » يقف .

(وقف الاعضاء جميعا) .

(تصفيق حاد) .

رئيس المجلس – هل يوجد بين حضراتكم من يخالف هذا الرأى؟ ان كان كذلك فليقف المعارض .

(لم يقف أحد) .

(فأعلن الرئيس ان المجلس قرر بالاجماع الموافقة على الرد الذى اقترحه حضرة على عبد الرازق (بك) .

حافظ « بك » السيد – أرى ان خطاب العرش جدير بأن يكتب بمداد من الذهب .

رئيس الوزراء – لايسعنى أمام هذا القرار الاجماعى الا أن اقدم عبارات الشكر لمجلس لمجلس الشيوخ ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقه وأن يوفق الوزارة مع البرلمان الى أن يشتغلوا لخير البلاد ، يشتغلوا لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان .

(تصفيق طويل حاد) .

(٢) فى مجلس النواب

وجرت مناقشة فى مجلس النواب فى مشروع الرد على خطاب العرش فى جلسته التاسعة (٢٩ مارس سنة ١٩٢٤) ، فتلى كتاب اللجنة ومشروع الرد ، وهو لايقبل تعديلا أو تفسيرا فى الخطاب ، وتكلم اعضاء كثيرون فيه ، ثم ألقى سعد زغلول (باشا) رئيس الوزراء خطبته الآتية :

خطبة الرئيس

« زملائى الكرام :

اقدم واجبات شكرى وشكر الوزارة : أولا للجنة التى شكلت لوضع الرد على خطاب العرش ، وثانيا لحضرات الخطباء الذين أعلنوا أنهم واثقون تمام الثقة بالوزارة الحالية • أشكرهم من كل قلبى على هذه الثقة التى أعلنوا أنها تامة ، وباسم هذه الثقة وبالاستناد اليها ، أؤكد لكم أن خطاب العرش واضح ، وأنه معبر عن أمانى الامة جميعها ••• (تصفيق طويل) •

وانى فى وضعه مع زملائى حافظت كل المحافظة على الابانة عن أمانى الامة كما ينبغى ، والدليل على ذلك أنكم استحسنتموه عندما سمعتموه ، وكنتم متروكين لعواطفكم الشريفة • استحسنتموه استحسانا تاما ، ذلك لانكم رأيتموه معبرا عن آرائكم • وقد قال بعض خطبائكم ان التفسيرات التى تريدونها غير مخالفة لنص الخطاب ، أعنى أنها داخلة فيه • فان كانت داخلة فيه ، فلماذا تلك الاضافات ؟ مم تخشون ؟ أرجوكم أن تتأكدوا أن الخطاب لايقيد غير الوزارة الحاضرة ، بحيث لو استقالت فالخطاب لايقيد وزارة أخرى • فما معنى الاضافة التى تريدونها أو يريدها بعضكم ؟

لماذا تطلب ؟ ولمن تقيد ؟ أللشخص الذى تعلنون الآن أنكم واثقون به ثقة تامة ؟ أليس كذلك ؟ ان هذا العاجز المتشرف بخطابكم ، لايستطيع مادام متشرفا بثقتكم التامة أن يقبل شيئا يضعفها أو يشوبها •• (تصفيق طويل) •

لو قبلت ذلك ــ مهما حسنت نيات القائلين ــ لكنت غرا ! ولا يليق بكم أن يكون زعيمكم غرا ، ولا يليق بى أن أكون غرا تخدعنى الاقاويل !

يقولون : نحن مقبلون على مفاوضات • ليست هذه أول مرة تفاوضنا فيها وحفظنا حقوق الامة كاملة قبل أن يكون للامة نواب غيرنا !! (تصفيق وهتاف) فممن يخشى الخاشون ؟ وممن

يخاف الخائفون ؟ وأى عبـارة فى الخطاب يمكن لنا أن نرتكز عليها ويكون معناها اذا تركت كما هى مضرا بمصلحة البلاد ؟ أرونى !

فاننى لاأرى أى عبارة اذا تركت وشأنها تكون محلا للتلاعب ، أى لتلاعب زعيمكم الذى تثقون به !(أصوات :حاشا ! حاشا وكلا !)

الرئيس : أنا فخور بهذه الثقة ! فخور كل الفخر ! وهذه الثقة ضمانة لان أكون دائمـا عندها ،لانه ليس فى الوجود أثمن ولا أنفس ولا أغلى من أن تثق أمة بابنها !(تصفيق حاد)

هنا أريد أن أتحدث لحضرة زميلى صوفانى بك فيما أشار اليه من الاقوال ، لاريحـه ، وان كانما سـأقوله ليس داخـلا فى الموضوع . »

(وهنـا تكلم عن رأيه فى دستور سنة ١٩٢٣ ، وهو الرأى الذى سبق بيانه .)

ثم استمر فى خطبته قائلا :

« ننتقل الآن للنقطة الاخرى الخـاصة بتصريح ٢٨ فبـراير : اعتـرضت على هـذا التصريح ،وبصفة كونى رئيس الحكومة أقول اننا لسنا مرتبطـين به . ولقدأشرت الى هـذا المعنى فى خطاب العرش ، اذ جاء فيـه : « انـا مسـتعدون للدخول مع الحـكومة البريطانية فى مفاوضات حرة من كل قيد » . فان كان هذا التصريح قيدا فقد صرحنا بأننا ندخل فى المفاوضات أحرارا منه ، وان لم يكن قيدا فلا شأن لنا به .

زيادة الجيش وقوته : ألم نطلب شيئا يتعلق بذلك ؟

نحن ننادى بالاستقلال التـام لمصر والسودان . ومعنى هـذا أننا نسعى لنكون دولة مستقلة ،لايحمينا جام ، ولا يمنع الاعتداء علينا أجنبى . فاذا كان هذا هو ما نسعى اليه ، فكيف يقال أننا لم نشر الى الجيش وقوته ؟ أيتحقق الاستقلال اذا تركت حدود البلاد بغير جيش يحميها ؟!

عندكم طريقة لتقوية الجيش ،ولزيادة البحـرية ، بل الطـيران أيضا . سيعرض عليكم مشروع الميزانية ، فان كانت هناك رغبة ومصلحة للبلاد فى زيادة اعتمادات فاطلبوها لتقوية الجيش وغيره ، ولا شىء يمنعكم من ذلك .

اخوانى :

ارجوكم أن تلقوا سمعكم لماأقول ، كلامكم هنا ليس كلام رجال غير مسئولين ، بل أنتم مسئولون عن كلامكم وطلباتكم ، فافرضوا أنكم طلبتم من الوزارة طلبا ، وكان القصد منه تعجيزها - لاسمح الله - فهذا التعجيز لايكون لها وحدها ، بل يكون لكم أيضا ! أما اذا كان الامر يتعلق بى وحدى ، وكان قصد الطالب تعجيزى ، ولم أفعل ، فيكون قدأعجزنى فعلا .

ولكن هناك طلبات - لا أقول ذلك بمناسبة الجيش - لاتتعلق بى وحدى ، ولا بالوزارة ، بل تتعلق بالاجانب ، وبالدول الاجنبية، فأرجوكم أن تستشعروا بما عليكم من مسئولية . اذا طلبتم طلبا ، فعلى أن انفذه ، ولكن يجب عليكم أن تتبصروا فى :هل يمكنكم أن تسيروا فيه الى النهاية ؟ وأن تتحمل البلاد مسئوليته ؟ .. فاذا كنتم بعد انعام النظر وتدقيق الفكر ، تجدون فى تنفيذه مصلحة فاقدموا عليه ، ومرونى بتنفيذه وانا أنفذه وأرى الشرف فى تنفيذه ! (تصفيق حاد)

يمكن لكاتب فى جريدة أن يكتب مايريد، لانه غير مسئول . يستطيع أن يكتب مايجعله أشد وطنية منى ومنكم ! وأنه لايطلب للبلاد السودان وحده ، وانما يطالب بما وراء السودان ! بل بقطعة من أوربا أيضا ! .. يمكنه أن يقول ذلك ، لانه غير مسئول! .. ولكن نائبا فى مجلس النواب المصرى ، يدعو الى أمر ، ويحمل اخوانه عليه ، يجب أن يذكر انه مسئول هو واخوانه اذا قبلوه ، واذا كان فى رأيه خطر على البلاد، كان هو واخوانه مصدر ذلك الخطر ، وعليهم تقع نتائجه .

أشير بعد هذا الى **قانون التعويضات** :

استنكرت أنا وزملائى قانون التعويضات ، ولا زلت الى الآن استنكره (تصفيق) .

لم تكتف الوزارة السابقة بأن جعلته قانونا ، بل جعلته معاهدة بين مصر وبريطانيا ! فهل يمكننا أن ننقض معاهدة ، بمجرد أن **زغلولا** تسلم الحكومة ، وقال انه استنكر هذا القانون ، فلا ينفذ هذه المعاهدة !

هل تأخذون على عاتقكم مسئوليـة ذلك ، وأنا فى الحـال انذر الدولة الانجليزية به ؟

لقد بحثت أنا وزملائى الامركما ينبغى ، وحفظنا فيه حقوق البلاد . قلنا ان الوزارة الحـاليةلاتقر هـذا القـانون ، وتعتبره مرهقا للخزينة ، مخالفا للدستور،ولكن ، اجتنابا لسوء التفاهم ، تقبل الوزارة أن تنفذ منـــه مااقتضته الضرورة من المحافظة على حقوق الافراد المكتسبة ، بشرطخفظ الحق لها فى مناقشة هـذا القانون فى المفاوضـــات المقبلة(تصفيق) .

هـذا مااســتطعنا فعله ، وقد قمنا به قبل أن يطلبه منا طالب، لاننا استنكرناه ونستنكره :

وهناك ظرف آخر ، يمكن ان يكون فى مصـلحتى أن أبوح به ، ولـكن اعلانه ليس فى مصـلحةالبـلاد ، فأرجئـه لوقت آخر ، وستعلمون منه أننـا حافظنا كل المحافظة على حقوق البلاد .

أبشركم ، أيهـا السـادة ، أن الثقـــة التى وضـعتموها فى ، وأعلنتموها ، هى فى محلها ، وأسأل الله أن يمد فى حياتنا جميعـا حتى نحصل على حقوقنا جميعا . »

(أصوات : آمين آمين) .

***

وبعد أن انتهى الرئيس من خطابتـه ، أقفل باب المناقشـة ، وتقررت الموافقة على مشروع الردالذى عرضته اللجنة ، موافقة من جميع الاعضـاء الا ثلاثة ، هم :عبـــد اللطيف الصوفانى بك ، ومحمد عبد الجليل ابو سمرة بك،وعبد الحميـد سعيد بك رحمهم الله »

ثم وقف الاستاذ مكرم عبيد (مقرر لجنة الرد على خطـــاب العرش) قائلا : « ان لجنة الردعلى خطاب العرش تقترح بهـذه المناسبة انيقام أثرتاريخى لسعدباشـا داخل البرلمـان تخليـدا لذكره ، يقال فيه انه استحق تقدير الامة وشكر الوطن . فمن يوافق على هذا الاقتراح فليقف »فوقف الاعضاء ، فقال الرئيس : « انا كلى شكر لحضراتكم » .

فى المفـاوضات بين مصر وانجلترا

الرئيس يسـال المستجـوب : على أى مبدأ انتخبت ؟ !

(الجلسة الخامسة والعشرون لمجلس النواب : ١٠ مايو سـنة ١٩٢٤)

تلى فى هذه الجلسة استجواب بخصوص المفاوضات ، موجه من النائب المحترم السيد فوده «بك» الى رئيس الحكومة ، وبعد أن ألقى الرئيس جوابه عنه جرت مناقشة بينه رحمه الله وبين بعض الاعضاء المحترمين . وانقل فيما يلى نص الاستجـواب ، فالجـواب ، فما تبعهما من مناقشة :

السيد فوده «بك» ــ لا يخفى على دولة رئيس الحكومة أن تركيا قد تنازلت عن السـيادة التى كانت لهـا على مصر ، وبذلك أصبحت دولة ذات سيـادة فى الداخل والخارج ، طبقا لقواعـد القانون الدولى ، وقـد اعترفت انجلترا بذلك الاسـتقلال ، وكذلك دول أوربا ، فاذا كان الامر كما ذكر ، فلأى سبب لم تخـرج الجيوش الانجليزية من أرض **مصر والسودان** لغاية الآن ، مع أن انجلترا وعدت مرارا **بجلاء** جنودها متى استتب الامن ، ولله الحمـد الامن مستتب ، والأمة المصرية السـودانية هادئة مطمئنة ؟؟

هل توجد حقيقة مبادىء **مفاوضة** بين دولة الرئيس وحكومة انجلترا بخصوص جلاء الجنود الانجليزية عن أرض مصر والسودان؟ فاذا كان الامر كذلك ، فهـل لانجلترا **مطالب** من الدولة المصرية نظير جلاء جنودها ؟ وهل يمكن دولة رئيس الحكومة أن يقول لنا ما نوع هــذه المطالب ، حتى يتحقق المجلس من أنها لا تمس اسـتقلال البـلاد فى الداخـل والخارج ؟ وعلى هذا أطلب من دولة الرئيس ان يبين **خطـة** الحكومة نحو المفاوضـة ، حتى يتناقش المجلس فيها ويكون على بينة من أمرها .

« سعد زغلول » رئيس الوزراء ـ ليسمح لى حضرة العضو المستجوب فى أن اشك كثيرافى ان يكون هذا استجوابا، لان الاستجواب يرمى فى الحقيقةالى نوع من الاتهام ، أعنى أنه عبارة عن تحريك مسئوليةالحكومة أمام مجلس النواب • وما اظن أن هذا الاستجواب ينطبق على حقيقة ما يقصد منه ! ومع هذا اجارى حضرة العضوفى اعتباره استجوابا ، واجيب :

يقول حضرته : بما أن مصرصارت دولة مستقلة ، فما هو السبب فى بقاء العساكرالانجليزية ؟! وأنا ايضا لا أفهم معني لذلك ! لانى أرى ان هناك تناقضا بينابين الاستقلال ووجود الاحتلال ! اذن فالسبب غيرمفهوم ! وهذا جوابى عن السؤال الاول !

أما الجواب عن الجزء الثانى ،الخاص بوجود مبادىء مفاوضة ، فبالسلب • وبناء على ذلك يسقط الجزء الثالث من الاستجواب ، لانه مبنى على أن يكون الجواب عن القسم الثانى بالايجاب •

أما طلب ايضاح عن خطة الوزارة فى المفاوضات ، فاقول أن خطة الوزارة مبينة بكل وضوح فى بيانها الوزارى الذى نشر على الأمة ، وفيما اظن أنه حازاستحسان الأمة جميعا ، كما أن المفاوضة لها غاية معينةتعيينا تاما فى خطاب العرش الذى صدقتم عليه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان ما يمكن أن تؤدى اليه المفاوضات سيعرض على البرلمان ، وله حينئذ الرأى الاعلى فى أن يقره أو لايقره •

ولا أرى هناك فائدة لبيان أزيد من ذلك ، لأن مبدأ الوزارة معلوم ، وهو مبدؤكم جميعا :السعى فى الاستقلال التام لمصر والسودان ، ولا يختلف فى ذلك اثنان ، وغاية المفاوضة هى تحقيق هذا المبدأ • وازيد على ذلك اننا لا ندرى الى الآن ما اذا كنا سندخل فى مفاوضات أم لا ؟ لذلك أرى أن هذا الطلب سابق لاوانه •

السيد فوده «بك» ـ اشكر دولة الرئيس ، وارجو اذا ما

عولت الحكومة على الدخول فى المفاوضـــات أن تحيط المجلس بذلك وبالأســاس الذى تدخل عليه .

رئيس الوزراء ــ اذا أرادت الحكومة أن تدخل فى مفاوضات ، فانهـــا ستخبركم ، ولكنها لاتخبركم بأكثر مما قلته الآن .

السيد فوده «بك» ــ ولكنناقرأنا فى الجرائد ...

رئيس الوزراء ــ لا تصدق ماتقرؤه فى الجرائد ، وصدق ما أقوله لك ! (تصفيق) .

السيد فوده «بك» ــ قرأنا فى الصحف أن انجلترا لا تدخل فى المفاوضة الا على أساس **تصريح** ٢٨ فبراير (ضجيج) .

رئيس الوزراء ــ لا محل لسوء الظن ، فكلنا وطنيون ، **وعلى أى مبدأ انتخبت ؟**

السيد فوده «بك» ــ على مبدادولتكم (تصفيق طويل) .

رئيس الوزراء ــ اذن انتهينا !!

محمد عبدالجليل ابوسمره «بك» ــ هل تنوى الحكومة وضـــع برنامج للمفاوضات وعرضه على البرلمان قبل البدء فى المفاوضة ؟ وهل وجود الجنود البريطانية فى أية بقعة من وادى النيل لايتناق مع الاستقلال ؟

رئيس الوزراء ــ هل هذا استجواب جديد ؟!

محمد عبد الجليل ابو سمره «بك» ــ أريد استفسارا بناء على استجواب السيد فوده «بك» .

رئيس الوزراء ــ نحن متفقون على أن هذا تناقض ، وانه لا مناسبة بين الاستقلال والاحتلال .

محمد عبد الجليل ابو سمره «بك» ــ وبرنامج المفاوضات ؟!

رئيس الوزراء ــ أريد أن أفهم معنى هذا ! وهل تقصد به : من أى طريق نذهب الى **لوندره** ؟من طريق باريس أم من طريق آخر ؟

محمد عبد الجليل ابو سمره «بك» ــ ان هناك مسائل جدية

يريد الانجليز الاحتفاظ بها ، كنقطة عسكرية على قنال السويس للمحافظة على طرق المواصلات (مقاطعة وضجيج)

ارجو من المجلس ان يسمح لي بالكلام ، لأن هناك مسائل هامة تتنافى مع الاستقلال ، وانجلترا تريد أن تتفاوض معنا على أساسها . لذلك نريد ان نعرف اذا كانت الحكومة ستعرض على البرلمان برنامج المفاوضة أم لا ... (مقاطعة)

عبد اللطيف الصوفاني «بك» ـ أعتقد ان ما أثار الكلام فيما يتعلق بالمفاوضات المنتظرة ـ مع احتفاظي برأيي بشأن المفاوضات أصلا عند سنوح الفرصة ـ هو ما نقله البرق الينا من التصريحات الصادرة من مصادر رسمية : كتصريح المستر **مكدونالد** أخيرا في البرلمان البريطاني ، الذى قال فيه : انه يتمسك بالسياسة التى أقرها البرلمان في ١٤ مارس سنة ١٩٢٢ ، وهى الموافقة على **تصريح ٢٨ فبراير** . نعم لهم أن يقولوا ما شاؤا ، ولنا أن نقول ما نشاء . فلا حرج علينا اذا أزلنا عن نفوسنا ومن نفس من يتأثر بمثل هذا التصريح ما علق بها . لهذا ارجو دولة **الرئيس** ان يصرح بأن المفاوضة المقبلة لا تكون على هذا الاساس ... (مقاطعة) .

اخواني : نحن أولى الناس بالحذر ، وأكثرهم حاجة الى الايضاح .

رئيس الوزراء ـ قل ما تشاء وأنا أريحك .

عبد اللطيف الصوفاني «بك» ـ أرجو ان يصرح دولة **الرئيس** بأننا لسنا ملزمين **بتصريح ٢٨ فبراير** ، وان أساس اعمالنا **الاستقلال التام لمصر والسودان** .

رئيس الوزراء ـ وهل اذا أجبتك لذلك ترضى بالمفاوضة ؟ (ضحك) ...

عبد اللطيف الصوفاني «بك» ـ أرجو ألا تشترط على .

رئيس الوزراء ـ قال **رئيس** الوفد المصرى أنه **يستنكر تصريح ٢٨ فبراير** ، ويقول رئيس الوفد المصرى **ورئيس** الحكومة الحالية

انه يستنكر هذا التصريح ... (هتاف وتصفيق طويل) .

فليصفق **الصوفانى** «بك» أيضا وليترك سوء الظن .

الصوفانى « بك » ـ أصفق اذا كانت المفاوضة طبقا لمبدئى ، وهو **الجلاء** قبل المفاوضة .

رئيس الوزراء ـ واذا ما دخلت الوزارة الحالية فى المفاوضات ، فلا تدخلها مطلقا الا حرة من كل قيد .

الصوفانى « بك » ـ حتى من التحفظات ؟

رئيس الوزراء ـ أقول لا تدخلها الا حرة من كل قيد ، والا مستنكرة محتجة على أن لانجلترا حقا فى الاحتفاظ بالنقط الاربع !

اخوانى ! نحن كلنا هنا وطنيون ، ولنا قصد واحد كما قلت فى بيان الوزارة وكما جاء فى خطاب العرش . وهذه مأموريتى التى عاهدت الامة عليها ، وهى السعى فى الاستقلال التام لمصر والسودان (تصفيق طويل) .

لا أدرى ماذا يراد منى ؟ هل يراد أن أقول كل يوم ، واصيح كل صباح ومساء ، انى أنكر **تصريح ٢٨ فبراير** ؟ يحسن بنا أن نسير بثقة تامة ، لانكم انما تثقون بشخص وقف حياته على خدمتكم (تصفيق) .

عبد الرحمن الرافعى « بك » ـ أرجو من دولة الرئيس الجليل أن يعتقد تمام الاعتقاد أن كل **سؤال او استجواب** ، يوجه الى الوزارة عن المفاوضات أو غيرها ، لا يدل على الشك أو عدم الثقة بالوزارة . انما الغرض من ذلك أن نستنير فيما يتعلق بالمسائل العامة التى تشغل بالنا ، وعلى الاخص اذا القيت فى **مجلس العموم** البريطانى تصريحات تتعلق بالمسائل المصرية وبالمفاوضات ، لانه لا يجوز أن تلقى هذه التصريحات فى برلمان انجلترا ونمر عليها ساكتين ، بل يجب أن يكون لها صدى فى **مجلسنا** ، حتى تشعر الحكومة الانجليزية والجمهور البريطانى أننا نتمسك بحقوقنا .

ومن غرائب الصدف أنه بعد أن تقدم هذا الاستجواب بمدة طويلة ، القيت فى ٨ مايو سنة ١٩٢٤ تصريحات فى مجلس

العموم البريطاني ، فاه بها رئيس الوزارة الانجليزية ، وقال صراحة ان المفاوضات التي ستجرى بين الحكومتين الانجليزية والمصرية ستكون قائمة على السياسة التي أقرها البرلمان الانجليزي في ١٤ مارس سنة ١٩٢٢ ..!

سادتي : لا يصح مطلقا ان نسكت على هذه التصريحات ، لاننا اذا رجعنا الى السياسة التي أشار اليها رئيس الوزارة الانجليزية نجدها قائمة على تصريح ٢٨ فبراير . فالحكومة الانجليزية قد دعت الحكومة المصرية رسميا للمفاوضة ، وتلغراف رئيس الوزارة الانجليزية الذي تلاه دولة الرئيس الجليل يوم افتتاح البرلمان هو دعوة صريحة للمفاوضة . فهذه الدعوة مقيدة بشروط ، وهذه الشروط هي تصريح ٢٨ فبراير . فمطلوب منا أن نقول ان كنا نقبل هذه الدعوة أم لا .

يجب ألا يغيب عن الاذهان أن كل المفاوضات التي دارت بين مصر وانجلترا كانت كلها بناء على دعوة من الحكومة الانجليزية : اذ المفاوضات **الاولى** مع الوفد المصري كانت بناء على دعوة من المستر هرست ، وكذلك **المفاوضات** الثانية مع الوفد الرسمي كانت بناء على خطاب ورد على جلالة الملك ، والمفاوضات الأخيرة تطلبها أيضا انجلترا . فاذا ما قبلنا هذه الدعوة ، نكون قد قبلنا ضمنا الشروط التي يشترطها صاحب الدعوة . لهذا أرجو بكل اخلاص وصدق أن ننتهز هذه الفرصة ، فنجيب على تصريحات رئيس الحكومة الانجليزية ، حتى تنقل الاسلاك البرقية الى جميع الانحاء أن تلك التصريحات تقابلها **مصر** بالرفض التام .

واسمحوا لي أن أقول لحضراتكم ان تصريحات المستر مكدونالد الاخيرة قاسية وشديدة جدا ! واذا قارنا بينها وبين التلغراف الذي أرسله المستر **ماكدونالد** لدولة **الرئيس** نجد ان تصريحه الاخير أشد دلالة على سوء نية الحكومة الانجليزية ، لأنه حينما يقول أن المفاوضات القادمة ستكون على أساس السياسة التي تقررت في ١٤ مارس سنة ١٩٢٢ ، فمعنى ذلك ان الدعوة الموجهة الى الحكومة المصرية مقيدة بتصريح ٢٨ فبراير . لذلك يجب على

البرلمان المصرى أن يعـــرب عن رأيه صراحة ، والا عد سكوته اقرارا ضمنيا بقبول التحفظــات الواردة فى هذا التصريح ، وقبول الدعوة المقيدة بهذه التحفظات •

رئيس الوزراء ــ أظن بعد الكلام الذى ألقيته على حضراتكم أنه لا داعى ولا اقتضاء للمناقشة ، لانى كنت صريحا جدا • وانى لست مرتبطا بما يقوله **رئيس** الوزارة الانجلـيزية فى **مجلس** النواب البريطــــانى ، ولكنى مرتبط بالدعوة التى ترد الى : فاذا كانت الدعوة مطلقة ، وكنت أرى أن أدخل المفاوضة طليقا من كل قيد ، دخلتها • ولغاية الآن لم أتقبل دعوة تفيد التقييــد ، وانما الذى تقبلته دعوة غير مقيدة، فيصح لى أن أقول انى اذا قبلت الدخول فى المفاوضات انما أدخل فيها حرا من كل قيد • اذا تكلم رئيس الحكومة الانجليــزية بأن المفاوضات على أساس **تصريح ٢٨ فبراير** ، فلا يقيدنى هــذا اذا كانت دعوته لا تشمل هذا القيد• فأرجو حضراتكم ان تثقـــوا كل الثقة بما أبديته من أنى لا أدخل فى المفاوضـــات الا على أمل أن نحصل على **الاستقلال التام لمصر والسودان** ، وان لم يكن هـــذا موجودا فلا أدخلها ، ولا أقــرب منها ، بل لا أبقى فى الحكومة أيضا •

فهل أنتم موافقون على هذه السياسة ؟ (تصفيق حاد متكرر)

السكرتيرية النيابية ــ ورد من حضرة **حامد الشواربى «أفندى»** الاقتراح الآتى ، وهو :

« بعد سماع تصريحات دولة **رئيس الوزراء** ، يعلن **المجلس** عظيم ثقته بالحكومة ، وموافقته التامة على سـياستها ، ويقــرر الانتقـــال الى نظر غير ذلك من الاعمال »

رئيس الجلسة ــ غير الموافق على هذا الاقتراح يقف •

عبد اللطيف الصــوفانى « بك » ــ **أثق** بالوزارة ، وأرفض المفاوضات قبل **الجلاء** •

عبد الرحمن الرافعى « بك » ــ مع ثقتى بالوزارة تمام **الثقة** أرفض دعوة المفاوضـــــات على الأساس الذى بينه رئيس الحكومة الانجليزية •

رئيس الوزراء ــ اذن اثنان •

محمد عبد الرحمن الصباحى« أفندى » ــ اذن المجلس وثق **بالاجماع** •

سعد يهزمه أنصاره

هزيمة أجـل قدرا من النصر

انعقدت الجلسة الحادية والستون لمجلس النواب فى اليوم الأول من يوليه سـنة ١٩٢٤ ، وفرغ المجلس من أعماله فى زمن وجيز ، فقرر نظر مادة واردة في جدول أعمال الجلسة التالية ، ما دام الوقت متسعا، وكانت هذه المادة هى « **قانون الاجتمـاعات والمظاهرات** » الصادر فى عهـد وزارة **يحيى ابراهيم** « باشا » ، وكان قانونا رجعيا باتفاق الحكومة والبرلمان والرأى العـام ، فلما نظره المجلس قرر الغاءه ، ولم يكن أحد حاضرا عن الحـكومة ، فلم يؤخذ رأيها فى القانون أو فى الغائه . وكانت لسـعد وجهـة نظر ، فحضر فى الجلسة التالية التى انعقدت يوم ٢ يوليه ، والتى كان القانون مدرجا فى جـدول أعمالها ، فاعترض واحتج عـلى موافقة المجلس على الالغاء ، دون أن يطلب من الحـكومة ابداء ملاحظاتها ، ولكن مجلس النواب **صمم** على موقفـه وأحال مشروع الالغاء على **مجلس الشيوخ** .

كانت جلسة ٢ يوليه من أروع الجلسات ، وقف فيها **سـعد** وحده أمام المجلس **كله** ، ودارت مناقشات عنيفة وجدل لا هوادة فيـه ، وصمم **النـواب** على أنهم استعملوا حقهم فى الالغاء ولم يخطئوا فى نظر القانون فى غير موعده المحدد له ، وفى غيبـة الحـكومة ! بل هم ذهبـوا فى العناد الى أنهم لا يعودون عن قرار الامس ولو كانوا مخطئـين فى اتخاذه ! وكانت الحلول تتساقط واحدا بعد آخر ، لا يقوم منها حل وسـط بين الحكومة والمجلس . وحسب القوم ألف حساب الآن ينهزم سعد زعيم الاغلبية الساحقة فى مجلسى البرلمان ، وكلما قام متكلم ظنوا أنه سيناصر **سـعدا** ويقـوى جبهتـه ، فيخلف ظنهم ويدلى بحجة أقوى من سـوابقها

لاتؤيد الحكومة ! واستمر هجوم النواب واشتدت صلابتهم فى موقفهم ، ولم ينصر سعدا غير عدد أقل من أصابع اليد الواحدة ، وكانت القاطعات التقليدية نصيب من يناصر الحكومة أو يقترح حلا وسط بينها وبين المجلس ٠

بلغ العناد ذروته بين المعسكرين : الحكومة ويمثلها سعد وحده مدافعا مناضلا ، والنواب الثائرين الذين حمدوا الله أن هيأ لهم فرصة الغاء هذا القانون الرجعى دون أن يلقوا فى الالغاء عناء ٠ وكان فى مستطاع الرئيس ، رئيس الوزراء ، أن يلجأ الى عرض الثقة بوزارته ، كما لجأ ممثل الاغلبية فى مجلس النواب الأخير « جلسة ١٩ مارس سنة ١٩٥١ » ، فتتهاوى الحجج ، وتتراخى القوى ، وتنتصر الحكومة نصرا مؤزرا ٠٠٠ ولكن سعدا كان رجل الحجة ، رجل الاقناع والمنطق ، رجل الشورى ، رجل الحياة النيابية ، وكان البرلمان أول معهد يفتتحه سعد لتلقين المبادىء الديموقراطية وارساء قواعدها فيه ، فلم يشأ لأعضائه أن يكونوا (نمرا) كما أريد لخلفائهم من بعدهم ، بل سلم لهم راية النصر على زعيمهم ، وهم أنصاره ، وكانت هزيمته فى شرعة الديموقراطية والحياة النيابية من أكبر مواقف الانتصار التى خلدها له التاريخ ٠

لقد كانت هزيمة أجل قدرا من النصر !! فليشهد القراء معركتها فى الفصل التالى نقلا عن مضبطة مجلس النواب ٠٠٠

قرارات البرلمان فى غيبة الحكومة

بمناسبة قانون الاجتماعات والمظاهرات

(الجلسة الثانية والستون لمجلس النواب : ٢ يولية سنة ١٩٢٤)

« **سعد زغلول** » رئيس الوزراء — لى ملاحظة يا معالى **الرئيس** ، وهى أن المجلس نظر أمس **قانون الاجتماعات** فى غيبة **الحكومة** ، ولم يكن هذا القانون مدرجا فى **جدول** الاعمال ، فهل يمكن أن يتناقش المجلس فى موضوع لم تكن الحكومة معلنة به ؟ وهل يمكن أن يتخذ قرارا فيه فى غيبة الحكومة ؟

أصوات — لم نسمع ٠

رئيس الوزراء — المسألة التى أريد عرضها على حضراتكم هى أنكم نظرتم **قانون الاجتماعات** ، مع انه غير وارد **بجدول** الاعمال ،

ولم تكن الحكومة حاضرة . فهل يجوز أن يتخذ مثل هذا القرار في غيبة الحكومة ؟ هذا ما أردت طرحه على حضراتكم لابداء الرأى فيه .

عبد السلام فهمي جمعه « بك » – ولكن القرار قد صدر .

رئيس الوزراء – هذه مسألة هامة من حيث المبدأ فى ذاته ، لانه اذا كانت الحكومة علمت بطرح موضوع للبحث ولم تحضر ، فمعنى هذا أنه سيان عندها القرار الذى يصدر فيه . ولكن الحكومة غائبة ، فاظن أن هذا لا يكون عملا قانونيا . وانى أستبعد كثيرا أن تعتبروا هذا العمل صحيحا من الوجهة القانونية .

عبد السلام فهمي جمعه « بك » – على كل حال مفروض أن الحكومة قدمت القوانين وأنها تعرفها .

رئيس الوزراء – الحكومة قدمت القوانين ، ولكنها لاتعرف رأى المجلس فيها .

عبد السلام فهمي جمعه « بك » – على كل حال يراعى ذلك فى المستقبل ، أما العدول عن قرار أمس فأمر صعب حصوله .

رئيس الوزراء – المسألة خطيرة ! وانى أعتبر الحكومة جزءا من المجلس ، يحق لها أن تشترك فى مناقشاتكم . والمسألة هى : هل يجوز للمجلس أن ينظر مسألة غير واردة بجدول الاعمال ؟ وأن يتخذ فيها قرارا فى غيبة الحكومة التى لاتعلم بعرضها على المجلس؟

شفيق منصور « أفندى » – لا أرى ما يمنع ذلك ، والقانون مع تقرير اللجنة قد وزع علينا كما وزع على الحكومة ، واذا كان هناك خطأ فيكون مكتب المجلس هو المتسبب فيه .

رئيس الوزراء – المكتب خاص بالمجلس . وهل يريد حضرة العضو أن يقول انه لاداعى لحضور الحكومة بالمجلس ؟ أما كون المكتب هو مصدر الخطأ فالحكومة غير ملزمة بنتائج هذا الخطأ .

عبد الحليم البيلى « أفندى » – المجلس صاحب الحق المطلق فى جدول أعماله : **(Maitre de son Ordre de jour)**
فموضوع البحث هو :

هل للمجلس اذا لم تكن الحكومة ممثلة أن يغير جدول أعماله قبل أن يخطرها بذلك أم لا ؟ فيجب ان نقرر أولا أن الحكومة تعمل على تمثيل نفسها دائما في المجلس لتتوقى مثل هذه المسائل . والذى أفهمه أن مكتب المجلس كان يجدر به أن يخطر الحكومة ، من باب المجاملة ، بأن قانونا خطيرا يتعلق بالأمن العام سينظر في المجلس ، حتى ترسل الحكومة من يمثلها ولاارى ..ما للاعتراض على ماوقع من الوجهة القانونية ، واذا راعينا ذلك في المستقبل فانما يكون ذلك من باب المجاملة .

رئيس الوزراء – ليست المسألة مسألة **مجاملة** : انى لاأقبل المجاملة في هذا ! ومحل ذلك في المسائل الشخصية ! ولكنى أعرض المسألة الآن **رسميا** ، وليس هذا حق **الحكومة** فقط ، بل حق كل عضو علم بجدول الاعمال ولم يحضر الجلسة ثم عدل جدول الاعمال ، فله أن يعترض ،فأولى بالحكومة أن تعترض على ذلك باعتبارها الطرف الآخر (طرفا مهما) . وان مصلحة **المجلس** تقضى باعلانها ، لانها اذا كانت لا تقبل قرارا صدر في غيبتها فلها أن ترده للمجلس ،لا من باب المجاملة ! بل من باب **الالزام** .

عبد اللطيف الصوفانى « بك » – وما الدليل على ذلك ؟

رئيس الوزراء – لأن المجلس اتخذ قرارا في غيبتنا ، وهذا **قانون** يجب أن تشترك **الحكومة** في بحثه . واقول انى لم أحضر لأن المسائل التى كانت بجدول الاعمال الذى قرأته لا يهمنى ما يتخذ بشأنها من القرارات . وما كان في مقدورى أن أتنبأ بأن مسألة معينة ستعرض على **المجلس** حتى كنت أحضر المناقشة فيها ! وبما أن هذا القرار قد صدر بالكيفية التى بينتها ، فلا يسع **الحكومة** الا **رد** القانون للمجلس ليعيد النظر فيه مرة أخرى .

(**أصوات** : نتركه يأخذ دوره) .

رئيس الوزراء – هل تعنون بذلك أن تناقش **الحكومة** هذا القانون **بمجلس الشيوخ** بأمل تعديله حتى يعاد لكم ؟ وهل يرتاح **المجلس** لذلك ؟

وانى ألفت نظر حضراتكم الى المادة ٢٠ من **الدستور** التى

تقول : « للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحا » • اذن يجب أن يجتمع الناس في هدوء وسكينه غير حاملين سلاحا • فمن الذى يدرينا أن هناك اجتماعا مباحا ، أو اجتماعا غير مباح ؟ فيتفرع عن هذا الحكم الدستورى أن الاجتماعات يجب أن تشعر بها الحكومة ، وأن تعلم ساعة وقوعها ومكانها ، حتى يتخذ البوليس الاجراءات اللازمة لمعرفة ما اذا كان الاجتماع مباحا أو غير مباح ، لأن بعض المجتمعين يحمل سلاحا •

على نجيب « أفندى » ـ يوجد قانون خاص بمنع حمل السلاح •

رئيس الوزراء ـ يوجد فرق بين حمل السلاح وقت الاجتماع وحمله فى غير الاجتماع ، ففي الحالة الاولى فضلا عن عقاب حامله فانه مبطل للاجتماع ، وفي الحالة الثانية يعاقب حامل السلاح فقط •

تقول **المادة** ٢٠ من الدستور بعد ذلك : « لكن هذا الحكم لا يجرى على الاجتماعات العامة ، فانها خاضعة لأحكام القانون » •

حينئذ هناك **قانون** يشير اليه **الدستور** ، وهذا القانون هو الذى ألغيتموه أمس •

أصوات ـ يرجع للقانون العام •

احمد المليجى « بك » ـ أرى ان دولة **الرئيس** قد تدرج من التكلم فى مسألة شكلية الى الدخول فى موضوع القانون قبل أن يقرر المجلس اعادة النظر فيه •

رئيس الجلسة ـ لاتقاطع •

رئيس الوزراء ـ المسالة كبيرة وتحتاج لامعان النظر • ويوجد نوعان من الاجتماع : عام وخاص • أما الخاص فله أحكام مخصوصة ، وأما العام فانه خاضع لأحكام القانون الذى أوجبه **الدستور** • فاذا لم يكن هذا القانون موجودا وجب **وضعه** ، وقد كان القانون موجودا بالفعل ، وهو الذى قررتم الغاءه ، وكان الواجب يقضى بالغاء **النصوص** التى لا تروقكم فيه والتى لا تتفق مع ما ننشده من الحرية ، ولكن الغاء هذا **القانون** من غير أن تقيموا آخر

محله أمر لا ينطبق على النص الدستوري الذى تلوته على حضراتكم .

أما الجزء الاخير من المادة ٢٠ من الدستور فهو كما يأتى : « كما أنه لا يقيد أو يمنع أى تدبير يتخذ لوقاية النظام الاجتماعى » .

فمن هذه المادة ترون ضرورة وجود قانون للاجتماعات . ويجب على البوليس أن يشعر على الاقل بهذه الاجتماعات ، ليعلم ان كانت منطبقة على القانون أو لا . وعلى كل حال أرى أن قرار الامس قد أخذ على عجل . ولو كانت الحكومة عالمة بهذه المسألة الخطيرة للفتت نظر المجلس الى ما يقضى به الدستور .

كما أن المادة ٥٢ من اللائحة الداخلية تنص على أنه قبل انتهاء كل جلسة يعلن الرئيس يوم انعقاد الجلسة المقبلة والاعمال التى تنظر فيها ، ولم يكن هذا القانون فى هذا الجدول ، ولكن تقرر ادراجه فى جدول الجلسة التالية .

فبناء على ذلك ارى اما ان تعيدوا النظر فى هذا القانون . (مقاطعة) .

اصوات ـ مقرر اللجنة يتكلم .

رئيس الوزراء ـ المسألة التى عرضتها عليكم ليست مسألة اللجنة او مقررها ، ولكن المسألة هى : هل يجوز للمجلس فى غياب الحكومة ان ينظر مسألة غير واردة بجدول الاعمال ويصدر قرارا فيها ؟

وقد دعانى ذلك لان أبين لحضراتكم أنه لو كانت الحكومة حاضرة للفتت نظركم الى ما يوجبه الدستور من ضرورة وضع قانون للاجتماعات ، ولما وقع ذلك السهو الذى ترتب عليه فوات منفعة دستورية . وان الغاء القانون يضطر الحكومة الى تقديم مشروع قانون آخر ، أو انها لاتنفذ قراركم وتعيد القانون للمجلس مرة أخرى .

اصوات ـ يقدم مشروع قانون .

رئيس الوزراء ـ لا حق لكم فى الزامنا بتقديم مشروع قانون ،

وقد عرض عليكم القانون ، وكان فى وسعكم أن تعدلوه حسب ماترونه متفقا مع المصلحة العامة والحرية التامة .

عبد اللطيف الصوفانى «بك» ـ القانون كان سيئا فى أوضاعه ومصدره .. (ضجيج) .

ويصا واصف «افندى» ـ لم يلفت أحد نظر المجلس أمس **للمادة ٥٢ من اللائحة الداخلية** التى تقول الفقرة الاخيرة منها :

« يعلن جدول الاعمال على اللوحة المعدة لهذا الغرض بمقر المجلس وبالجريدة الرسمية ، ويخطر الرئيس الاعضاء الغائبين بميعاد الجلسة الآتية وببيان اعمالها » . وجدت هذه الفقرة ليتمكن العضو الغائب من الحضور ليشترك فى المناقشة اذا كان يهمه الحضور وقت بحث الموضوع. ولقد صدر **قرار المجلس** امس ، وهو ولاشك قرار يجب احترامه ، ولكن **الحكومة** لم تكن حاضرة ولم تبد ملاحظاتها على القانون الذى اصدرنا القرار فيه، ويمكن للحكومة الآن ان تعرض نظريتها على **مجلس الشيوخ** ، فاذا قبلها وعدل **القانون** واعاده الينا ، فننظر حينئذ فى هذه الملاحظات التى أبدتها **الحكومة** ، فان كانت وجيهة وافقنا عليها. حقيقة اننا اصدرنا **القرار** فى موضوع لم يكن مدرجا بجدول الاعمال ، وهذا خطأ استلفت نظر المجلس الى عدم الوقوع فيه فى المستقبل .

رئيس الوزراء ـ انا لا اوافق على هذه النظرية . وحكم **القانون** يلزمكم بأن تعلنوا الغائبين بجدول الاعمال ، **والحكومة** لم تعلن .

عبد الحليم البيلى «افندى» ـ عمليا هذا الحكم لم يطبق، وهو ليس مبطلا للقرار .

رئيس الوزراء ـ اهمالك لايكون حجة على غيرك . وهذه **النصوص** انتم الذين وضعتموها فى لائحتكم الداخلية، فيجب احترامها . وقد اعلن **رئيس المجلس** جدول اعمال اليوم ، وكان مدرجا به **قانون الاجتماعات** ، فكان لى ولكل عضو أن ينتظر بحثه اليوم ، ولكنكم قررتم نظره **أمس** ، وهذا ليس من حقكم ، اذ ما معنى وضع احكام فى اللائحة الداخلية ومخالفتها ؟ افرضوا أنه غاب خمسون عضوا، وتناقش المجلس

فى موضوع هام ، وكانت لهم آراء خاصة فيه، فهل اذا حضروا وطلبوا اعادة فتح باب المناقشة يقال لهم : **لا** !!

نعم ان المسألة فيها عزة وكرامة ، ولكن يجب ألا تدخل فى التشريع **العزة والكرامة** ! على أن العدول عن الخطأ أجدر بالاكرمين من الاستمرار فيه ! وعلينا أن نحافظ على الدستور ، ولامانع يمنعكم من رجوعكم عن الخطأ .

(**اصوات** : لا ! لا !) .

رئيس الوزراء ـ اذن بصفتنا **حكومة** سنتمسك بحقوقنا . ومامعنى هذا الاصرار الا القول انك أخطأت ولكنك لاترجع عن خطئك ! فأنا عرضت المسألة عليكم ، ولكم الرأى . انما نحن ايضا سنتصرف كما نشاء بصفة كوننا **حكومة** . وماذا يمنعكم من طرح الموضوع على بساط المناقشة مرة اخرى ؟

حسين هلال «بك» ـ بالامس حقيقة تلى جدول الاعمال، وذكر فيه أن المجلس سينظر فى قانون الاجتماعات **غدا** ، ولكن نظرا لانتهاء الاعمال قبل ميعاد انتهاء الجلسة طلب معالى **الرئيس** النظر فى **قانون الاجتماعات** ، فقبل المجلس ذلك ، والحكومة لم تكن حاضرة ، والمسألة تهمها جدا ، لانها خاصة بالأمن العام ، وهى المسئولة عنه . وقد قرر **المجلس** بالاجماع الغاء هذا القانون ، وكان الواجب عليه أن يسمع اقوال الحكومة فى هذا الموضوع ، باعتبار أن الامن العام من اهم المسائل لديها .

انه يمكننا أن نلغى او نعدل أو نقرر اى قانون شئنا ، بما لنا من **السلطة** العليا التشريعية ، ولكن يجب أن نسمع رأى الحكومة ، فربما يكون بعضه واجب التنفيذ . ولست أرى أن هناك مايمنعنا من نظر القانون مرة أخرى، فهو غير خاص باجتماعاتنا ، ولكنه خاص باجتماع الجمهور ، وبعد سماع رأى الحكومة يمكننا أن نعدله او نلغيه .

اصوات ـ ولماذا لم تطلب راى الحكومة أمس ؟ .

محمد توفيق خليل «افندى» ـ ان الاعتراضات التى وجهت الى **القرار** الذى أصدره المجلس أمس ليست فى الواقع وجيهة، **والمادة** ٥٢ من اللائحة الداخلية تنص حقيقة على ان **الرئيس**

يعلن عن أعمال الجلسة المقبلة ، ولكن هذه اللائحة لم يأت فيها نص يمنع تغييرها فى أى وقت شاءه المجلس ، فاذا ما راى فى ظرف او لحظة أن يعدل نصا من نصوصها فله ان يفعل ذلك. ومسألة الامس لم تطرح على بساط المناقشة الا بعد ان انتهى جدول أعمال أمس ، وطلب الرئيس من المجلس أن ينظر فى قانون الاجتماعات ، فوافقه المجلس على ذلك ، وهذا قرار أصدره المجلس معدل لنص المادة ٥٢ من اللائحة . على ان الحكومة كانت حاضرة قبيل ذلك الوقت ، وكان حقا عليها الا تنصرف حتى ينصرف المجلس، ولو كانت مشغولة فكان عليها أن تبقى واحدا على الاقل من أعضائها عل أمرا هاما كهذا يعرض.

لذلك أرى انه لا غبار على قرار المجلس امس ، وللحكومة أن تطعن فى هذا القرار بالرجوع لمجلس الشيوخ . أما اعادة النظر بعد قرار صدر فلا .

رئيس الوزراء ــ نحن لا ننكر على المجلس حقه فى تعديل اللائحة الداخلية . ولكن اسائلكم : هل ورد بخاطركم هذا التعديل امس ؟ وهل تليت عليكم المادة ٥٢ ؟ وهل تناقشتم فى التعديل ؟ وهل كان مدرجا بجدول الاعمال تعديل تلك المادة ؟.. لا !..

ان لنا لائحة داخلية ، فكيف يتخذ المجلس قرارات مخالفة لنصوصها قبل تعديلها ؟ ان هذا لهو سوء النظام بعينه . فيجب احترام النص ما دام موجودا. وقد يقال : اننا قررنا وانتهينا ! فان كان لكم راى فعندكم مجلس الشيوخ !.. ولكن افرضوا أن مجلس الشيوخ يخطىء أيضا ، فماذا يكون العمل ؟ ان الاحسن والافضل ، بل الاشجع ، هو الرجوع عن الخطأ ، ويجب علينا ان نرجع دائما الى الحق بصفتنا مشرعين . ان لدى الحكومة طريقا آخر ، ولكنها لا تريد أن تستعمله ،ولم تستعمله فى بعض المواقف التى تعرفونها أنتم .

محمد ثابت ثروت «افندى» ــ ان المسالة لا تحتاج لكثير من المناقشة ، لان عمل الامس باطل شكلا، وذلك لان الاجراءات لم تتخذ بالطريق القانونى ، ومثلها كمثل قضية أمام المحكمة

اجراءاتها باطلة ، فهل ينظر القاضى فيها باعتبار أنها عرضت فى الجدول أم يرفضها ؟.. (مقاطعة) هنـاك فارق بسيط فى هذا القياس ، لان القـاضى لايستطيع الرجوع فى حكمه، ولو اعتقد الخطأ ، بل يترك الامر للاستئناف ، ولكن نحن يمكننا ان نعيد النظر اذا اعتقدنا الخطأ . وبما أن اجراءات امس باطلة، فعلينا ان نعيد النظر .. (مقاطعة) .

(**اصوات** : لا نريد اعادة النظر) .

محمد كامل حسن الاسيوطى «افندى» ـ انى اعتقد انهناك حلا وسطا يوفق بين **قرار** أمس ورغبة دولة **الرئيس** اليوم ، وهو سهل ، لان قرارنا قد الغى قانونا هو مكون من اكثر من مادتين ، وتقضى اللائحـة الداخلية بقراءته مرة ثانية .

(**اصوات** : هو من مادة واحدة فقط) .

محمد كامل حسن الاسيوطى «افندى» ـ لا ! فان قانون الاجتماعات يشتمل على اكثر من مادة . ونحن بطبيعة الحال معذورون ، لاننا كنا مندفعين بالرغبة الوطنية ، وهى رغبة شديدة ، وكان **المجلس** متاثرايضا براى الحكومة، لانالمجلس يعلم رأيها فيه ، وهو انه **قانون جائر** ولابد من الغـائه . ان دولة **الرئيس** اراد لفتنا اليوم الى أن هذا الالغـاء مخـالف للدستور الذى يقضى بوجوب وجود قانون خاص بالاجتماعات. كان **القانون** فظيعا وجائرا ، وكانيصح انتقدم مشروع قانون يحل محله ويكون متفقا مع عواطفنا وميولنـا ، ولكن الغـاءه بهذا الشكل غير جائز .. (مقاطعة) .

(**أصوات** : كان القـرار بالاجماع) .

محمد كامل حسن الاسيوطى«افندى» ـ انى اسلم بانه يعز علينا الرجوع فى قرار اصدرناه ، وكذلك يعز على الحكومة أن تقبل مرغمة قرارا لم يسمع فيه دفاعها !

عرض علينا قانون الاجتماعات والمظاهرات ، وهو مكون من اكثر من عشر مواد . تنص المادة ٧٨ مناللائحة الداخلية على انه لايصح قرار المجلس فى مشروعات واقتراحات القوانين التى

تكون من مادتين فأكثر الا بعد المداولة فيها مداولتين منفصلتين، فبناء على ذلك لامانع من قراءته مرة ثانيـة للمداولة فيه ، وبهذا تكون قد خرجنا من المازق الذى نحن فيه الآن .

محمود علام «افندى» ــ اذن تكون بذلك قد خرجنـا من خطأ لنقع فى خطأ آخر !

محمد يوسف «بك» ــ سمعتم حضراتكم مادار من المناقشة فى هذا الموضوع الذى يراد به الرجوع الى المناقشـة فى قانون الاجتماعات والمظاهرات . والذى يلوح لى أن بعض الاعضـاء يجدون فى ذلك غضاضة على انفسهم ، ولكنى لا ارى ذلك ، وهو ليس بدعة ، لان **المادة ٥١** من اللائحة الداخلية تقول :

« العودة للمناقشـة فى موضـوع أخذت الآراء عنه لا تكون الا بقرار من المجلس ، وعلى من يريد العودة للمناقشـة أن يقـدم طلبا كتابيا بذلك للرياسة فى الجلسة التى حصلت فيها المناقشة الاولى ، مبينا به الاسباب ، فيعرضـه الرئيس على المجلس ليقرر فيه ما يراه فى نفس الجلسة بعـد الانتهاء من جـدول الاعمال » ..

محمود علام «افندى» ــ بمقتضى هـــذا النص كان يجب تقديم طلب اعادة المناقشة فى جلسـة أمس .

محمد يوسف «بك» ــ انا معكم فى هذا ؛ ولكن هل ترون من الحق أن تؤاخذوا بمقتضى هذه المـادة أحد الاعضاء أو الحكومة فى الحـالة التى نحن بصددها ؟ اننا استعجلنا فى نظر القانون دون أن يكون مدرجا بجدول الاعمال ، فاتباع مثـل هذه الاجراءات فى نظر القانون أثناء غياب الحكومة مما يجعل لها الحق فى طلب اعادة النظر فيه اليوم . ومثل ذلك كمثل **محكمة** حكمت حكما نهائيا فى أمر من الامور ، ثم تبين لها أن الخصم لم يعلن اعلانا صحيحا .. الا ترون أن هذا وجه من اوجه التماس اعادة النظر والمرافعـة بحضور هذا الخصم من جديد ؟ فاذا سلمنا جدلا بأن قانون الاجتماعات كان مدرجا بجدول الاعمال ، وان الحكومة لم تحضر ، أو انهـا حضرت وانصرفت دون أن تبقى أحد اعضائها وقت نظره ، افلاتقبلون

منها طلب اعادة المناقشة فيه ؟.. (مقاطعة) الا فاقبلوا عذر **الحكومة** لانها لم تعلن ولم تكن حاضرة ونظر القانون فى غير الوقت المحدد له . لذلك اقترح ان تقرروا العودة للمناقشة فى قرار امس .

محمود علام «افندى» ـ بناء على اى مادة نرتكن ؟

محمد يوسف «بك» ـ لقد ذكرت لكم كل الاسباب .

رئيس الوزراء ـ ربما يكون قد خطر على بالكم أن **الحكومة** راغبة فى استبقاء **القانون** ، ولكنها لا ترغب فى ذلك مطلقا ، انما ترغب فى تعديله تعديلا يتناسب مع الحرية والنظام العام. فلا يدخل فى وهم احد أننا نريد تقييد حرية الاجتماع. كلا! والف مرة كلا !. انما نحن نريد تشريعا عادلا ، يحفظ للحرية سعتها ، وللنظام كيانه ، أما الغاء القانون بدون وجود قانون عادل يقوم مقامه ، فذلك ما لا يليق بنا ، لان فيه اخلالا بالدستور . وقد كان قراركم فى غيبة الحكومة ، ولم يكن مدرجا بجدول الاعمال.. لذلك لا ارى عليكم اية غضاضة من اعادة المناقشة فيه ، واى غضاضة فى وضع نظام يحفظ لنا **الحرية** التى ننشدها ؟

هرون سليم ابو سحلى «افندى» ـ انه لا نزاع فى ان نظر القانون كان بقرار من المجلس ، ولا نزاع ايضا فى ان فى هذا القرار مخالفة **للمادة** ٥٢ من اللائحة الداخلية . ولكن قرار امس ليس تعديلا للائحة على اطلاقها ، ولا تعديلا للمادة ٥٢ ، ولكنه قرار رآه المجلس فى حالة معينة لينظر به هذا القانون بالذات ، وهذا لا يعتبر الغاء ولا تعديلا للمادة ٥٢. ان القانون كان مدرجا بجدول الاعمال ، ورئى تقديم النظر فيه عن موعده . وبما ان **اللائحة** هى من وضع المجلس ، فله تغييرها، وله تقرير النظر بصفة استثنائية . وليس فى اللائحة ما يجعل القرارات التى تصدر مخالفة لنصوصها باطلة، وكثيرا ما أصدر المجلس قرارات مخالفة للائحة ولم يطعن احد فيها. لذلك ارى ان قرار الامس قرار قانونى صدر فى مسألة خاصة، اما طلب **الحكومة** العودة للمناقشة فليس سببه غيابها، ولكن سببه أن راى المجلس مخالف لراى الحكومة .

رئيس الوزراء ـ وكيف عرفت ذلك ؟

هارون سليم «افندى» ـ أريد ان اقول ان **الحكومة** ، سواء أكانت حاضرة أم غائبة ، يمكنها ان تتناقش فى الموضوع مع **مجلس الشيوخ** ، ويمكنها ان لم تتفق مع مجلس الشيوخ أن تستعمل حقها فىعدم التصديق ، وللمجلس أن يقرر من القوانين ما يراه ، سواء أكانتالحكومة حاضرة أم غائبة . أما من جهة عدم الغاء القانون ، بسبب كون الامن العام يستلزم بقاءه ، فمسألة اخرى يجب قبل المناقشة فيها ان يقررالمجلس العودة للمناقشة فى الموضوع . واما القول أن القانون مكون من عشر مواد ، فقول لا ينطبق على الواقع ، لان **القرار** الذى اصدرناه نحن هو من مادة واحدة .

رئيس الوزراء ـ يظهر لى ان **المجلس** مستغن عن سماع راى **الحكومة** فيما يتعلق بالموضوعات الهامة ! فاذا كان الامر كذلك ، فان الحكومة مضطرة لاستعمال حقوقها الدستورية كاملة .

أصوات ـ نطلب اقفال المناقشات .

رئيس الجلسة ـ من يرد اقفال المناقشة فليقف. (وقفت الاغلبية) .

رئيس الجلسة ـ استراحة عشر دقائق .

(ثم اعيدت الجلسة بعد الاستراحة) :

رئيس الوزراء ـ يظهر لى أن المسالة اصبحت واضحة وضوحا تاما، وقد بينت لحضراتكم أن ليس فى نية **الحكومة** مطلقا أن تحتفظ بهذا **القانون** كما هو ، ولكنها تود أن يتعدل بما يكفل الحرية التامة والمحافظة على النظام ، وذلك لان المادة ٢٠ من **الدستور** تنص على أن «للمصريين حقالاجتماع فى هدوء وسكينة غير حاملين سلاحا ، وليس لاحد من رجال البوليس أن يحضر اجتماعهم ، ولا حاجة بهم الى أشعاره . لكن هذا الحكم لا يجرى علىالاجتماعات العامة، فانهاخاضعة لاحكام القانون ، كما أنه لا يقيداو يمنع اى تدبير يتخذ لوقاية النظام الاجتماعى » .

وقد فهم بعض الاعضاء أن المقصود بهذا القانون هو القانون العام ، ولكن ليس فى القانون العام ما يختص بالفصل فى هذه المسائل .

عبد الرحمن الرافعى «بك» ـ هناك قانون التجمهر .

رئيس الوزراء ـ ان قانون التجمهر غير قانون الاجتماعات. وانى اكرر لحضراتكم أنه لمصلحتكم وللمصلحة العامة ولمصلحة الحكومة أن يسن قانون للمحافظة على احكام الدستور. وليس للحكومة فى ذلك مصلحة خاصة ، وانها لا تتوخى غير المصلحة العامة ، والمحافظة على أن تكون قراراتكم قانونية لاغبار عليها ولا تشوبها اية شائبة ، لانكم اول برلمان مصرى ، والحكومة تغار على سمعتكم . فاذا قلت ان هناك خطأ يمكن اصلاحه ، فانما أريد بهذا الاصلاح الخير لكم ولنا وللبلاد جميعا .

عرضت عليكم أن تشترك معكم **الحكومة** فى مناقشة هذا القانون ، وهذا أيضا للمصلحة العامة ، فربما كان للحكومة اعتبارات أو ملاحظات يحسن بكم النظر فيها أو الاخذ بها . وقد احتاط **الدستور** لمثل هذا الامر ، فخول لحضراتكم أن تجبروا الوزارة وتلزموها بالحضور اثناء نظركم فى أمور البلاد، وهذا الالزام من **الدستور** يدل على ان لاشتراك الحكومة معكم فائدة كبرى للمصلحة العامة .

فاذا عرضت **الحكومة** على حضراتكم انها ترى اعادة النظر فى هذا **القانون** ، لمساسه بالامن العام ، ولمساسه **بالحرية** التى هى عندنا أغلى الاشياء جميعا ، فانما عرضت ذلك لكى تكونوا على بينة من الامر قبل أن تبتوا رايا قاطعا فيه .

أما اذا اردتم أن تنتظروا لاصلاح هذا الخطأ ان يعيد **مجلس الشيوخ** القانون اليكم ، فلا اظن انكم ترضون ان يصلح غيركم خطأكم وفى مقدوركم اصلاحه بأنفسكم ! والخطأ جائز على كل انسان . وانى اؤكد لكم أن **الحكومة** لو اخطأت فى امر ، لأتيت اليكم وصرحت جهارا بأن الحكومة قد اخطأت ، وانها ترجع عن خطئها وتقرر الصواب فى حضرتكم ، وليس فى ذلك مساس بكرامتها على الاطلاق. وانى واثق انه لايدور فى خلدكم انى أريد اعلاء شأن الحكومة عليكم ! كلا ! لانى ارى ان **مجلس**

النواب هو شخص الامة ، وان للامة **سلطانا** لايعلوعليه سلطان، وقد كنت **أول** من اعلن هذا المبدأ (تصفيق) . فلايمكن اذن ان يخطر ببالى اعلاء سلطة مهما كانت على سلطة **الامة** ، فانى عضو فى هذا المجلس قبل ان اكون **وزيرا** ، وكل حقوقى بصفتى **عضوا** فى هذا المجلس المحترم لهى اثبت بكثير من حقوقى بصفتى وزيرا .

واعود فأؤكد لحضراتكم اننى ابغض هذا القانون **وامقته** ، لكونه قيدا من قيود **الحرية** ، ولكن من اللازم ان نوفق بين الاحتفاظ بالحرية وبين مراعاة **النظام العام** . ومع ذلك فلكم ان تقرروا ما تشاءون ، ولنا ان نفعل ما نريد تحت مراقبتكم على الدوام .

ويصا واصف «افندى» ـ ان ماقاله حضرة صاحب الدولة **رئيس الوزراء** معقول جدا ، وكلنا نوافق عليه ، وليس علينا من غضاضة اذا اعترفنا بخطئنا .. (مقاطعة) فليس امامنا مشروع مقدم من احد الاعضاء ولا من الحكومة ، حتى يمكننا أن نتناقش فيه . حقا ان وجود قانون للاجتماعات العامة امر ضرورى ، ولكن ذلك يستلزم وجود مشروع قانون خاص بدلا من القانون الذى الغيناه ، فارجو من حضراتكم ان تؤجلوا المسالة يومين أوثلاثة ريثما تقدم لنا الحكومة المرشدة لنا ـ لان حكومة الاغلبية فى جميع مجالس النواب هى المرشدة للاغلبية ـ مشروع قانون معدلا **لقانون الاجتماعات** ، وفى هذه الاثناء يكون قد رجع الينا من **مجلس الشيوخ** القانون القديم وملاحظات ذلك المجلس عليه ، فربما امكننا أن نستفيد من تلك الملاحظات ، وبذلك نكون قد اتبعنا احسن الطرق فى المحافظة على حقوقنا ، مع القيام بماتتطلبه نصوص **الدستور**.

هارون سليم «افندى» ـ يجب قبل النظر فى اقتراح حضرة العضو المحترم **ويصا واصف** «افندى» ان نعلم اذا كان المجلس قد قرر العودة فى قرار الامس الخاص بقانون الاجتماعات أم لا .. (ضجة) .

السكرتير النائب ـ هذا هو اقتراح حضرة ويصا واصف « افندى » :

« حيث ان قرار المجلس امس بالغاء قانون الاجتماعات قد عرض على مجلس الشيوخ، فاقترح تأجيل المناقشة حتى يقدم مشروع بقانون اجتماع آخر » .

عبد اللطيف الصوفانى «بك» ـ نحن الآن ازاء قرار صدر منا بالامس ويجب علينا احترامه .

رئيس الجلسة ـ قد اقفل باب المناقشة .

راغب اسكندر «افندى» ـ يجب دائما اخذ الراى اذا طلب احد الاعضاء التأجيل .

محمود علام «افندى» ـ التأجيل هو لنظر المشروع الجديد كاقتراح حضرة ويصا بك .

رئيس الجلسة ـ اتوافقون حضراتكم على الاقتراح ؟

(فوافق المجلس على ذلك) .

السودان ـ المفاوضات

ان احرجت زغلولا فقد احرجت الأمة
انا اخطب منك

دارت مناقشة عنيفة بين المعارضة وعلى رأسها عبد اللطيف الصوفانى « بك » رحمه الله وبين سعد رئيس الوزراء ـ فى جلسة ٧ يونيه سنة ١٩٢٤ ـ عن السودان وميزانيته وعن المفاوضات ، اقتطف من أقوالهما يلى :

عبد اللطيف الصوفانى « بك » ـ ... أملنا فيكم يا حضرات الوزراء أن تفعلوا هذا ، ولا تقولوا لنا : ماذا نصنع ؟ فان الأمة من ورائكم ، وهذه قوة عظيمة ، فاذا قلتم تقدمت . واعلموا ان قوة الحق فوق كل قوة ، وما القوة المادية الا هباء يتلاشى أمام الحق .

« **سعد** » **رئيس الوزراء** ـ هل تريد أن نتفاوض معهم على ذلك لنقول لهم ان هذه حقوقنا ؟ . . . . .

رئيس الجلسة : الأوفق ان تأخذ الصوفانى « بك » معك (ضحك) •

عبد اللطيف الصوفانى « بك » ـ لا اذهب ولن اذهب •

رئيس الوزراء ـ حقنا قوى جدا ، ونحن نقول ونكرر دائما ما نقول ، ان السودان لنا ••• هذه حقيقة يجب أن نسعى جميعا الى تحقيقها ، ولكن بأى طريقة ؟ واضعو اليد على السودان أقوياء، فهل الطريقة التى نستخلصه بها من يد الغاصبين أن نتكلم هنا ونقول انه لا حق لهم فى ذلك ؟ أم هناك طريقة أخرى لاسماعهم صوتنا ، وتعريفهم حقنا ، والادلاء لهم بحججنا ، واقامة البراهين على أنهم مغتصبون ونحن المحقون؟

عبد اللطيف الصوفانى « بك » ـ أتريد جوابا ؟ انى مستعد للاجابة •

رئيس الوزراء ـ لا أريد منك تنويرا ، انما أريد ان تقر بأن لا طريق للوصول الى غرضنا الا بالمفاوضة ، ما لم يكن لديك طريقة أخرى !

الصوفانى « بك » ـ هل يثق دولة الرئيس بنتيجتها ؟

رئيس الوزراء ـ ليس عندى طريقة لأدلى بحجتى ولأحافظ على حقوقى ، بل لأزحزح خصمى عن مكانه ، الا بمناقشة ذلك الخصم واقناعه بانه مستول على السودان بغير حق ، وأن السودان من حقنا ، ولنا على ذلك ألف دليل • هذا طريقى ، وهو واضح ، فهل هذا يضر بنا ؟

الصوفانى « بك » ـ هل تود احراجى ؟

رئيس الوزراء ـ لا أود احراجك ، انما أنت الذى تريد الاحراج • لما قبلت الوزارة وتوليت الحكم ، قلت اننا نسعى للاستقلال التام لمصر والسودان بكل الوسائل المشروعة ، والكلام مع الغاصبين ، المفاوضة ، هى احدى هذه الوسائل ، وأنا أؤيدها ، فهل أنت معى فى هذا ؟

الصوفانى « بك » ـ أعتقد ان المفاوضة غير منتجة ، لاننا جربناها ••• رجالك هناك ، والقوة المصرية أيضا ، ولك ان

تتصل بالشعب السوداني ... (مقاطعة) لا تحرجوني ولا توجهوا مجهود الامة الى الخيال ، بل وجهوه الى العمل ، لاني أعتقد ان المفاوضة لا فائدة منها .

أصوات ـ ما هي الطريقة العملية ؟

رئيس الوزراء ـ يا حضرات الاعضاء : ... نحن نريد حقوقنا ، ونريد الوصول اليها ، وأنا أولكم ، وفي مقدمتكم ، ما وهن عزمي ، ولا ضعفت همتي ، بل أريد أن أصل الى هذا الحق باية طريقة كانت ، وأمامي طريق مفتوح أريد سلوكه لأصل الى غايتي : فان وصلت اليها فبها ونعمت ، والا عدت اليكم وقلت لكم : اخواني ، فتحت امامي طريق سلكتها ، ولم أصل الى غايتي ، والذى تريدونه الآن ، من تقوية ايمان الامة ، ورفع كلمتها ، وشد أصرها ، وتقوية عرى الاتحاد بين أفرادها ، أنا أعمل معكم عليه . أتريد ذلك ؟

أنت (مخاطبا الصوفاني بك) لا تريد ذلك ، فماذا أصنع والضرورة تقضي بتوجيه هذا السؤال ! لانك تقول بعدم مخاطبة واضعي اليد على السودان ، وفي الوقت ذاته تطلب ميزانية السودان ! ! وأنا أقول انها ليست تحت يدي ، والسودان كله تحت يد قوية ! فماذا أصنع ؟ اما أن تتبع طريقتي ، والا فدلني على خير منها . اذا تكلمت في مجلس النواب فأنت مسئول عما تقول ، وعن الطريقة التى تريد أن تتخذها لتنفيذه ، فان أقرك المجلس على ما تقول ، فكلكم مسئولون ، أما أنا فمسئوليتي تكون على قدر اقراري وموافقتي على كلامكم .

أنا في مقدمتكم في كل ما فيه خير بلادي ، وعلى قدر فكري أرى أن الطريق المفتوحة أمامي لتحقيق غرض الامة وغايتها هي المفاوضة ، فان كان عندك أو عند غيرك طريق آخر لاستخلاص حقوق الأمة ، فوضحه لي ، وأنا أكون أول العاملين في هذا السبيل ان كان محققا لاغراض الأمة .

أما أن تطلب مني ان أفعل شيئا ، ولا تدعني حرا في أن أسلك الطريق الذى أراه موصلا لما تريد ، فذلك فوق مقدوري ! وان أردت أن تطاع فمر بما يستطاع .

اخوانى ! المسألة مسالة جد لاهزل ، وعمل لا كلام . نحن هنا نتحمل مسئولية كل أمـــر نقرره ، فيجب علينا قبـــل ان نصدر قرارا يختص بهذه المسائل الهامة ان ندرسها ونفحصها، والا نطيع الهوى، بل نستشير العقل والحكمة . فكر فى ذلك جيـدا . ولا تسع لاحراجى ، لأن احراجى احراج للامة ، لأنى اقول وانا صادق فيما أقول انى لا اريد الا ما تريده الامة ، فان احرجت **زغلولا** فقد احرجت **الامة** (تصفيق حاد) . أنا لا أسعى فى سياسة غير ســـياسة الأمة ، والذى يرشدنى ويدفعنى الى ذلك هو **صوت فى ضميرى** صرخ قبل ان يصرخ فى قلب أى انســـــان ، (تصفيق طويل) وهذا الصوت ينادينى دائما أن أقوم بواجبى ، بدون أن يحضنى عليه حاض ، أو يحثنى عليه حاث ، ولكن فى موقفى هذا ، يجب أن الاحظ اعتبارات كثيرة ، ليس منها المحافظة على مركزى، لان لى مركزا اعلى من المركز الرسمى (تصفيق حاد). ولكن اذا لم أعمل الآن ، فلاعتبارات ترجع الى رعاية مصلحة الأمة لا الى مصلحتى الشخصية ، فان كنت لم أقدم **ميزانية السودان** فالأمر بسيط وسهل ، لأن الذى يضع ميزانية السودان هى حكومة السودان ، ولكنك تطلب منى ألا أخاطب **حاكم السودان !**

وفيما يتعلق بالسودان ، فاختر لك أحد أمرين : اما ان تأمرنى بالمفاوضة ، أو لا تأمرنى ، وفى الحالة الأخـــيرة يجب عليك ان تترك السودان وتكتفى بأن نتكلم معا ! انى أعرف الخطابة والألفاظ المنمقة ، كتقوية ايمان الأمة وشد أمرها ، وعدم توجيه مجهوداتها الى الخيـــال .. ! ايمكننى أن أقول كل هذا وزيادة! **وانا اخطب منك !**

الصوفانى « بك » ــ بلا شك .

رئيس الوزراء ــ دعونا من هذا واتركونا نعمل ! نحن فى مراكزنا ، لا ندين بها الا **للامة** ،ولا نخشى الا صوتها (تصفيق)

فان رايتم فينا اعوجاجا فقوموه ، لا بالسنتكم ، بل بسيوفكم (تصفيق حاد) .

عاهدتكم ، وعاهدت الأمة من قبلكم ، واعاهدكم الآن الا احيد مطلقا عن رعاية مصـــلحة الأمة على قدر استطاعتى ، وليس

على المرء أن يكلف الا مايستطيعه ، فعليكم ما دمتم وطنيين أن تساعدوني ، لأن في ذلك مساعدة للأمة ، ووصولا بها الى الغاية المطلوبة (تصفيق حاد جدا) .

سعد لايحمل حقدا لاحد

كانت المناقشات بين سعد رئيس الوزراء وبين المعارضة في المجلسين ، لاتنقطع ولاتهدأ حماستها ، ولاسيما عند بحث أى أمر يتعلق **بالسودان أو المفاوضات** . وكثيرا ما احتدمت هذه المناقشات حتى بلغت ذروة الخصومة البرلمانية ، ولكن **سعدا** كان ينتهي بها دائما الى ظل السلام والوئام ، حتى كسب قلوب المعارضين ، محبتهم واحترامهم ، وما كانت تنتهي جلسة على أشد الخصومة ، حتى تعقبها جلسة صافية وادعة ، كأن أعضاءها غير أعضاء الامس .

ومن سماحة نفسه وصفاء قلبه ، قوله في خطبة ختام الدورة البرلمانية الاولى ، وهو رئيس لوزارة الشعب ، (الجلسة التاسعة والستون لمجلس النواب : ١٠ يوليه سنة ١٩٥٤) :

« ويسرني أن أؤكد لحضراتكم أنني الآن ، وأنا متشرف بخطابكم ، أشعر شعورا حقيقيا بأننا كلنا متضامنون متساعدون على العمل لمصلحة البلاد ، وأن ليس في نفسي لاحد منكم حقد ولاحسد ولاضغينة ، فان كان قد أخطأ مخطئ منكم في حقي فاني مسامحه ، واذا كنت قد أخطأت في قول أو اشارة أو أي عمل من شأنه أن يغضب ، فأرجو الغاضب أن يسامحني أيضا .

أود ان ننصرف من هذا المكان وقلوبنا نقية من كل شائبة ، وألا نتحدث الى منتخبينا الا بما كان يبديه كل منا للآخر من المعونة والمساعدة . »

الائتــلاف بين الاحزاب

مقدماته

قامت وزارة المغفور له **أحمدزيور** «.باشا» بحكم البلاد بعد حادثة مقتــل **السردار** ، فعطلت الحياة النيابية ،واتخذت لنفسها سلطة التشريع فى غيبة البرلمان، واضطهدت الوفدوأنصاره ولجانه فى كل مكان وكل مناسبة .وفى هـــذه الفترة ، ومن أجل تلك التصرفات كتب **ســعد** مقالاته المشهورة « **ثورة الوزارة عــلى الدستور** » بامضاء (**س ١٠**)ونشرها فى جريدة **البلاغ** ، كما سيأتى التفصيل .

وكانت الاحزاب القائمة ثلاثة: حزب الوفد برياسة **ســعد** ، وحزب الاحرار الدســتوريين برياسة محمد محمود ، والحزب الوطنى برياسة **محمــد حافظ رمضان** ، وكانت هذه الاحزاب جميعا تسعى الى هدف واحد ،هوعودة **الحياة النيابية** ، فوحدت هـــذه الغاية بين مساعيهم ،وساعدت على تصفية نفوســهم وشفائها من سخائم الاختــلاف القديم » .

بدأت **الجرائد** الحزبية تخفف من وطأتهــا رويدا رويدا عــلى خصومها الحزبيين،واتجهت بكل قوتها وخصومتها الى الوزارة التى كانت قد اصطنعت حزبا جديداسمته **حزب الاتحــاد** ، ومن ثم شرع الرجال الذين يمثلون حمامة السلام فى كل حزب ، يتصلون بعضهم ببعض ، وفى يد كل منهم غصن زيتون ينبىء ويعــبر عن دخيلة نفســه النقية . فــكان المغفور له **فتح الله بركات** «باشا» والاستاذ **على الشمسى** حفظه الله،من رجال الوفد،وكان المغفور له **حفنى محمود** « بك » من رجال الاحرار الدســتوريين ، وكان الاســتاذ **حافظ رمضان** « بك »من رجال الحزب الوطنى ..

كان هؤلاء جميعا ، يعاونهم زملاء أجلاء ، قد اقتنعوا بوجوب توحيد الجهود واقامة جبهة واحدة من الاحزاب تقاوم الوزارة التى عطلت الحياة النيابية واعتدت على مقدساتها التشريعية ، فامتدت الايدى الى الايدى ، وتصافت القلوب ، واشتركت الافكار فى تدبير المخرج الذى ينقذ البلاد من كروبها .

تعددت المقابلات فى أول الامر بعيدا عن الرئيس **سعد** ، فلما اختمرت الفكرة ، وآذنت بأن تكون عملا صالحا مكشوفا ، بدأت المقابلات مع **سعد** نفسه ، حتى صار الائتلاف على نحو مامر فى التاريخ حقيقة واقعة ، جنت البلاد من ثمراته فى عهد **سعد** صفاء النفوس وود القلوب ووحدة المساعى ، والانصراف من الجدل العقيم والمهاترات الحزبية ، الى التفكير السليم ، والبحث القويم ، فيما يعود على الوطن بالخير العميم .

***

وانقل من مذكراتي هذه **المقابلات** التى وثقت بأنها كانت فى سبيل عقد الائتلاف ، لانها ظلت سرية لم تنشرها الصحف فى أوانها :

حفنى محمود « بك » :

زار بيت الامة يوم الاثنين ٣٠ مارس سنة ١٩٢٥ ، ومعه الاستاذ **محمد عبد اللطيف سعودى** المحامى ، وعضو الهيئة الوفدية ، وقابلا الرئيس فى مكتبه حيث مكثا معه زمنا طويلا ...

حفنى محمود « بك » ، أيضا :

زار بيت الامة يوم الاربعاء ٣ يونيه سنة ١٩٢٥ فى الساعة السابعة مساء ، ولبث وحده فى حضرة **الرئيس** زمنا طويلا .

الاستاذ **محمد حافظ رمضان « بك »** :

كلمنى **حفنى محمود « بك »** تليفونيا مساء الجمعة ٥ يونية سنة ١٩٢٥ ، وسألنى ان كان يستطيع هو **وحافظ رمضان** « بك » أن يزورا **الرئيس** الآن ، فاذن لهما فى الزيارة فورا ، وحضرا بعد قليل فبقيا مع **الرئيس** فترة طويلة لم يحضرها معهما أحد .

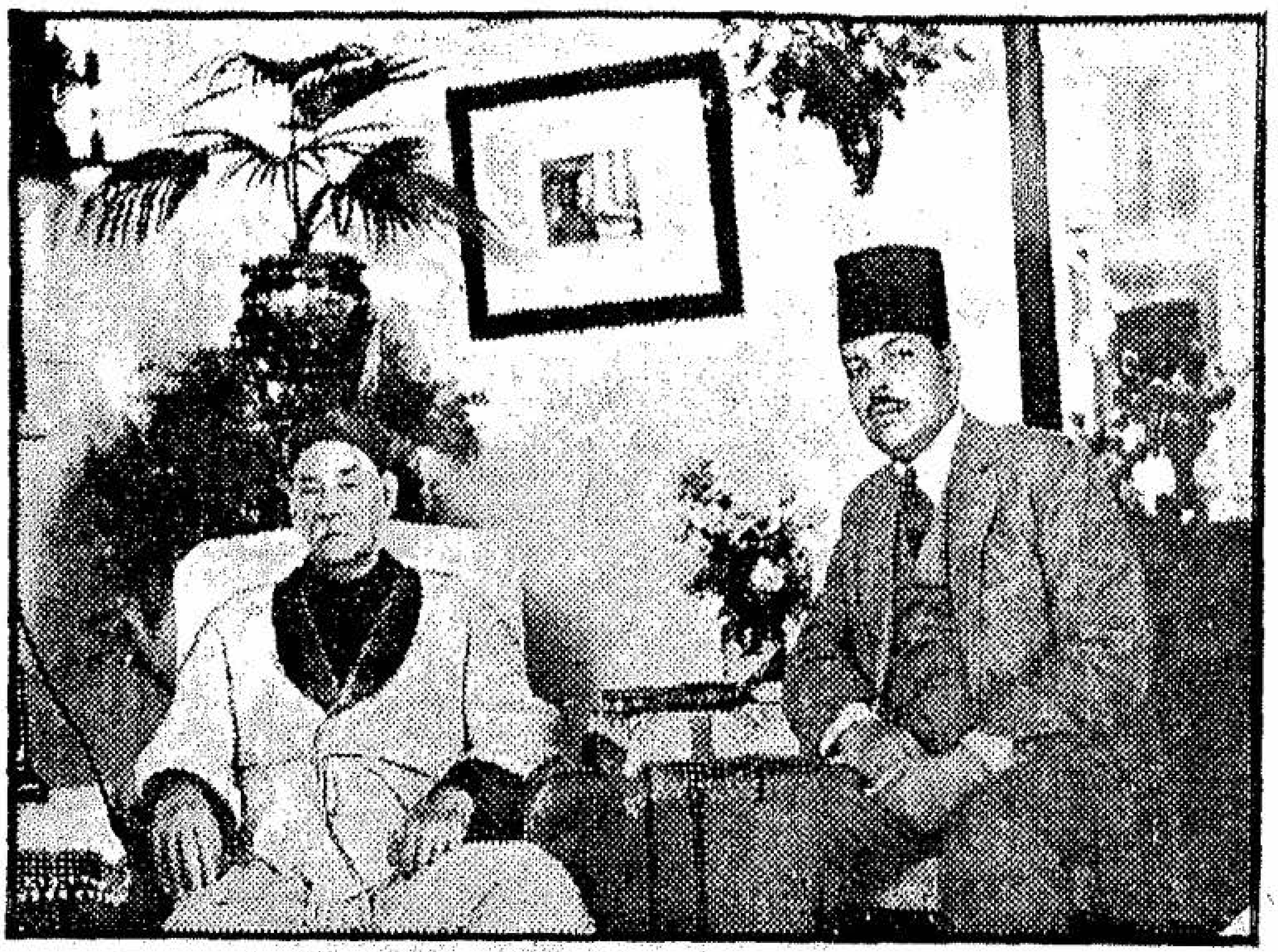

محمد محمود « باشا » يزور سعدا
لأول مرة بعد الائتلاف

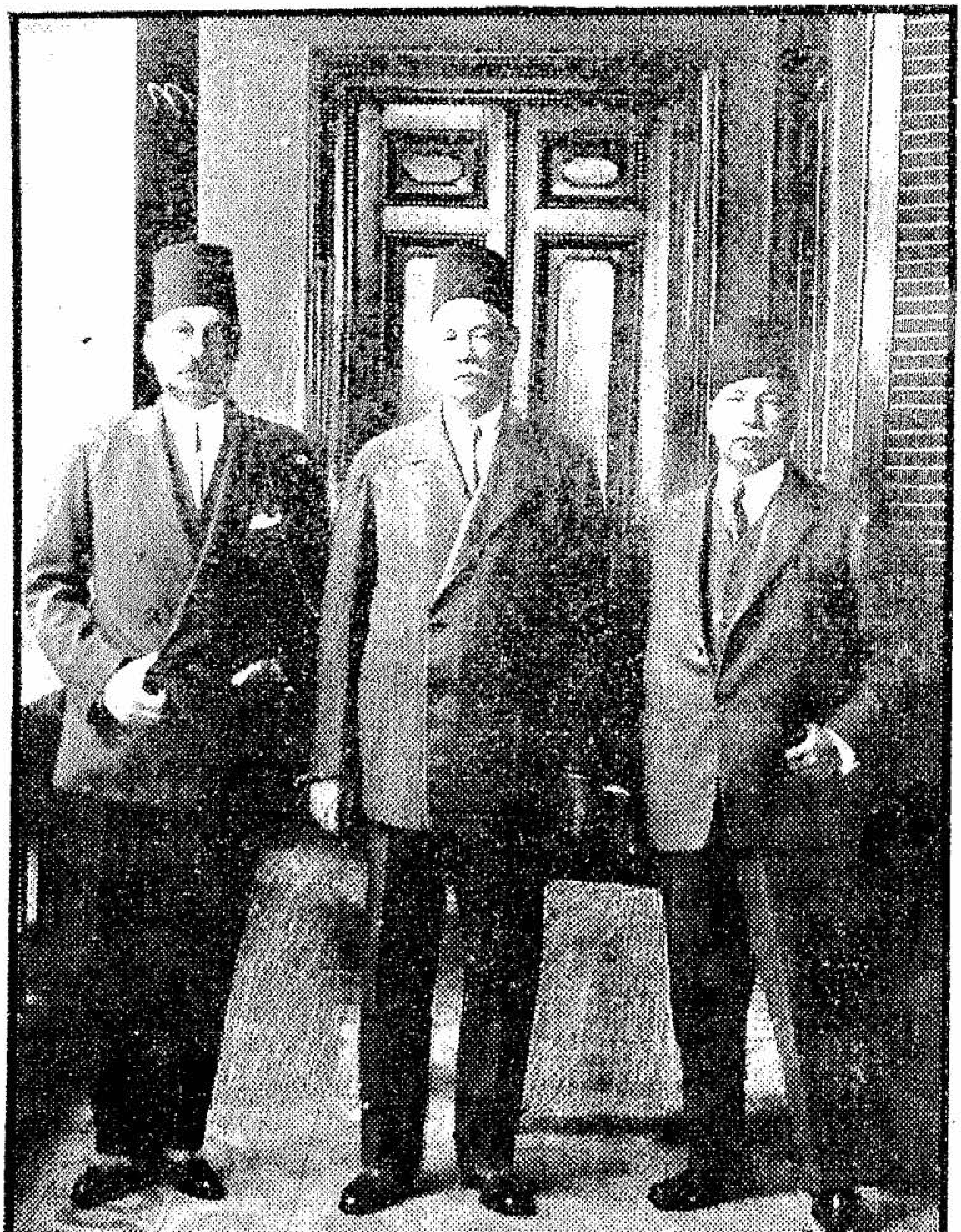

أقطاب الائتلاف
سعد وعدلى وثروت
فى بيت الأمة

حسن انيس « باشا » :

زار الرئيس فى مكتبه ببيت الإمة مساء السبت ١١ يولية سنة ١٩٢٥ ، ومكثا وحدهما من الثامنة الى التاسعة .

محمد محمود ـ سعد ـ عدلى :

دعا محمد محمود باشا الرئيس وعدلى « باشا » الى حفلة شاى بمنزله ، فى يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ، ولم يحضرها سوى الاقطاب الثلاثة ، ودامت من الخامسة الى السابعة مساء . وهذه أول مقابلة ودية بين سعد وعدلى بعد الجفوة الحادة بينهما بسبب المفاوضات الرسمية .

وحدثنى الحاج احمد عثمان (خادم الرئيس الخاص) أن البشر كان يسود جلسة الزعماء ، وانهم كانوا يتحدثون بانشراح . وودع عدلى يكن « باشا » الرئيس الى السلم محتفيا كثيرا .

وفى هذا اليوم كان الناس يتحدثون بقرب سقوط الوزارة الزيورية ، خصوصا بعد مقابلة مستر جورج لويد المندوب السامى للملك صباحا . وذاع أن عدلى هو المرشح الوحيد لرياسة وزارة جديدة ائتلافية ..

سعد وانتخابات الائتلاف

وضع المؤتلفون قواعد للترشيح في الدوائر الانتخابية ، كان من مقتضاها أن يختص كل حزب بدوائر معينة لايرشح فيها حزب آخر أحدا من رجاله ، وأن تترك دوائر خاصة يمكن لكل حزب أن يرشح فيها من يشاء .

واذكر أن الاستاذين حافظ رمضان « بك » حفظه الله واحمد لطفى « بك » رحمه الله كانا يتوليان المفاوضة مع سعد فى عدد المقاعد التي تخصص للحزب الوطنى ، وبعد الجهد توصلا الى ثمانية مقاعد فقط . فلما يئسا من الحصول على مزيد ، دفعا الى سعد بالاستاذ فكرى اباظة ، فواظب على زيارة الرئيس اياما متوالية ، وكان سعد يأنس الى خفة روحه وفكاهاته ، وسحر لسانه ، فتوصل الاستاذ فكرى بفضل هذه المنزلة الى زيادة العدد أربعة مقاعد أخرى ، مع ترك دائرتين آخريين دون ترشيح فيهما .

انعقد الائتلاف ، ووضعت قواعد الترشيح للانتخابات التى ستكون أول ثمرة من ثمراته ، ووقع وثيقته زعماء الاحزاب الثلاثة ، وشمل البلاد سرور عميم بقرب عودة الحياة النيابية وزوال كابوس الوزارة الزيورية ، وشغل الناس من جديد بشئون الانتخابات ، ورشح كل حزب مختاريه من أنصاره فى الدوائر التى خصصت له ، وسارت حركة الترشيح من الوجهة الرسمية أمينة نزيهة لايعتدى فيها حزب على حزب • ولكن النفوذ الوفدى كان فى ذلك الحين قويا عارما بفضل زعامة سعد ، وكان للوفد فى كل دائرة من دوائر القطر أنصار من مرشحيه السابقين وأعضاء لجانه ومن رجاله الذين دأبوا على مناصرته فى كل شدة ، فكان عزيزا على الوفد ، وعلى سعد بوجه خاص ، أن يتركوا تلك الدوائر التى خصصوها لحزب الاحرار الدستوريين وللحزب الوطنى ولهم فيها أصدقاء أعزاء • وطالما سمعت الرئيس رحمه الله يبدى أشد الاسف ويتجمل باقوى الاعذار ، كلما التمس منه بعض هؤلاء أن يسمح لهم بالترشيح فى بعض دوائر الحزبين المؤتلفين ، لانها دوائرهم وسبق لهم فيها الترشيح والنجاح • نعم كان يأبى أن يصدر عنه قول أو بيان يدل على الرضا ، لان غيرته على الائتلاف كانت صادقة شديدة ، وكان يغضب من الصحف التى تحاول أن تعكر الجو بين المؤتلفين ، •• كل هذا مع أنه كان يضحى بالكثير من عواطفه نحو رجاله وأنصاره •

ومن أجل هذا جرت السنة فى تلك الانتخابات على أن يصدر الوفد بيانات كثيرة ، كلما اراد أحد أتباعه أن يخرج على قواعد الائتلاف ، يؤكد فيها أنه لايرشح ولا يؤيد ترشيح فلان فى دائرة كذا ، اذا كانت هذه الدائرة متروكة للحزبين المؤتلفين • وقد يكون فلان هذا من صميم الوفديين وأعزهم على الوفد ، ولكن نفى ترشيحه أو عدم تأييده كان اجراء الابد منه تنفيذا لقواعد الائتلاف • ولكن سعدا رحمه الله لم يسمح أبدا ــ على الرغم من المساعى المختلفة ــ بأن ينشر بيانا على الناس بأن أحدا من أنصاره غير وفدى ولو كان قد خرج بترشيح نفسه على قواعد ذلك الائتلاف •

ولأن الوفد كما قلت ذو غلبة ونفوذ فى كل دائرة ، كان حسب المرشح أن ينتسب اليه ليفوز بأغلبية ساحقة ، حتى لقد خيف

أن يكتسح المرشحون الوفديون ـ وقد كثر عددهم فى غير دوائر الوفد ـ أكثر الدوائر ، فينهار الائتلاف ويضيع الهدف الذى انعقد من أجله ٠

وقد كان مرشحو الحزبين المؤتلفين يعرفون هذه الحقيقة ويجدون من منافسة المرشحين الوفديين فى دوائرهم أكبر العناء والبلاء ، فكانوا أحيانا يلجأون الى سعد بواسطة زعماء حزبهم أو أصدقائهم فى الوفد ، وأحيانا يستبدلون بوصفهم الحزبى وصف « مرشح الاحزاب المؤتلفة » : أما فى الاولى فقد شرحت موقف **سعد** ، وأما فى الاخرى فقد احتار الناخبون فى حقيقة المرشحين : هل هم دستوريون أو وفديون أو وطنيون؟ احتاروا لان هوى الجماهير عاصف عنيف مع **سعد** ٠

ولما امتلأ بيت الامة بالوفود تارة ، وبالرسائل تارة ، وعلى كل فم سؤال ، وفى كل رسالة استفهام ، ضجر **الرئيس** رحمه الله من هذا التشابك الفكرى ، ومن ذلك التلاعب بالاوصاف ، فاستدعانى وشرح لى فكرته الفاصلة بين الشكوك ، وطلب منى أن أضمنها مقالا أبعث به الى جريدتى الوفد : « **البلاغ وكوكب الشرق** » ، فكان هذا المقال ، وقد نشرته الجريدتان بامضاء « **مطلع** » تحت هذا العنوان :

مرشح الاحزاب المؤتلفة أو مرشح حزبه فقط ؟

« كثيرا ماتساءل الناس فى الصحف وفى المجالس عن المرشحين الرسميين المنتمين لحزب من الاحزاب المؤتلفة : هل هم مرشحون من الاحزاب كلها ؟ أو كل فريق منهم مرشح من الحزب الذى ينتمى اليه ، دون مدخل لبقية الاحزاب فى ترشيحه ؟

وقد أتيح لى أن ألمت بعض الالمام بما دار من المناقشات بين هذه الاحزاب المؤتلفة ـ تلك المناقشات التى كانت نتيجتها نشر وثيقة الاتفاق المضاة من « دولة الرئيس الجليل وسعادة محمد محمود باشا ، والاستاذ حافظ رمضان بك » ، فرأيت للحقيقة وللتاريخ أن أذكر ما أعلم ، تهدئة لهذه المباحثات الحادة التى تخوض غمارها بعض الصحف وبعض المجالس ٠

فالذى أعلمه يقينا أنه لم تجر بين الاحزاب المؤتلفة مناقشة فى أشخاص المرشحين ، وانماالذى دارت المناقشة بينها عليه ، وانتهى الامر اليه ، هو اتفاقهاعلى« ألا تتنافس فى الانتخابات المقبلة ، بأن يكون لكل منهاعدد معين مخصوص من دوائر الانتخاب ، يرشح فيه على مبدئهمن يشاء من رجاله ، بحيث لا يكون لغيره من باقى الاحزاب المؤتلفة حق فى أن يرشح أو يساعد من قبله أحدا فى أيةدائرة من الدوائر الخاصة بالحزب المذكور . »

وقد جاء ذلك بهذا النص فىوثيقة الاتفاق المشار اليها .

فالذى تم الاتفاق عليه هو تعيين دوائر باسمائها لكل حزب من الاحزاب الثلاثة ، من غيرتدخل لواحد منها فى تعيين اشخاص المرشحين لهذهالدوائر .فالذين رشحهم الوفد لم يتداخل أى حزب غير الوفد فىاختيارهم ،بل لم يحط علما بهم أحد الحزبين قبل اعلان ترشيحهم فىالصحف . وكذلك الحال فى الذين رشحهم حزبالاحرار الدستوريينوالحزب الوطنى ، لم يتداخل الوفد فى تعيين أشخاصهم ولميعلم بهم قبل اعلان ترشيحهم فى الصحف من قبل حزبهم .

فمن الخطأ الظاهر ما يدور علىالالسنة اليوم ، وما ينشر فى بعض نشرات المرشحين ، من أنفلانا هو « مرشح الاحزاب المؤتلفة » وأن ترشيحه صادرباتفاق هذه الاحزاب .

انما الحق الواضح أن فلانا هو مرشحالوفدأومرشحالدستوريين أو مرشح الحزب الوطنى ، لأنهلم يرشح الامن الحزب الذىينتمى اليه دون سواه من بقية الاحزابالمؤتلفة .

أما ثمرة الائتلاف وميزته ، فقد قررتها وثيقة الاتفاق صراحة ، وحصرتها فىأن الواجبعلى كل حزب ألا ينافس الحزبين الآخرين فى الدوائر التى تعينتلهما ، بل يلزمه الامتناع بتاتا عن الترشيح أو عن مساعدة أىمرشح ضد مرشح الحزب الذى اختص بهذه الدوائر . واستثنتالوثيقة ثلاث دوائر تركتها مشتركة بين الوفد والحزبالوطنى ، وأباحت التنافس لهما فيها ، بحيث يكون حقا لكل منهماأن يرشح فيها من يشاء من

رجاله ، وأن يسعى بكل جهده لانجاحه ضد مرشح الحزب الآخر .
وهذه الدوائر الثلاث هى : مركز المنصورة ، وكفر الدوار ، وكفر داود .

ذلك هو ما علمته يقينا منذ بدأت المناقشات بين زعماء الاحزاب الثلاثة ، وقد أيدته وثيقة الاتفاق ونداء الرئيس الجليل الذى أصدره فى العيد ، تأييدا يجلو كل غامض ويحل كل مشكل .

على أنى لم اكتف بما عندى من البيان ، بل راجعت أكثر أعضاء الوفد وأقطابه ، والعارفين بحقائق المفاوضات التى دارت بين هذه الاحزاب ، فزادونى يقينا على يقين .

واذن ، فلا يقال منذ اليوم ، وما كان ينبغى أن يقال ، أن فلانا مرشح الاحزاب المؤتلفة ، ولكن يجب أن يقال انه مرشح الوفد أو مرشح دستورى أو مرشح الحزب الوطنى . »

الاستاذ أحمد حافظ عوض والسيد عبد الحميد البنان

ترك الوفد دائرتى **باب الشعرية والجمالية** بالقاهرة لرجال الاحزاب المؤتلفة ، فلم يرشح فيهما أحدا ، ولكن الاستاذ **أحمد حافظ عوض** « بك » ، صاحب الجريدة الوفدية « **كوكب الشرق** » رشح نفسه فى الدائرة الاولى ، كما رشح نفسه السيد **عبد الحميد البنان** فى الدائرة الثانية ، وأعلن الاثنان أنهما تقدما للترشيح على مبادىء **الوفد** ، وظلا يدعوان لنفسيهما تحت رايته . وكنت على صلة وثيقة بالمرشحين المذكورين ، وكانت صداقتى لهما تؤكد فى نفسى صدق وفديتهما . وكان **سعد** فى غنى عن أن يسمع منى ثناء على وفدية الاستاذ **حافظ عوض** ، فله فى نفسه منزلة الاعزاز والتقدير ، ولكن السيد البنان كانت تلم بسيرته الوفدية بعض الشوائب ، وكانت تذاع عنه أقوال فى مجلس الرئيس يتهمه فيها خصومه بأنه كان ضالعا مع **اسماعيل صدقى** « باشا » فى الانتخابات السابقة (التى أثمرت مجلس نواب حل فى يوم انعقاده) ... ولكننى كنت صديقا له ، وعرفته عن قرب ، فلم تخامرنى خلجة شك فى وفديته ، فاعلنت رأيى فيه صريحا أمام الرئيس ، فكان يبتسم ، وكان عضوان كبيران فى الوفد — رحم الله أحدهما وأطال عمر الآخر — لا يريان فى البنان رأيى ،

وحارباه حربا شـديدة ، لسوءظنهما به ، ولأنهمـا كانا من الاقطاب الذين وضـعوا أسس الائتلاف ، وعزيز عليهما أن ينهار ولو فى دائرة واحدة . فسعيا جهد السـعى لدى الرئيس ان يصدر بيانا ضد ترشيح البنان ،على الخصوص ، ولكننى بفضـل ما كان يسبغ **الرئيس** على من عطف وثقـة استطعت أن أحول دون صـدور أى بلاغ يطعن فى وفدية **البنان** ، ومن باب أولى فى وفدية **أحمد حافظ عوض** «بك» ،أو يساعد خصومهما ، بل نجحت فى استصدار بيانات من بيت الامة لصالح المرشحين الصديقين .

وظللت أحضر الحفلات الانتخابية فى الدائرتين ، وأنقل **للرئيس** أخبارهما فيسمعها باهتمام ، وقد يكون شـعور **الرئيس** نحوهما يومئذ ليس حبا فى « **على** » ولكن كراهة فى « **معاوية** » !! ومعاوية هو مرشح الحزب الآخر !

بل لقد فعلت أكثر من ذلك ، اذ طلب الى الاستاذ **حافظ عوض** « بك » أن أخطب فى احدى حفلاته الانتخابية ، فعرضت الامر على **الرئيس** فأذننى على شرط أن أطلعه على الخطبـة قبل القائها ، ففعلت . وأطنب صـاحب الكوكب فى وصف الحفلة ونشر خطبتى تحت عنوان : (سكرتير الرئيس الجليـل يؤيد صـاحب الكوكب) .

ولقد كنت أدرك أننى أحمـل مسـئولية كبرى بصنيعى فى الدائرتين ، فترقبت الامر وما بعده بفارغ الصـبر ، فلما نجح الصديقان الكبيران كانت مثوبتى أمام ضميرى أن المغفور له السيد **عبد الحميـد البنان** صار وفديا بلحمه ودمه وماله ، وكان فى كل محنـة فى مقـدمة رجال الوفد العاملين . أما الاسـتاذ **حافظ عوض** «بك» فلم يرق اليه الشك فى وفديته ، لا من قبل ولا من بعد .

سعد زعيم الائتلاف
يفسر معنى الائتلاف ووزارته

انعقدت الجلسة الاولى لمجلس النواب الذى جاء ثمرة الانتخابات الائتلافية فى يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦ ، ورأس الجلسة المرحوم **محمد سعيد** «بك» أكبر الاعضاء سنا ، ثم اخذ المجلس فى انتخاب رئيسه، فأسفرت النتيجة عن انتخاب المغفور له **سعد زغلول** «باشا» رئيسا باجماع الاصوات عدا صوت واحد ناله النائب المحترم **محمد توفيق حسن** .

ولما تولى الرئيس **سعد** رياسة الجلسة القى خطبة طويلة هنأ فيها المجلس على عودة الحياة النيابية ، وشكر للاعضاء جميل ثقتهم به ، ورجا أن يشفقوا على صحته ويرحموا ضعفه بالاقلال من موجبات تدخل الرئيس في أعمال المجلس ،وأن يأذنوا له فى الراحة كلما حل بهالتعب ، وفى اعتزال الرئاسة عندما يرى نفسه عاجزا عن القيام بهذا العبء الثقيل . **قال** : « على هذا الشرط وهذا الاعتبار أقبل شاكرا انتخابكم لى . »

وبعد ان طلب من الاعضاء أن يفكروا فى وضع تدابير تشريعية لوقاية الحياة النيابية ، **قال** :

« .. امامنا **وزارة** كفء مخلصة ، لا تتأخر عن معاونتنا فى هذا السبيل ، سبيل الاحتفاظ بالحياة الدستورية . **وزارة** مؤلفة من رجال واسعى الاقتدار والكفاءة ، محبين للعمل لخير البلاد . قد امتاز رئيسها بجمال الاسلوب ولطف الطريقة ، وبالكياسة وشدة الحذر وبعد النظر . فلذلك نؤمل من هذه الوزارة ان تسير امامنا الى مانريد ، وأن تكون خير المرشد للغاية التى نسعى اليها . والغاية التى نسعى اليها هى المحافظة على الدستور أولا ، والوصول الى الاستقلال ثانيا .

من الخطا البين ان يقال أن هذه الوزارة **ائتلافية** ، وانها مؤلفة من أحزاب متعددة ، كل حزب ممثل فيها . اذ ليس

الامر كذلك . ان الوزارة لا تكون ائتلافيــة الا اذا لم يتــوافر لحزب اغلبية اكبر من مجموع عدد الاعضاء المنتمين للاحــزاب الاخرى .. اذا كان كل حزب على حدة لا يجتمع له عــدد من الانصار بمجلس النواب يوازى الاغلبية المطلقة ، امكن ان تتألف وزارة من احزاب كثيرة متآلفة ، ويقال حينئذ ان هذه الوزارة مؤتلفة . ولكن عندما يكون لحــزب اغلبية كبرى في المجلس ، فلا يكون هناك معنى في أن تكون الوزارة ائتلافيــة يمثل بعض الاعضاء فيها بعض الاحزاب .

فوزارتنا ليست ائتلافية بهذا المعنى ، اى بمعنى ان كل قسم من اعضائها يمثل حزبا من الاحزاب . ولكن اقول لحضراتــكم أن مجموعها يمثل مجموع **مجلس النــواب** بقطع النظــر عن الحزبية . وهذا هو الفرق ، فان « صاحب الدولة » **عدلى يكن** «باشا» لم ينتخب رئيــسا للوزارة ليمثل حــزب الاحــرار الدستوريين ، مطلقا . ولو كان هــذا هو المعنى ، ما كان هو الرئيس ، بل كان غيره من حزب الاغلبية، وانما هو قدانتخب لانه **يمثل فكرة** نسعى اليها كلنا : فكرة الاندماج ، فكرة المزج، فكرة الوحدة الوطنية . وهذا ما اردناه اثناء الانتخابات، وبعد الانتخابات ، قبل الازمة التى حدثت وبعدها .

وانى بصفة كونى واحدا منكم ، وموضع ثقتكم ، تكلمت مع « دولته » جملة مرات ، وكانمترددا ، **وأنا** الذى جعلته يقدم بعد احجام ، ويقبل بعد ترددكثير . فليس من المفهوم مطلقا أنى وأنا من الاغلبية أختــاررئيسا للوزارة يمثل حزبا آخر غير الحزب الذى أنا منه ! وانىما أجبرت ولا الزمت ان أختــار **عدلى** « باشا » ولكن الذى جعلنىأختاره بالنيــابة عنكم أنه ممثل لتلك الفكرة .

فالوزارة الحالية اذن ليست وزارة **ائتلافيــة** بالمعنى المتعارف ، بل هى وزارة **اتحاد** ، وزارة مزجوانسماج تمثل وحدتنا جميعاً . ولهذا ، فان أملنا فيها قوى جدا ،واننا مسـتعدون بحسب وظائفنا أن نؤيدها كل التأييد ، ما دامتحريصة على هذه الوحدة .

وليس معنى التأييدأننا نغضالطرفعن هفواتها ،أولانحاسبها على أعمالهــا ، بل معنى ذلكأننا نفرض فيهــا الخير ونعتقده

فيها ، ونبحث أعمالها لا بحث الراغب فى ايجاد عثرة أو غلطة، بل بحث الراغب المتشوق لنجاح العمل وحسنه ... يجب علينا أن ننظر الى أعمالها نظر الراغب فى أن يرى أنها موفقة فيها ، لا خاطئة كما هو شأن الحاسدين الحـــاقدين أو ذوى الاغراض الباطلة .

سنبحث أعمالها على هذه القاعدة ، فاذا وجـدناها صالحـــة حبذناها وأيدناها ،واذاوجدناهاغير صالحة انتقدناها ولفتنا نظرها اليها .

اذا سرنا على هذه الطريقة ، كما هو أملى واقصى مرامى ، فاننا نصل معها بحمد الله الى تحقيق آمال البـــلاد فينا . حقق الله رجاءنا جميعا ، ومنحنى من القوة مايساعدنى على العمل معكم . »

وكان رحمه الله يمتلىء وجهه بشرا وحماســة ، وكان يقاطع بالتصفيق الحـــاد فى مواضع كثيرة .

سعـــد رئيس مجلس النـواب

انتخب **سعد** رئيسا لمجلس النواب في دورتي ســنة ١٩٢٦، وسنة ١٩٢٧ ، فكان في رياسته مثلا أعلى للدقة والنظام والنشاط والعدل بين الجميع • وكان رجال الأحزاب جميعهم يشعرون من فرط حياده أنه خير ميزان بينهم ، فما شكا أحد من ميله ، ولا اتهمه عضو بأنه يسير على هواه • حتى لقد كان أعضاء الحزبين المؤتلفين يشعرون أنه لهم أكثر منه لأعضاء حزبه • ولقد ناصر كثيرا منهم في مواقف يحق لها الخلود •

وأذكر للتاريخ أن انتخاب **سـعد** لرياسة مجلس النواب في سنة ١٩٢٦ لم يكن أول انتخاب له رئيسا ، فقد انتخب لأول مرة رئيسا لمجلس النواب الذى تمخضت عنه انتخابات **اسماعيل صدقي** « باشا » رحمه الله ، ولكن هذا المجلس حل في يوم انعقاده في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ بسبب انتخاب **سعد** رئيسا له على رغم ارادة الوزارة **الزيورية** ، كما يعلم القراء •

***

ويحلو لى أن أنقل من مذكراتي أمثلة عن **التقاليد** الرائعــة **لسعد** رئيس مجلس النواب ، تدل على كفايته الفذة العالية في مختلف شؤون الرياسة ، من تنظيم ، وادارة ، وعلم ، وفن ، وحياد وعدل مطلق :

الحضور فى المواعيد والاعتذار

فاجأ سعد أعضاء المجلس فى مستهل رياسته ، فى الجلسة المنعقدة فى ١٣ يونيه سنة ١٩٢٦ – ولم يكن المجلس قد عقد أكثر من جلستين ، بالكلمة الآتية :

الرئيس – « المرجو من حضرات الأعضاء الحضور فى الميعاد المحدد تماما ، لأن ضبط الوقت من اهم أسباب النجاح ، ويلزمنا أن نكون قدوة صالحة للناس جميعا ، خصوصا فى ضبط أوقاتنا ويجب أن يسرى علينا الدستور كما نطالب بسريانه على غيرنا • ونحن محتاجون كل الاحتياج ألا نضيع دقيقة واحدة فى غير مصلحة البلاد ، والا نتأخر الا لعذر شرعى جدا • ويهمنى معرفة : هل أبدى المعتذرون أسبابا وجيهة للاعتذارات ؟ »

السكرتير – اعتذروا فقط ولم يبدوا أسبابا •

الرئيس – أرى أن العضو يجب أن يبدى سبب اعتذاره ، والا فان اعتذاره لا يعتبر وجيها ، ويجب ان ننظر فى طريقة لمنع الاعتذارات الجافة غير المشفوعة بالأسباب • نحن نريد أن نشتغل جديا ، ولا يصح للعضو أن يتغيب بلا مبرر • نريد أن نكون مثالا حسنا للضبط ، وكلما راعينا ذلك تقدمنا • »

* * *

ولقد كان رحمه الله فى رياسته للمجلس مصداقا لقوله السابق ، فعلى الرغم من أن دورة سنة ١٩٢٦ بدأت فى ١٠ يونيه وانتهت فى ٢٠ سبتمبر – وهى شهور الحر الذى لا يطاق – كان يضرب المثل فى دقة الميعاد ، وكان يدخل قاعة الجلسة فيجلس على كرسيه قبل موعد الجلسة بدقائق ، فتظل صفوف النواب تتقاطر فوجا اثر فوج من كل باب ، كأنهم مقدمون على سفر يخشون أن يفوتهم القطار • وويل للذى يحضر بعد الابتداء فى أعمال الجلسة ! انه يظل يستخفى حتى يلمح ان عين الرئيس لا تقتحمه فينفلت الى مكانه سريع الخطو مضطرب الجنان •

ومن حق هذا الرجل المريض الضعيف الذى أنهكه القويان : المرض والشيخوخة ، من حقه أن نذكر هذه الاحصاءات الطريفة ، حتى يعرف شباب هـذا الزمن كيف كان شيخ الزمن القـديم يؤدى واجبه باقبال ونشاط وجلاد ، حتى لكأنه كان رياضيا يأخذ نفسه بالتمرينات اليومية فتزيده شبابا وصحة وعافية !

أتمت دورة سنة ١٩٢٦ تسعاوخمسين جلسة ، فرأس سـعد منهـا ثلاثا وخمسين ، وقد قلت انها مضت فى أشـد شهور الصيف حرارة ! وكانت الجلسات تبدأ الساعة السادسة مساء فلا تنتهى الا قبيل الحادية عشرة ، وقليل من الجلسات ما كان ينتهى بعد ثلاث ساعات أو ساعتين على الاقل .

ومن العجيب أن جميع جلسات هذه الدورة بدأت السـاعة السادسة تماما دون أن تتأخر دقيقة واحدة .

هذا فى دورة سنة ١٩٢٦ ، لأنها بدأت فى ١٠ يونيه ، ويوم الصيف طويل .

***

فلننتقل الى الدورة التالية التى بدأت فى موعدها المعتاد ، فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٦ وظلت تمارس أعمالهـا الى ١٤ يوليه سـنة ١٩٢٧ حيث اتمت سبعـاوتسعين جلسة

فماذا كان نشاط سعد فيها ؟

أؤكد أن شباب اليوم الذين تعودوا أن يقرأوا فى الصـحف مواعيد عقد الجلسات البرلمانية أيام انعقادها ، ستأخذهم الدهشة مما يقرأون الآن :

بدأت الجلسات تعقد فى السـاعة الثالثة بعد الظهـر ــ نعم ! السـاعة الثالثة على الحقيقة دون مبالغة ، ومضت جلسات عديدة تبدأ فى هذا الموعـد ، ثم تأخـر الموعد نصف ساعة أياما فنصف سـاعة آخر أياما أخرى ، كلما مال النهار الى الطول . وعلى كل حال لم يتأخر موعد انعقاد الجلسات عن السـاعة الخامسة الا فى شهر رمضان . وكان الزمن العـادى الذى تستغرقه الجلسـة لا يقل عن أربع سـاعات أو خمس فى أكثر الجلسـات .

وكان نصيب هذه الجلسـات فى هذه الدورة ، من رياسة سعد

يكاد يكون نظيرا في النسبة لنصيب اخواتها في الدورة السابقة ، اذا تجاوزنا عن فترة مرضه :

انه شيخ بألف شاب !

* * *

ويجدر بي ان ادع الكلام في هذه الناحية ، ناحية الجهد الجبار والقوة الخارقة والحيوية الدافقة ، الى رجل لم يكن سكرتيرا لسعد ، ولم يكن عضوا في الوفد ، ولا نائبا من نواب سعد الذين كانوا يرون في كل عمل من اعماله واقواله قداسة انسانية لا يبلغها الوهم .. اترك الكلام الى رجل من غير حزبه ، بل هو من حزب ناقض اشد المناقضة سعدا وخلفاء سعد في أهم مبدأ سياسي اعتنقه الوفد ، وهو مبدأ المفاوضات .. اترك الكلام للنائب القديم الاستاذ محمد فكرى أباظه حين كان ينشر مقالاته الدعابية في جريدة الاهرام ، تلك المقالات التي كان يمزح فيها ولا يقول الا جدا ... قال في احدى مقالاته التي كان ينشرها تحت عنوان ((مذكرات نائب)) ما يأتي ، وكان سعد رحمه الله يستريح في مسجد وصيف بعد انتهاء الدورة الاولى لبرلمان الائتلاف :

((مذكرات نائب))

سعد زغلول :

« ارجو الدكتور (سليمان عزمى ومن معه) ، ان يطوى (روشتاته) وأن يسحب من الطابق العلوى لبيت الامة (أدويته) ... لقد اكتشفت انجع علاج لسعد . وقد جربت هذا العلاج ثلاثة شهور ، وكسور .. فأسفر عن نجاح باهر ...

اما (روشتة) العلاج الجديد فهي كما يأتي :

٥٠ الف جرام مناقشات ومناضلات ...

٣٠ الف جرام محاورات واقناعات ...

٢٠ الف جرام تنبيهات وتعليمات ...

٣ كيلو جرام (بستفه) وتعنيف وتسخيف ...

١ وقة (خطب) ...

يمزج هذا كله ببعضه ، ويستعمل كل يوم في مجلس النواب

صباحا فى اللجان ، ومســـاء فى العصر ، وبعد العصر ، وفى المغرب ، وبعد المغرب ، فى الجلسة !!

هذا هو العلاج الذى تقدمت عليه صحة سعد ، فكان الشاب القوى ، وكنا الشيوخ المهازيل. وبهـذه المناسـبة اود ان أدس دسيسة لدولته : لقد ذهب الي (مسجد وصيف) يطلب الراحة ، وقد جربنا صحته وقت الراحة. فليبـادر محبـوه وعشـاقه ومقدسوه الى (مسجد وصيف) وليمضوا الاجازة معه فى مناقشات ومناضلات ومعارضات وقرارات ... وأقسم بالله : ليعودن وقد جرت فى عروقه دماء الشباب !! »

« نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ »

وهذا مصداق لما ذكرته عن سعد فى بعض هذه الذكريات من انه كان يقول كثيرا : « صحتى تجىء على المقت » .

سعد يقترح

تاليف لجنة الشؤون الدستورية

انعقدت جلسة النواب الثالثة للدورة الاولى الائتلافية يوم ١٣ يونيه سنة ١٩٢٦ ، وكان من مواد جدول الاعمال انتخاب أعضـاء اللجان التى لم يتم انتخاب اعضائها فى الجلسـة السابقة ، فالف المجلس جميع اللجان التى نصت عليها اللائحة الداخلية ، بيـد ان سعدا اكتشف ان هنـاك لجنة يجب أن يكون لها مكان فى مقدمة اللجـان ، ولكن اللائحـة اغفلت ذكرها ، مع ان وجودها لابد منه ، خصـوصا بعـد عهـد الوزارة الزيورية التى أصدرت جمـلة قوانين فى ظل حكم المادة ٤١ من الدستور ، فهل هـذه القـوانين دستورية ؟ وهل هى باطلة ؟ وماوجه البطلان ؟ ذلك بصرف النظر عن موضوعها الذى سيتولاه بحث آخر .

فعرض الرئيس سعد فكرته على المجلس فى صورة اقتراح ، فثار جدل بينه وبين النواب انتهى بتحقيق فكرته وقبول اقتراحه. وفى هذا الموقف ، ونحن فى الجلسة الثالثة للدورة كما قلت ، تبـدو أمارات كثـيرة لاتنبىء الا عن سعد ، ولا يتحلى بها غير سعد :

فالتمرس بالاعمال الايجابية التى هى من اختصاص الاعضاء ، وحسن ادارة المناقشة ، وسعة صـدره لمناقشيه ، والعـدل بينـه وبين

معارضيه ، والنزاهة فى اختيار الاشخاص ، وتحقيق العدالة بين الاحزاب .. كل تلك صفات كانت من آيات سعد فى رياسته، وبدت مجتمعة فيه أثناء مناقشة هذا الاقتراح :

* * *

الرئيس سعد ــ يوجد موضوع هام جدا لم تنص اللائحة على تشكيل لجنة خاصة به ، ولكنى أرى أن تكون له لجنة خاصة ، وهذا الموضوع هو فحص دستورية القوانين التى صدرت منذ حل المجلس لغاية الآن ، لمعرفة ما اذا كانت هذه القوانين والمراسيم التى صدرت دستورية أم غير دستورية، واذا كانت غير دستورية فهل هى باطلة ، وما وجه هذا البطلان ؟ ومن أى وقت يبتدىء؟ وما هى النتائج التى تترتب عليه؟ هذا موضوع مهم جدا ، ويجب أن يبحث بحثا دقيقا من جميع وجوهه واطرافه ، وهذا البحث يستلزم كما هو ظاهر ان يقوم به قانونيون ضليعون مقتدرون حتى يأتى بالنتيجة المطلوبة ، فهل توافقون الآن على تشكيل لجنة خاصة للنظر فى هذا الموضوع الهام أم لا ؟

اصوات : موافقون .

ويصا واصف ــ لى اعتراض بسيط على هذا الاقتراح ، ذلك انه اذا شكلت هذه اللجنة يخشى ان يتعطل العمل لانها ستكون مكلفة بالنظر فى جميع القوانين التى صدرت .

الرئيس ــ هذه اللجنة تنظر فى القوانين من حيث موضوعاتها المختلفة ، وهل هى موافقة للمصلحة ام لا ؟ ولكن هذه القوانين صدرت فى غيبة المجلس بالاستناد الى المادة (١) من الدستور ، فمهمة اللجنة هى النظر فى هل هذه المادة تنطبق حقيقة عليها أم لا ؟ واذا كانت هذه القوانين باطلة ، فما نوع بطلانها ؟ هل هو بطلان أصلى؟ ام بطلان تبعى ؟ هل صدرت باطلة ام جاء البطلان طارئا عليها بعد صدورها ؟ فاللجنة التى ستناط بها هذه المهمة ، لن تبحث القوانين من حيث موضوعاتها ، وبناء عليه فلا محل للاعتراض .

ويصا واصف ــ يترتب على ذلك أن كل القوانين ستعرض على هذه اللجنة .

الرئيس ــ نعم . لقد قدمت هذه القوانين الى المجلس من دولة

رئيس الوزراء ، واللجنة التى اقترح تأليفها ستقتصر فى بحثها على النقط الدستورية ، ولا تتناول موضوعات القوانين ، فلا يترتب على تشكيلها تعطيل للعمل. فاذا رأيتم ان تشكلوها من المتضلعين فى القانون فأنكم تفعلون خيرا .

عزيز انطون ــ يمكن أن يناط هذا العمل بلجنة الحقانية .

الرئيس ــ لجنة الحقانيــة لم تشكل لهذا الغرض .

عزيز أنطون ــ لجنة الحقانية مؤلفة من قانونيين ضليعين .

الرئيس ــ هذا بحث آخر .

اسماعيل حمزه ــ لاشك فى ان الاقتراح الذى عرضه دولة الرئيس فى غاية الوجاهة ، ويستدعى عناية خاصة . فاذا سمحتم حضراتكم ووافق دولة الرئيس فأنى ارى بدلا من تشكيل لجنة خاصة ان تؤلف لهذا الغرض لجنة فرعية ضمن لجنة الحقانية كما هى الحال بالنسبة للجنة المالية ولجنــــة الميزانية .

الرئيس ــ هل تعنى أنه اذا كان احد القــانونيين خارجا عن لجنة الحقانية ، فلا يجوز ان نضمه الى هذه اللجنة ؟

احمد رمزى ((بك)) ــ عند ما وضعت اللائحة الداخلية كنت قد اقترحت تشكيل لجنة للمسائل الدستورية والانتخابية .

الرئيس ــ يعنى أنك متفق معى؟

احمد رمزى ((بك)) ــ نعم متفق لان عمل اللجنة التى ستعنى بالمسائل الدســتورية ، ليس له اتصال بأعمال السلطة التنفيذية التى تتفرغ لها لجنة الحقانيـــة ، وهى أنما تنظر فى أعمال المحاكم . أما اعمال السلطة التشريعية من دستورية وانتخابية ، فيجب ان تتفرغ لها لجنة خاصة

ابراهيم الهلباوى ((بك)) ــ الواقع أن الموضوع الذى عرضه دولة الرئيس ، أى النظــر فى دســتورية هذه القوانين وعـــدم دستوريتها ، والبحث فى كونهــا باطلة ام غير باطلة ، وتحـــديد الوقت الذى يقضى الدســـتور باعتبـــارها باطـــلة فيه ، هو من المسائل المهمة جدا . ولكن بما ان هذه المسألة من المسائل الجوهرية للغاية ، وبما ان لنا الحق فى ان نعطى المهــلة الكافيــة لتحضــير أنفسنا ، والتروى فى كل ما يعرض علينا من المشروعات ــ ولذلك نص

على وجوب ادراج كل المسائل فى جدول الاعمال ـ فانى لهذه الاعتبارات ارى أن اثارة هذه المسألة فى الوقت الحاضر مع ما لها من الاهمية الجوهرية لعدم درجها فى جدول اعمال اليوم غير جائز. ولذلك استسمح دولة الرئيس فى أن تؤجل المناقشة فى هذه المسألة واقرارها على الوجه الواضح الى الجلسة الآتية ، حتى نتشاور وتكون عندنا فكرة ناضجة .

الرئيس ـ مم تخاف ؟

ابراهيم الهلباوى « بك » ـ انا خائف لان فكرى فى هذه المسألة لم ينضج بعد . أنا خائف من نفسى، ولست خائفا من احد . نحن فى حاجة الى ترو كثير قبل أن نفصل فى هذا الموضوع أو نتخذ فيه قرارا .

الرئيس ـ نحن ملزمون على كل حال ان نفصل فى دستورية هذه المراسيم ، ومن الواجب أن يكون فصل المجلس فيها صحيحا وقراراته دقيقة ، لانه قد يترتب على هذا الفصل وهذه القرارات خلافات هائلة ، لذلك نحن محتاجون فى هذه المهمة الى رجال متخصصين أكفاء ، وقانونيين ضليعين يقومون بدرسها درسا وافيا .

ابراهيم الهلباوى « بك » ـ انى اريد فقط ان أعرف : هل الظرف الحاضر مناسب أم لا ؟

الرئيس ـ لا ارى ضررا مطلقا فى تكوين هذه اللجنة فى الظرف الحاضر ، اذ ليست الخطورة فى تكوينها ، وانما الخطورة فى أحكامها وقراراتها . الفرق بيننا وبينك اننا نريد أن نعين هذه اللجنة ونشدد فى تعيين القانونيين الاكفاء حتى نوفق الى الصواب . أما رأيك انت فهو اننا نسكت .

ابراهيم الهلباوى « بك » ـ اننا نسكت ٢٤ ساعة فقط .

الرئيس ـ نحن نريد أن يصدر الرأى بكل دقة وصحة ، وليس هناك من يعيب علينا ذلك .

ابراهيم الهلباوى « بك » ـ لست معارضا فى الفكرة مبدئيا، وانما ارجو ان يؤجل النظر فى هذا الاقتراح ٢٤ ساعة ، لانه جديد، ولم يرد فى جدول الاعمال ، ولسنا مستعدين لابداء رأى ناضج فيه .

محمد شوقي الخطيب _ عندما عرض صاحب الدولة رئيس الحكومة هذه القوانين على المجلس احتفظ حضرة الاستاذ صبرى أبوعلم لنفسه بالحق فى مناقشة هذا الموضوع من الوجهة الدستورية ، فكأن المجلس بذلك قد اختص بالفعل ٠

فاقتراح دولة الرئيس الخاص بوجود اللجنة مدعاة لدقة البحث والابتعاد عن الخطر الذى يخشاه هلباوى « بك » ، لان المناقشة على حسب اقتراح الاستاذ صبرى أبوعلم ستكون علنية فى المجلس٠ أما اذا ألفت اللجنة فستبحث دستورية القوانين بدقة ، ويسترشد المجلس برأيها ، وتكون اللجنة قد سهلت على المجلس أعماله ٠ وبناء عليه أوافق على اقتراح دولة الرئيس ٠

الرئيس _ نحن الآن أمام اعتراض ، وهو ان هذا الاقتراح غير وارد فى جدول الاعمال٠

مكرم عبيد _ لى تعديل طفيف اذا اعتبر تعديلا ٠ ان للجنة ضرورة ماسة ، وهى البحث فى دستورية القوانين المعروضة علينا ٠فمن رأيى أن تعطى اللجنة شكلا دائما ، وأن يوسع اختصاصها حتى يكون من عملها البحث فى جميع المسائل الدستورية ٠ فاذا عرض بحث خاص بتعديل الدستور مثلا ، عرض على هذه اللجنة ، لاسيما واننا قادمون على وضع التدابير اللازمة لصيانة الدستور ،لذلك أرى أن تعطى اللجنة أكبر اختصاص ممكن ، وأن تكون ذات شكل دائم ٠

الرئيس _ ولكن ما رأيك فى أن هذا الاقتراح غير وارد بجدول الاعمال ٠ هذه مسالة لم يفصل فيها بعد ٠

راغب اسكندر _ ان طلب الاستاذ الهلباوى ينطبق على نص المادة ٥٣ من اللائحة الداخلية ،لان هذه المادة تحتم أن يعلن الاعضاء بالموضوعات التى سيجرى فيها البحث فى الجلسة المقبلة ٠

فكرى اباظه _ انك تقصد المادة ٧٢ يا أستاذ ٠

راغب اسكندر _ المادة ٥٣ و٧٢ اذن ٠

احمد عبد الباقي راضي _ الاعتراض الذى أبداه الاستاذ الهلباوى بأن مسألة هذه اللجنة غير واردة فى جدول الاعمال غير وجيه ، لاننا اذا نظرنا فى جدول الاعمال وجدنا أن فيه (انتخاب باقى اللجان) ٠ فاذا لاحظنا ذلك ورجعنا الى المادتين ٥٣

و ٥٤ من اللائحة وجدنا فى ختام الاخيرة : (ويجوز للمجلس أن يعين لجانا مخصوصة بحسب مقتضى الحال) • فاذا أضفنا الى جدول الاعمال ما اختتمت به هذه المادة تحتم النظر فى تشكيل هذه اللجنة الآن •

محمود صبرى ـ أنا متمسك بالمادة ٥٤ من اللائحة الداخلية، التى تنص على انه يجوز للمجلس أن يعين لجانا مخصوصة بحسب مقتضى الحال • فالاعتراض الذى وجه فى هذه الجلسة بخصوص عدم ورود الاقتراح بجدول الاعمال ليس وجيها ، لان المادة ٥٤ تعطى لنا الحق فى تعيين هذه اللجنة ان أراد المجلس •

عبد السلام فهمى محمد جمعه ـ المادة ١١٣ من اللائحة الداخلية تقول : (عند تقديم أى اقتراح أو مشروع قانون يجوز لمقدمه أو لأى واحد من الاعضاء طلب الاستعجال فى نظره ، على أن يشفع هذا الطلب ببيان الاسباب المبررة له ، فاذا قرر المجلس الاستعجال وكان الموضوع مشروع قانون يحيله على اللجنة المختصة أو التى يختارها ، ويكلفها بالنظر فيه قبل سواه من عملها • أما اذا كان اقتراحا برغبة ، فللمجلس أن ينظر فيه فورا ، أو يحيله بالكيفية السابقة) •

فالمعروض الآن اقتراح برغبة، ولنا أن نقرر سرعة النظر فيه•

اننا تألمنا من هذه القوانين ،وكثيرا ما كتبنا وكتب الكاتبون فى الصحف عن الاعتداء المتكرر على الدستور • فلا معنى مطلقا للتأجيل ، ولنا من اللائحة الداخلية مايسوغ طلب الاستعجال :

حسن صبرى ـ هذا الموضوع من عمل اليوم بلا نزاع ، لانه قد جاء بجدول أعمال اليوم «تشكيل بقية اللجان » • ولا نزاع فى أنه معروض على المجلس مشروعات وقوانين عدة ، وهذه المشروعات يجب أن تمر باللجان الاصلية• ولكن الآن قد رئى أن هذه المشروعات ، أو على الاقل جزء منها ، يجب قبل البحث فى موضوعها أن ينظر فى دستوريتها•

والمجلس فى الواقع لايمكنه الا أن يعتبرها مشروعات قوانين، لأنها لم تمر عليه قبل صدورها• والآن وقد رئى بطريقة عامة أن يبحث فى : هل السلطة التى أصدرتها كانت تملك حق اصدارها ؟ واذا كانت باطلة :متى ابتدأ بطلانها ؟وماهى نتيجته؟

فمن عملنا اليـــوم قطعا ، وقداجتمعنا لتشـــكيل اللجــان ، أن تشكل لجنة خاصـــة لبحث هذهالمشروعات فى نقطة واحدة •

وأرى أنه عمل متمم لاعمالنا•ولائحة المجلس لاتتنافى معــه ، خصوصا والمصلحة تقضى فعــلاببحث دستورية هذه القوانين •

محمد كامل حسن الاسيوطىـ أنا متفق مع زملائى فى أننـــا اذا وضعنا اقتراح دولة الرئيس بأنه اقتراح بالمعنى المقصــــود فى المادة المذكــورة ، وجب أن يطبق عليه نص المادة ، وهـــو (حيث أنه غير وارد فى جدول الاعمال يصح تأجيله) على أنى أرى ان هذه الفكرة ليست اقتراحا بالمعنى المراد فى اللائحة الداخلية، وأرى ان هذا عبارة عن تقسيم المجلس الى هيئات خاصة ،واللائحة قد نصت فى المادة ٥٤ فى أول فقرة منها بأنه (فى مبدأ انعقاد كل دور عادى ينقسم المجلس ••الخ •) فنحن فى الواقــع أمام مسألة تنظيم لا اقتراح أومشروع قانون ـ انما نحن نطبق نص اللائحة فيمــــا يختص بتقسيم المجلس الى لجان ، أوبعبارة أخرى: توزيع أعمال المجلس على هيئات خاصة ، لذلك أرى أن مااقترح علينا ليس خارجا عن موضــوع اليوم •

ـ أصوات : يقفل باب المناقشة•

مصطفى الشوربجى ـ المادة ٥٣ التى تنص على ضرورة ايجــاد (رول) ، أو محضر أعمال ، لاتقصر أعمال المجلس على ذلك ، وليس فيها معني الحصر ، وما ليس ممنوعا فهو مباح ، فهذه المادة فيها الاباحة ، لان المنع ليس فيها ، فاقتراح الهلباوى «بك» فى غير محله خصوصا أنه مسلم بالعمل فى حد ذاته ، فلا داعى للتأجيل منعا لضياع الوقت •

الرئيس ـ من يوافق على التأجيل يقف •

(وقفت القلية) •

الرئيس ـ أقترح أن يكون عدد أعضائها سبعة فما رأيكم ؟

(موافقة عامة) •

الرئيس ـ الأصوب أن يكون انتخابهم بطريقة الترشيح ، أو أن يذكر أحدكم أسماء السبعة •

راغب اسكندر ـ دولة الرئيس صاحب الاقتراح يرشحهم •

ابراهيم الهلباوى « بك » ـ ان ترشـــيح الرئيس يعتبر تعيينا ٠

الرئيس ـ أقترح :

ويصا واصف ، مصطفى النحاس « باشا » ، اسماعيل صدقى « باشا » ، محمد حافظ رمضان« بك » ، محمد على « باشا » ، مكرم عبيد ، حسن صبرى « بك»

(فوافق المجلس على ذلك)

الرئيس ـ تسمى هذه اللجنة« لجنة الشئون الدستورية »

(فوافق المجلس) ٠

سعـــد واسماعيل صـــدقى

على قدر ما كان **سعد** يكره **اسماعيل صدقى** « باشا » رحمهما الله ، فى أيام الخصومة الشديدةبينهما ، كان يقدره ويحترمه فى **عهد الائتلاف** ٠ وكان **صـــدقى**رئيس لجنــة المالية فى مجلس النواب الائتلافى فى سنتى ١٩٢٦و ١٩٢٧، وفى هاتين السنتين تجلت على الملأ كفاءة صـــدقىوقدرته المالية والاقتصادية فى تقارير لجنــة الماليــة التى قدمتهاالى المجلس عن ميزانية الدولة ٠ وعندما قاربت دورة سنة ١٩٢٦أن تنتهى عكف **الرئيس** على وضع الخطبـــة التى يودع بهـــا النواب يوم فض الدورة ،فحين بلغ منها الكلام على أعمال اللجان لم يجد بدا من التنوية بجهود لجنـــة المالية ورئيسها ، كما جـــرى التقليد السنوى ٠ وأذكر انه أملى على جملة عبـــارات مختلفة كان يأمرنى بنسخها واحدة بعدأخرى اذ كان لا يود فى قرارة نفسه أن يمدح هذا الخصم السياسى الذى ناصب الوفد وأنصاره العداء زمنا طويلا وهو فى الوقت نفسه لا يريد أن يبخسه حقه من تقـدير كفاءته والاشادة بفضله ٠ وكان يرى أنه وهو على منصـــة الرياسة ليس **سعدا** رئيس الوفد ، ولكنه **سعد** رئيس مجلس النـــواب ، رئيس الاعضاء جميعا ، فلا يملك أن يتحزب لعضو دون عضو ٠ ومافتىء يغير ويبدل ، وهو يبحث عن عبارة تخرجه من المأزق الحرج: فلا هو يريد تسجيل مدح يؤخذ عليه فى المستقبل ، ويكون شهادة من **سعد لصدقى** قد تستغل فيما بعد ! ولا هو يرضى ضميره ان ينكر كفاءة هـذا الرجـل القدير

الذى ظفر بالاعجاب من جميع النواب ! وأخيرا استقر رأيه - بعد تردد طويل وتفكير عنيف - على الجملة التى تضمنها النص الرسمى للخطبة ٠

وهاهى انقلها كما وردت فى مضبطة الجلسة . قال سعد :

« ولقد كان للجنتكم المالية رئيسها وأعضائها ، الفضل العظيم في تحقيق مسائلها (يقصد الميزانية) ، وتحليل دقائقها ، وتسهيل ما خذها ، وجعلها صالحة للفصل، حتى كانت آراؤها وملاحظاتها نبراسا اهتديتم بضوئه فيما اتخذتموه من القرارات ، وأبديتموه من الملاحظات والاستلفاتات ٠ فحق لها الشكر منكم (تصفيق) ، واستحق رئيسها أوفر نصيب منه ، فقد قام بعرض تقاريرها المتعددة المطولة عدة أيام فى غير تعب ولا املال ، وشرحها شرحا وافيا فى ايجاز ، بدقة وحسن بيان » ٠ (تصفيق)

وبعد أن تكلم وكيلا المجلس بما يناسب المقام ، قام النائب المحترم اسماعيل صدقى « باشا » فألقى كلمة قيمة أقتطف منها ما يأتى خاصا بالرئيس :

قال صدقى « باشا » :

« ماكان لى بعد الخطاب النفيس الذى فاه به دولة رئيسنا المبجل، وبعد خطابى وكيلى المجلس المحترمين ، أن أطلب الكلمة ، لولا ماتفضل به دولة رئيسنا الجليل من عبارات المديح التى صاغها للجنة المالية ولرئيسها الضعيف .

ما كان لى الا أن ألبى داعى الحق وداعى الواجب ، فأتقدم بالشكر لدولته على هذا التفضل الكبير ٠

وانما اقول لحضراتكم ان لجنة المالية على ماعانت من تعب ونصب لا تستحق فى الحقيقة كل هذا الاطراء من دولة رئيسنا ، لأنها لم تفعل الا الواجب ...

الرئيس - أتعنى أن فى كلامى مبالغة ٠٠ (ضحك)

صدقى « باشا » - لا أقول ذلك ، وانما أقول أن لجنة المالية لم تفعل الا الواجب ، وهى تشعر انها لم تتمكن من تمحيص الميزانية التمحيص اللازم ، للظروف غير المألوفة التى تقدمت فيها ، وكلكم تعرفونها ، وقد ذكرها دولة الرئيس فأغنانى عن ذكرها .

على أنه اذا كان ثمة شكر ندين به لأحد ، فيكون هـذا الشكر لدولة رئيسنا . اننا اذا ذكرنا مواهب هذا الرجل العظيم ، اذا عددنا مواضع الاعجاب في رياسته علينا ، وفي زعامته للبلاد ، وجب أن نذكر هذه الحكمة التي تتجلى في المواضع والمواقف العصيبة ، أو نذكر ذلك الحذر وتلك الغيرة التي ، متى عرضت شؤون حيوية للبلاد ، أو مس الدستور أمر ، كانا على تمام الاستعداد ، بل على تمام التحفز للذود عن مصالح البلاد ، وعن كيان الدستور .

(تصفيق حاد)

اننا اذا ذكرنا ، فاننا نذكر هذا الانصات ، وهذا التتبع لمناقشاتنا على ما يصادف فيها أحيانا من ملل وضجر ، ونا عيك بمناقشة الارقام . على أن دولة رئيسنا كان مثالا لنا في الالتفات . كان مثالا لنا في توجيه المناقشات دائما الى الوجهة الحقة .

كان اذا وجهت المناقشات الى غير السبيل الذي يلتئم تماما مع المصلحة العامة ، تصبح حكمة دولته واصالة رأيه سدا منيعا ضد الاستمرار في تلك المناقشات .

ايها السادة : انني في هذا المقام لا أستطيع الا ان أذكر جزءا من كل ، وأشعر انه كاف لاحلال **رئيسنا** المحل اللائق ، ليس من احترامنا فقط ، بل ومن محبتنا»

ثم قال في نهاية كلمته :

« وفي الختام ، ايها السادة ، أرجو ان تبتهلوا الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ صحة رئيس المجلس المحبوب مدة طويلة ، نجني فيها ثمار ارشاداته وتجاريبه .» (تصفيق حاد)

* * *

واذكر بهذه المناسبة ان **صدقي** « باشا » كان يزور الرئيس مرارا في «مسجد وصيف» في عهد الائتلاف . وكان يحضر من بلدته «الغريب» على حمار و فوقه مظلة . وكان يبدى أدبا رفيعا في لقاء **الرئيس** ، حتى لينحني فيقبل يده ، ولا يمكنه من القيام له ! وكان يجلس الى **الرئيس** جلوس الابن الطيب الى أبيه .

وكان **الرئيس** يحتفي بمقدمه كثيرا ، واذا غاب يوما كلفني السؤال عنه بالتليفون . **وصدقي** « باشا » محدث بارع ، وراوية

لا تمل أخباره ، وأديب يسترعي الأسماع . وكان سعد في فترة استجمامه بمسجد وصيف يزهد في السياسة وحديثها ، فما أشد شوقه الى مثل جديث صدقي !! وكان يقول بعد انصرافه :

« لا أدري ما هو السر أو السحر الكامن في هذا الرجل ؟ .. حين يزورني ويحدثني ، أكاد أجزم بأنني أحبه وبانه يحبني ، كلانا من قلبه ! ولكن بعد أن يتركني وأستذكر ماضيه معي ، تغيم سحابة سوداء على هذا البشر الذي كان يســـود الجو منذ قليل ، فأحتار : أي الرجلين أو من به ، عدو الامس أو صديق اليوم ؟ »

فكرى اباظة يهجو البرلمـان فيحميه سعد

احتفل الحزب الوطني في أوائل سنة ١٩٢٧ باحياء ذكرى زعيمه المغفور له **مصطفى كامل** « باشا » وكان بين الخطباء الاســتاذ **فكرى اباظة** ، فحمل في خطبتــه حملة قاسية على سياسة **الوفد** ورئيسه وعلى **البرلمـان** ، مع أنه عضو في مجلس النواب ، وحين دخل جلسة المجلس في اليوم التالي : (١٦ فبراير ســنة ١٩٢٧) ، وكانت خطبتــه قد نشرت في الصحف ، ألفى الجو مكفهرا ، وأحس باعراض زملائه عنه ، لا يلقون اليه التحية ، ولا يقبلونها منه !

وكان **سعد** رئيس الجلسة !

طلب النائب المحترم **حسن نافع** الــكلمة ، ووقف على المنصة ، وتنــاول موضوع الخطبــة بنقــد عنيف ، ووجه الى النائب المحترم **فــكرى اباظة** لوما شــديدا ، ثم عرض على المجلس أن يتخذ قرارا في شأن هــذا **العضو** الذي طعن زملاءه من وراء ظهورهم .

ولكن **سعدا** الكبير ، **سعدا** الرئيس الذي أخذ نفسه في مكان الرياســة بالتقاليــد البرلمـانية السليمة ، ثار ثورة أبية ، وصاح بصوته المجلجل ، صوت **سعد** ، قائلا :

ـ لا أسمح ..

وبعد أن كانت القاعة تغلي حماسة حزبية ، وتتردد الاصداء فيها بأصوات التأييد للخطيب الهائج ، صــارت وكأنها ليس بهــا عضو ينبس .. حتى **الخطيب** نفســه وقف لســانه في حلقــه فعي عن الكلام .. !

وفى هذه الدهشة التى رانت على الاعضاء ، صاح **سعد** مكررا:

ــ لا أسمح بطرح هذا الموضوع على المجلس ، وسبق أن صرحت بأن ليس للمجلس شأن فيما يقال خارجه ، لاننا لانتكلم هنا الا فيما يختص بمصالح البلاد ، ولايجوز أن نشغل أنفسنا مطلقا بأقوال تقال فى غير هذا المكان ٠فاذا كان هناك عتاب على أقوال قيلت فى خارج المجلس ، فليكن الرد عليها فى خارجه ٠٠

حسن نافع ــ اذا رأى المجلس مارآه دولة الرئيس فانى ٠٠٠

الرئيس ــ من حقى أن أمنعك عن الاستمرار فى الرد على كلام قيل خارج المجلس ٠٠ ومع هذا اذا شئت طرح الامر على المجلس لاخذ الرأى فانى مستعد لذلك ٠

وعبثا حاول **النائب** أن يسترضى **الرئيس** الحازم ، فعاد الى مكانه ٠

وقد كانت هذه **المجاملة** التى فاز بها النائب المحترم **فكرى اباظة** ، على حساب التقاليد البرلمانية ، حافزة لنفسه الطيبة أن يقابلها بشكران ، فلم يلبث فى فترة الاستراحة أن دخل على **الرئيس** فى مكتبه ، وهو على أشد الخجل من هذه « **المجاملة القاتلة** » كما صرح بهذا التعبير ٠

وهنا اترك له حكاية ما قال **للرئيس** :

« **قلت** : أسمح لى بكلمة ٠٠

قال : ماذا ؟

قلت : نحن الناشئين المغرورين تغرر بنا شهوة الظهور والشهرة ٠ فان لم نكبر على أكتافكم ، وان لم نختلس منك شيئا من المجد ، فكيف يعرفنا الناس ؟

سيقولون ان **فكرى اباظة** حمل على **سعد زغلول** ، فأستفيد أنا ، ولا يضرك هذا فى شىء ٠٠ »

فوقع هذا الكلام الحسن موقعه من نفس **الرئيس** ، وأعلنه أنه مرتاح غير غاضب ،وخرج الاستاذ **فكرى** مغتبطا مستبشرا ٠

سعد وضبط المواعيد

أكثر الاعضاء نشاطا وأوفرهم اقبالا على العمل

كان **سعد** رئيسا لمجلس النواب في الدورتين الاولين لبرلمان الائتلاف ، وقد بدأت الاولى في ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦ وانتهت في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ ، فاستمرت ثلاثة شهور وعشرة أيام ، عقد المجلس فيها ٥٩ جلسة ٠

وبدأت الدورة الثانية في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٦ وانتهت في ١٤ يوليه سنة ١٩٢٧ ، فاستمرت ثمانية شهور الا ثلاثة أيام ، وعقد المجلس فيها ٩٧ جلسة ٠ وكانت رياسة **سعد** للمجلس في الدورتين خاتمة سعيدة موفقة لحياته السياسية ، فقد كان فيهما زعيما للائتلاف ، محبوبا مكرما من جميع الاحزاب ٠ وعلى الرغم من الخصومات العنيفة التي كانت بينه وبين رئيسي **الوزارة** الائتلافية ، فقد كانت المودة والثقة والتعاون دستور الصلة بين الثلاثة الاصدقاء في هذا العهد الاخير ٠ وقد بلغ من اطمئنان بعضهم الى بعض ومن تضامنهم في خدمة البلاد ، أن **خطب** العرش الائتلافية كانت ترسم خطوطها وتكتب سطورها في **بيت الامة** وفي مكتب **سعد** زعيم الائتلاف ٠ بل كان من تمام الرضوان الذي أنعم الله به عليه في ذلك العهد أنه لم يكن حاضرا جلسة المجلس التي أعلن فيها المغفور له **عدلي يكن** « باشا » استقالة وزارته بسبب تصرفات وعبارات صدرت في الجلسة ، وكان الاستاذ **مصطفى النحاس** « باشا » وكيل المجلس هو رئيس الجلسة التي شهدت أول مصرع للائتلاف ٠ بيد أن **سعدا** الذي كان معتكفا لمرضه ، منفذا أوامر أطبائه لم يشأ ، وقد أذهله النبأ ، الا أن يضحي براحته واستجمامه ، فاستدعى كل ذي شأن في الخلاف بين **الوزارة والمجلس** الى بيت الامة ، وعالج الامر بحكمته وبروحه الطيبة ، حتى عادت المياه الى مجاريها بين المؤتلفين جميعا ، واذا كانوا قد

خسروا فى ذلك الامتحان العصبى الحساس وجه الرجل النبيل « عدلى » باشا ، فقد استبدلوا به وجه صديقه الاعز ثالث الثلاثة فى الائتلاف .

لقد قال الجميع فى تلك المحنة لو أن **سعدا** رأس الجلسة لما أصاب الائتلاف صدع ، ولأدرك بثاقب بصيرته أن ذلك المنحى الذى اتخذه المجلس فى المناقشة يومئذ لم يكن جميلا ازاء رئيس وزارة موثوق به من جميع الاحزاب ، فما كان أجدره ساعتئذ بأن يصد العاصفة ويوجه شراع السفينة فى متجه الامان .

كان **سعد** مخلصا بكل قلبه للائتلاف ، موطنا نفسه على بذل كل جهوده وقواه فى سبيل هذا العمل الوطنى الكبير ، الذى خلقه فسواه ، وكأنه أراد أن يعرب عن شكره لله وفرط اغتباطه بتحقيق هذه الامنية ، فسار ماشيا على قدميه من **بيت الامة** الى دار **البرلمان** ، فى اليوم الاول الذى صار الائتلاف فيه حقيقة قومية ورسمية ، والذى آذنت الايدى فيه بالتصافح والقلوب بالتصافى ، فلا خصام بعد اليوم .

عرف **سعد** أنه ربان السفينة ، وانه معلم القوم ، فليضرب لهم أحسن الامثال . وتلك الامثال التى يضربها **سعد** ، لاتحصى ولاتعد ، ولايعوزها الشرح والبيان ، فبحسبى أن أذكر أرقاما ينطق كل رقم منها بمقال :

الدورة الائتلافية الاولى

مضت الشهور الثلاثة للدورة الاولى فى الصيف الحار والجو الخانق : يونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر ، فاستقر رأى النواب على أن يبدأوا جلساتهم فى الساعة السادسة مساء ، ولو قدر سعد أن يقسرهم على نشاطه وشهوته الى العمل لقدم موعد الجلسة ساعتين أو ثلاثا .

قلت ان الدورة أتمت على قلة زمانها ٥٩ جلسة ، وأقول بناء على احصاء دقيق ان الجلسات جميعا بدأت عند تمام الساعة السادسة ... الا ست جلسات بدأت كل منها السادسة والدقيقة الخامسة . والا جلسة واحدة بدأت السابعة وانتهت على مدى دقائق من الحادية عشرة ، كأنه عقاب على تأخر موعدها فى الانعقاد !

أقول الساعة السادسة والدقيقة الخامسة ، ليثق القارىء أن الاثنتين وخمسين جلسة قد انعقدت جميعا عند تمام السادسة **حقا وصدقا لابهتانا** !!

فكم جلسة رأسها **سعد** من هذه الجلسات ، وهو الشيخ المريض الذى يحمل فوق كاهليه كل الاعباء ؟ لقد رأس خمسا وخمسين من تسع وخمسين ،وكان يدخل القاعة ويجلس على كرسى **الرياسة** قبل أى نائب شاب •

وهذه أرقام أخرى عن موعد انتهاء الجلسات :

٣٠ جلسة كانت تطول الى العاشرة مساء وقد تصل الى الحادية عشرة •

١٥ جلسة كانت تنتهى فيما بين التاسعة ومنتصف العاشرة•

٨ جلسات كانت تنتهى عند التاسعة أو على دقائق منها •

٥ جلسات انتهت عند الثامنة، •

١ جلسة واحدة انتهت السابعة والدقيقة الخامسة •

ومن العجيب أن ثلاث جلسات من هذه الستضئيلة الميقات، لم يرأسها **سعد** !

انها أرقام لاكلام •• !

الدورة الإئتلافية الثانية

بدأت فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، وانتهت فى ١٤ يوليه سنة ١٩٢٧ ، وفى هذا الاجل الطويل متسع لنشاط **سعد** ! فقد قلت فيما مضى أن **سعدا** كان يود تقديم موعد الجلسة ساعة أو ساعتين قبل السادسة مساء ،ويريد الله أن يحقق له أمنيته فى هذه الدورة الجديدة ، ولو على حساب أعصاب النواب ورهبتهم **لرئيسهم ومعلمهم** الجبار !!

كان رئيس الجلسة الاولى عند ختامها الاستاذ **ويصا واصف (رحمه الله)** فسأل النواب بعد تمام الاعمال :

— ألاترون حضراتكم أن يكون موعد انعقاد الجلسات ابتداء من الجلسة القادمة فى الساعة الرابعة مساء ؟ **(موافقة عامة)**

وكان **سعدا** حين علم الخبر لم يرقه ، فلم يحضر « الجلسة **القادمة** » **لان** موعد افتتاحها لايشفى غلته ••• !

ثم رأس الجلسة الثالثة ، فافتتحها الساعة الرابعة لاتزيد دقيقة ، وهو الموعد الذى قرره المجلس فى غيبته وقبله على مضض !!

ورأس جلسات أخرى قليلة ،فافتتحها فى هذا الموعد المحدد احتراما لقرار المجلس •

وأخيرا لم يطق سعد صبرا ،فافتتح الجلسة الثامنة فى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، مؤخرا موعدها خمس دقائق بعد الساعة الرابعة ، ثم التفت الى النواب فقال :

الرئيس – الاحظ أن عدد الذين تخلفوا عن حضور جلسة اليوم كبير ، وأخشى أن يكون السبب فى ذلك أن ساعة الاجتماع متأخرة ••• فهلا ترون حضراتكم أن الأوفق أن نجعلها الساعة الثالثة بعد الظهر ؟ (ضحك)

أصوات – موافقون •

أصوات – الساعة العاشرة صباحا •

الرئيس – الساعة العاشرة موعد طيب ، ولكنه لايوافق الكثيرين • والحقيقة أن الموعد الحالى لعقد الجلسات لا يلائم صحتى ، نظرا لبرودة الجو • فاذا سمحتم بالموافقة على الساعة الثالثة تمكنت من أن يكون لى السرور بالاشتراك معكم •

أصوات – موافقون •

مصطفى محمود الشوربجي – ارى أن يكون الموعد الساعة الثالثة والنصف أو الثالثة والدقيقة العشرين بعد الظهر •

محمود صبرى – أن أغلب محامى الأرياف لايناسبهم ميعاد الساعة الثالثة ، فنواب الغربية والبحيرة والمنوفية والفيوم والشرقية ، لايمكنهم الوصول الى القاهرة فى هذا الموعد ، لأن القطار لا يصل الا الساعة الثالثة والربع •

احمد حافظ عوض – نريد أن يكون موعد انعقاد الجلسات أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء فقط •

الرئيس – ليس هذا موضوع كلامنا الآن ، بل موضوعه أخذ الرأى على ان يكون موعد الاجتماع الساعة الثالثة مساء ، فماذا ترون ؟

(موافقة عامة على أن تعقد الجلسات الساعة الثالثة بعد الظهر) •••

ولعلـــه رأى ، بعد كسب موافقتـــهم علـى تبــــرم من بعضهم ، أن يعودهم رويدا رويدا هذا الموعد الجديد الذى لم يكن له مثيل فى تاريخ البرلمان ، فحضر فى الجلسة التالية ــ التاسعة ــ وأخر موعد انعقادها خمس دقائق كاملة ، ولم يعقدها فى الســاعة الثالثة تماما !!

وسار الحال على هــذا المنوال يجلس **سعد** على كرســيه قبل الثالثة ، فتدلف صفوف النــواب وهم على رهبة أن يكونوا متأخرين ولكن **سعدا** ، والحق يقال ، كان يغضى بعض الأغضاء ، حتى أخر موعد انعقــاد جلستــين أو ثلاث بضع دقائق قد تبلغ سبعــا مرة واحدة !!

ويظهر أن هــذا الموعــد المبكر حرم النائب المحتــرم ، الخفيف الروح ، من نومه بعد الغــداء ، فما صــدق أن رأى على كــرسى الرئاسة وكيل المجلس الاستاذ **ويصا واصف** ، وهو يفتتح جلسة أول فبــراير ســــنة ١٩٢٧ فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة حتى فزع من مكانه يقول :

محمد فكرى اباظه ــ ألاحــظ أن الأسئلة والاستجوابات كثيرا ما تؤجل لغياب الوزراء . وأظن أن السبب فى هذا أن ميعاد الساعة الثالثة أصبح غير صالح الآن خصوصا أن النهار صار طويلا .

(**ضجة**)

ابراهيم الهلباوى « بك » ــ أظن اننا جميعا ضد هذا الموعد، ولكن ينبغى الا نتــكلم فى أمره الا بحضور دولة رئيس المجلس، لان تحديد هذا الميعاد كان بناء على طلبه ، ومراعاة لصحته ...

وبعد دقيقة واحدة أقبل **سعد**، واعتلى منصة الرياسة ، ولكن حماسة النائبين المحترمين هبطت، واخفقت مؤامرة الاستــاذ **فكرى** التى كان ينتويها قبل حضــــور **الرئيس** .

ومرت جلسات، فماوشى أحد بالاستاذ **فكرى** عند **سعد** ، ولكنه لم يقنع بالسلامة فى المرة الاولى، فاستجمع شـــجاعته وتكلم مرة أخرى فى الميعاد ...

كانت الجلسة منعقدة يوم ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٥ (٢ مارس سنة ١٩٢٧) ، وشرع النواب يتشاورون فى موعـــد انعقاد الجلسات فى شهر رمضان :

محمد فكرى أباظه ــ أقتــرح أن يكون ميعاد عقد الجلسات فى

شهر رمضان المعظم الســــاعةالتاسعة مساء ، حتى يكون لدى حضرات الاعضاء الوقت الـكافىلتادية صلاة العشاء ٠٠٠

الرئيس (طبعا : سعد) ـان وقت المغرب الآن الســــاعة الخامسة والدقيقة الخمسين‌مساء،وسيكون فى أوائل شهر رمضان المعظم الســـاعة السادسة ، أوالسادسة والدقيقةالخامسة ٠فمن المستحسن أن تعقد الجلساتفىالساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين مساء ٠

(موافقة عامة) ٠٠٠

وفشل الاستاذ فكرى اباظهمرة اخرى ٠٠٠ !

* * *

أعود الى الارقام :

نحن فى الدورة الائتلافيــةالثانيــــة : (١٨/١١/٩٢٦ ـ ١٤ /٧ / ١٩٢٧) وهى دورةطويلة استغرقت ثمانية شهور الا ثلاثة أيام ، وعقد المجلسرفيها٩٧ جلسة :

١٨ جلسة كانت تبدأ الساعةالثالثة ،ولاتنتهىقبل السادسة، وقد تبلغ السابعة ،أو الثامنة ،أو منتصف التاسعة ٠

١٦ جلسة كانت تبدأ الساعةالرابعة ، ولا تنتهى قبل السابعة وكثيرا ماتبلغ الثامنة ٠

٥٢ جلسة كانت تبدأ الساعةالخامسة ، وتنتهى الثامنـــــة ، وكثيرا ماتبلغ التاسعة أوالعاشرةأو الحادية عشرة ٠ وكلهاجلسات انعقدت بعد شهر رمضان أى من‌أوائل شهر ابريل ومابعده ٠

٧ جلسات انعقدت فى شهررمضان ، وبدأت عنــد منتصف التاســـعة ٠ وانتهت فيما بين‌الحادية عشرة ونصف الليل ٠

٣ جلسات تأخرت مواعيد انعقادها عن الخامسة ، ســـاعة او نصف ساعة٠وأخذت نصيبهاالمعتاد من فترة الانعقاد ٠

رأس سعد ٦١ جلسة من هذاالمجموع ، ومن بينها جلســـات شهر رمضان جميعا ،وقد مرضفى أثناء هذه الدورة مرضا حرم المجلس من رياسته أكثر من‌شهرونصفشهر ، وكاديودى بأواصر الائتلاف ، اذ استقـــال عدلى يكن، باشا ، فى غيبة سعد ، يناصره ولاشك عدد كبير من المؤتلفين ،وهذا هو الصدع الذى رأبه زعيم الائتلاف بحكمته رغم مرضه ٠

تلك هى الارقام ، وما أغنانىبها عن الكلام !!

سعد والصحافة

النقيب الاول

لعل أحق الناس بتكريم **ذكرى سعد**، هم رجال الصحافة، فلقد بدأ حياته صحفيا، وختمها صحفيا، وكان في مدى خمسين عاما على صلات وثيقة بالصحافة، حينا بشخصه، وحينا بأعماله وأقواله، لا يخرج من مرحلة في حياته الا ليعقد سببا جديدا مع الصحافة في مرحلته التالية.

كان أول عمل مارسه بعد مغادرته « **الازهر** » هو التحرير في «**الوقائع المصرية**»، وله فيها مقالات تدل بأسلوبها وبأفكارها على روح متوثبة ثائرة ۰ وكان أسلوب الكتابة في ذلك العهد سجعا ومحسنات لفظية، يتنافس الكتاب جميعا في هذه الصبغة ۰ ولكن سعدا لم يلبس أسلوبه ذلك الثوب الا بمقدار، فلقد كان أكبر همه حين يكتب أن يوضح الفكرة ويفصل الموضوع، فان جاءت على البديهة سجعات أو محسنات، فمن السهل الميسور المقبول ۰

ولما أنشئت **الجمعية التشريعية** سنة ۱۹۱۳ كانت له فيها مواقف خطابية رددت صداها الصحف، واتخذت منها مادة خصيبة تغذى بها قراءها ۰

ثم جاءت الحركة الوطنية سنة ۱۹۱۹، فبعثت في الصحافة نهضة ثائرة، وأمدتها بمعين لا ينضب من الخطب والاخبار، فكثر عدد الصحف، وامتد أفق ذيوعها، وبدأت **الصحافة** تفرض قوتها وسلطانها، وتشعر الرأى العام أن **صاحبة الجلالة** تستوى على **عرشها** ۰۰۰ وهكذا تنقل **سعد** في حياته من طور الى طور، حتى بلغ مرتبة الزعامة العامة، فعاد الى الصحافة كما بدأ، يغذيها مؤيدة، ويشغلها معارضة، ويملأ صفحاتها بخطبه وأحاديثه وأنباء جهاده.

وما من شك فى أن سعدا كان له أكبر الأثر فى نهضة صحافتنا المصرية ، اذ عاونها أكبر العون على الانتشار والترقى فى مدارج الخدمة العامة ، وكان حسب الجريدة ، مؤيدة أو معارضة ، أن تمجد سياسة سعد أوتهجوها ، فيكون لها من الذيوع نصيب معلوم

ولقد كان عهد سعد ، وهو على رأس وزارة الشعب ، وعهده وهو رئيس مجلس النواب ، من أنضر عهود الصحافة واكثرها ازدهارا ، فعاد الى الصحافة فى العهدين مورد جديد خصيب من مناقشات النواب وتقارير اللجان ومضابط الجلسات ·

فاذا كانت نهضتنا الوطنية الاستقلالية ، قد سجلت لسعد زعامته العامة ، فما أحرى صحافتنا ان تعقد لواء زعامتها لسعد ، فهو باعث نهضتها ، ومؤيد عرشها · وسيكون اعترافا كريما بالجميل من صاحبة الجلالة ان تذكر لسعد هذا الفضل ، فتخلع عليه لقب « النقيب الاول »

سعد ورجال صحافة الوفد

عبد القادر حمزة
احمد حافظ عوض
عباس العقاد

لا أعتقد أن جريدة حزبية سارت على مبادىء حزبها واتجاهاته وصوب أهدافه كما سارت جرائد الوفد التى كان يصدرها المغفور له الاستاذ عبدالقادر حمزة «باشا» · فلقد كان الصحفى الوفدى الوحيد الذى يقابل الرئيس كل يوم ، فيستقى منه موضوع مقال الغد · واذا كان الرئيس مريضا أومعتكفا ، قابله الاستاذ فى غرفته الخاصة · واكاد أجزم أنه لم يكتب فى عهد سعد مقالا قبل أن يتحدث اليه فى شأنه · ولهذا كانت المقالة السياسية الرئيسية فى جريدته معبرة دائما عن سياسة الوفد · ولا أذكر أن سعدا اختلف معه أو عاتبه على مقال منشور ·

ولعل قليلا من الناس يعلمون أن سعدا كان فى فترات طويلة رئيس التحرير المستتر فى جرائد الاستاذ عبد القادر حمزة ، خصوصا جريدة البلاغ · فقد كانت البلاغ تنشر له ـ فى سنة

١٩٢٥ على وجه الخصوص - عدة مقالات في الاسبوع الواحد ، بغير امضاء أو بامضاء مستعار ، بل أذكر أنها كانت تنشر له أحيانا مقالين في اليوم الواحد . وكان يملى على رحمه الله هذه المقالات فأسلمها بيدى الى الاستاذ عبد القادر حمزة . واذا كان الرئيس متعبا أو في شغل عن الانشاء أملى على نقط الموضوع ورسم لى خطة الكتابة فيه ، فأكتبه ثم اعرضه عليه قبل نشره .

واشهر مقالاته في البلاغ تلك المقالات السبع الشهيرة التى نشرها تحت عنوان « ثورة الوزارة على الدستور » يقصد الوزارة الزيورية ، وذلك في المدة من ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥ الى ٢٥ اكتوبر التالى ، وكان البلاغ يقدمها بأنها « لامام في البحث والبيان يشار اليه بالبنان » وامضاها الرئيس بهذين الحرفين ((س . ا .)) .

سألنى وهو يملى على أولى هذه المقالات : بأى امضاء يذيلها ؟ فقلت « س . ز . » ، فقال : لا ، ان الناس يفطنون سريعا . ثم قال مازحا : أنت اسمك « ابراهيم » ، فخذ أول اسمك وضعه تالى الحرف الاول من « سعد » ، واكتب ((س . ا .)) . ثم ضحك وقال : « لا تظن أنه اسمك ! ولكنه اسم أبى » . واسم أبيه هو الشيخ ابراهيم زغلول عليهما رحمة الله .

هكذا كان سعد يولى الصحافة التى تعبر عن سياسته أتم عنايته ، ويتعهد رجالها على قدر امكانه بالارشاد والاقناع ، ويؤثرهم بما شاءوا من الوقت على سواهم . وكان أكثر احتفائه بالاساتذة :

عبد القادر حمزة

واحمد حافظ عوض

وعباس محمود العقاد

فقد كانوا الفرسان الثلاثة في ميدان صحافة الوفد ، وكان كثيرا مايطلبهم بنفسه لمقابلته ، ولم تكن أسماؤهم تعلن في نشرة المقابلات ، واذا قابله أحدهم فمقاله في الغد من وحى سعد .

كان الاستاذ أحمد حافظ عوض ، بك ، القطب الثانى من رجال صحافة الوفد ، بعد قطبها الاول الاستاذ عبد القادر حمزة . وكان يصدر جريدة « كوكب الشرق » الشهيرة وأخوات لها من

قبل ٠٠ بيد انه لم يكن كثير التردد على « بيت الامة » ، كما كان يحرص زميله القطب الاول ، فقد كان يستمد سياسة جرائده ـ وكانت جميعها وفدية ـ من اخلاصه لمبادئ الوفد، ومن الروح الوفدية العامة ، ومن زيارات للرئيس بين الفترة والفترة ٠ وكثيرا ماعتب عليه الرئيس قلة زياراته ، فيعتذر بضعف الصحة وضيق الوقت وكثرة العمل ٠ والحق أن أوقات العمل في جريدة « البلاغ » كانت تمكن صاحبها من الفراغ في المساء ـ وهو وقت المقابلات المعتاد ـ على عكسها في جريدة « كوكب الشرق » ٠ فكان صاحب « البلاغ » لايترك ليلة تمر دون أن يقابل فيها الرئيس ، فيمكث في حضرته حتى ينتهي سيل الزوار ، ثم تكون بينهما خلوة يخرج بعدها وفي جيبه أو في رأسه مقال ٠٠ ! على أن ذلك قد لايشفع في اعفائه من مقال آخر بقلم سعد يلحقه في الصباح !

وكان من آثار هذه الصلة المستمرة بين الرئيس والاستاذ عبد القادر حمزة ان الرئيس كان حفيا أكثر الحفاوة به ، حتى جعل جرائده ، على تعددها ، وفي جميع عهودها ، لسان حال الوفد ٠ وان شئت فقل ان الاستاذ حافظ عوض « بك » لم يكن صحفيا وفديا منتسبا كما كان الاستاذ عبدالقادر ، بل كان صحفيا وفديا (من منزله او من جريدته) ان ساغ هذا التعبير !

على أن سعدا كان يحتفظ دائما لصاحب « كوكب الشرق » بمنزلة الاعزاز والتقدير ، يدل على ذلك ماأظهر من عطف شامل عليه أيام انتخابات الائتلاف في سنة ١٩٢٦ ، حتى لقد أذنني أن أحضر حفلاته الانتخابية وأخطب فيها ، مع أن دائرة باب الشعرية التي رشح نفسه فيها لم تكن بحكم وثيقة الائتلاف من دوائر الوفد ٠

أما الاستاذ عباس محمود العقاد فكان أقوى ركن في جرائد الاستاذ عبدالقادر حمزه ، بل في أية جريدة معاصرة ، وكان سعد يحبه حبا جما ويحترمه ويعتد برأيه على حداثة سنه في ذلك العهد ، وماراًيته شغوفا بقراءة مقال كما كان مقبلا على مقالات العقاد ٠

ولقد كان الاستاذ العقاد معول الهدم الذى يسلطه الوفد على خصومه ، وكان حبه لسعد ، وايمانه بمبادئه لايتطرق اليهما

شك ، وكان يكتب أكثر مايكتب في السياسة ، فلم يكن لديه متسع من الوقت لسواها ، وكم أقام كثيرين وأقعد اخرين ، وكان خصوم الوفد يستعيذون من قلمه، وكان له حتى من غير الوفديين أتباع لايفلتون مقالا ينشره ، فله أسلوبه الجزل وله ديباجته الادبية القوية ، حتى ليحار قراؤه فيه :أيكتب أدبا أم يكتب سياسة ؟

كان سعد يقول عنه :

« انه جبار ، شديد الوطأة على خصومه ، وعنيد في فكرته ، واذا كتب ألم بالموضوع من جميع أطرافه » .

والى هذا المعنى أشار الاستاذ العقاد في قصيدته العظيمة التى ألقاها في حفلة الاربعين لوفاة سعد . ومطلعها :

امضت بعد الرئيس الاربعون ؟ عجبا ! كيف اذن تمضي السنون ؟

فقد قال فيها :

انا جبارك لاتعهدني ذلك الجبار في الدمع السخين

سعد والعالم اللغوى وحيد « بك »

« اخصائى » أو « متخصص » ؟

لم يقتصر شغف الرئيس بالجدل والمناقشة على الشئون السياسية ، بل كان معنيا كل العناية باللغة العربية وآدابها وبلاغتها . وفي هذا الباب ينسى وهو يناقشك انه « **سعد زغلول** » . وكثيرا ماكان يكلفني أبحاثا لغوية متعددة ، ويناقشني في نتائج البحث مناقشة علمية حرة .

وأذكر ، حينما كنا في مسجد وصيف بعد انتهاء الدورة الاولى للبرلمان الائتلافى ، انه قرأ في احدى الصحف كلمة «**الاخصائى**» واظهر امتعاضه من لفظها وصياغتها ، وشك في انها تؤدى المعنى المقصود بها ، ثم طلب الى أن أبحث عن أصل استعمالها في كتب اللغة وعن كلمة اخرى تؤدي هذا المعنى في مادة (**خص**) او في مادة اخرى .

فبحثت وعرضت عليه نتيجة البحث ، وهى تقضى بأن كلمة (اخصائى) لاتصلح للاستعمال لوجوه نظر كثيرة ، وان الاصلح منهـــا كلمـــة (مختص) او (متخصص) اوكلمة (اختصاصى) اذا لم يكن بد من النســـبة الى المصـدر . فوافق رحمه الله .

وكان الاستاذ السيد وحيد « بك » ، عالم اللغة المشهور ، ينشر فى تلك الفترة بجـريدة الاهرام أجوبة عن اسئلة لغوية توجه اليه فى كل يوم ، فأشار على الرئيس ، وهـــو يضحك ، بأن ارسل هذا البحث الى جريدة الاهرام ، فى صورة ســـؤال موجه الى السيد وحيد « بك » فأرسلته ونشر بامضاء (م٠ا٠ج) وهى الحروف الاولى من اسمى. وبعد ايام نشر الاســتاذ جوابه فاذا به يؤيد نتيجة البحث .

وهذا هو البحث كما نشرته جريدة الاهرام فى عددها الصادر يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦

اخصائى أو متخصص ؟

« الى السيد وحيد بك »

« كان الكتاب يستعملون الى زمن قريب كلمة (اختصاصى) للدلالة على من انفرد بعلم أو فن، ثم اخذوا يهجرونها ويستعملون مكانهـا كلمة (اخصـــائى) ، وتعددت مذاهب العامة وبعض الخاصة فى ضبط حروفها .

وقد بحثت فى كتب اللغة ، فرايت فى مادة (خصـــص) : (تخصص به تخصصا : انفرد به . واختصه بالشىء : بمعنى خصه . واختص به هو : انفرد ـ لازم ومتعد)

وفى مادة (خصى) : (اخصى طالب العلم اخصــــاء ـ بوزن انشاء ـ تعلم علما واحدا) .

فلم اجـد فى هاتين المادتين مايرجح احداهما على الاخرى فى المعنى الذى نقصده ، وان كان فى الاولى فضل دلالة عليـه ، لأن تعلم طالب العلم علماً واحـــدا لايكاد يفهم منه بهذا الوضع انه تعلم قبل ذلك جملة علوم ، ثم اقتصر على هذا العلم الواحـد

منهـا . بخلاف (**تخصص**) و (**اختص**) فانه يفهم منهماذلك بسهولة ، ولاسيما اذا راعينا ان الخصوص يقابل العموم ، وان الاول من الثانى . زد على ذلك ذيوع مادة (**التخصص والاختصاص**) ، وسهولتها ، واجتماع الناس على صحة ضبطها . اما مادة (**الاخصاء**) فغريبة عن العامة فى معناها ، مشتبه ضبطها حتى على بعض الخاصة ، قريبة فى لفظها ومادتها الى معنى غير ظريف .

وبعد هذا وذاك ، لماذا نستعمل النسبة الى المصدر فنقول : (**اختصاصى**) **أو** (**اخصائى**) ، ولانستعمل اسم الفاعل راسا فنقول (**المختص والمتخصص**) او (**المخصى**) بضم الميم وسكون الخاء ؟

أرجو من الاستاذ الكبير السيد **وحيد** بك ان يبدى رايه فى هذا الموضوع على صفحات الجرائد ، تنويرا للافهام ، وتصحيحا للاوهام ، وضبطا للكلام ، والسلام . »

(م٠١٠ج)

وفى عدد الاهرام الصادر يوم ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٦ نشر جوابه تحت العنوان الاتى :

أجوبة

الضمان ـ المتخصص ـ الريس

فقال ماياتى خاصا بالسؤال :

« **المتخصص** » :

نجيب مخاطبنا الكاتب البليغ والباحث المدقق ، الذى اعجبنا كثيرا بمقاله ، بان (**الاخصاء**) بالمعنى المراد خطا وان (**المتخصص**) يستعملها اخواننا الترك لذلك المعنى ، وهى كلمة فى لغتنا لها المعنى المقصود ، ورائقة سمعا : تخصص للامر تخصصا فهو متخصص . . « **وحيد** »

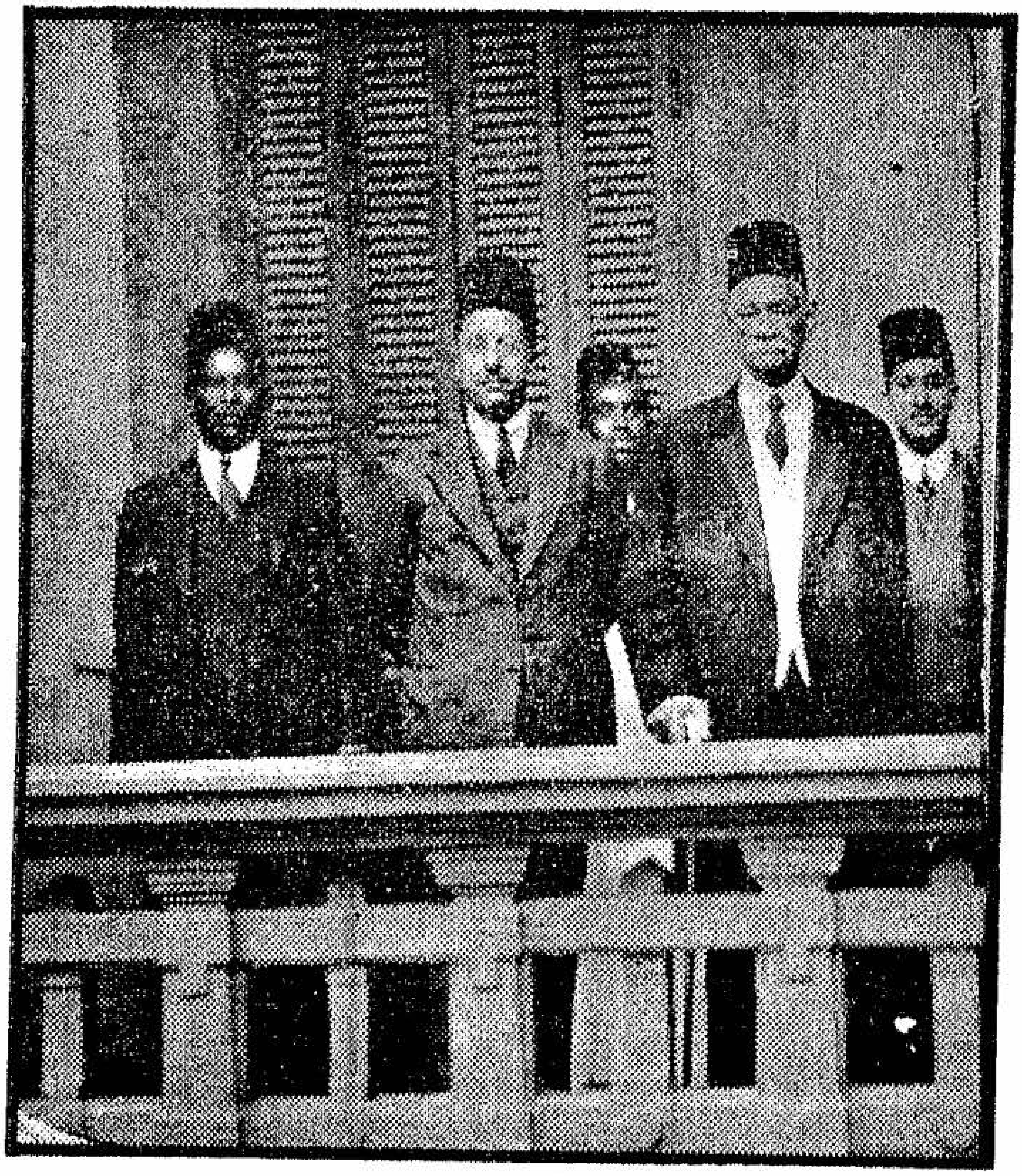

الرئيس يخطب الوفود
من شرفة بيت الامة
والى يمينه الاســتاذ مكرم عبيد والى يساره سكرتيره

سعد والنهضة النســـائية

كان سعد رحمه الله من الاصدقاء الحميمين للمصلح الكبـــير المرحوم قاسم أمين « بك » وكان من مشجعيه ومعاضديه فى آرائه الحرة نحو السفور وتعليم المرأة، فكذلك كانت حياته الزوجيـة مظهرا كاملا لتلك الروح الجديدة، فى النظر الى المرأة ، على أنهـا قسم متمم للرجل ، ونصف يكمل النصف الآخر فى حياة البلاد : فزوجته مثقفـة ثقافة ممتـازة ،عربية وفرنسية ، وهو يعاملها على احترام ومحبة معاملة النظير ، فلا ينظر اليهـا نظرات أهل الجيـل القديم الى زوجاتهم كأنهن دونهم مقاما بل انسانية ·

وانى لأذكر له رحمه الله كلمة صريحـة تدل على شعوره نحـــو النهضـة النسـائية واستعداده بفكره وعواطفه لتشجيعها ·

زار بيت الأمة فى اليوم الاول من فبراير سنة ١٩٢٤ ـ فى أول عهـد وزارة الشعب ـ وفد من طلبة مدرسة الحقوق الفرنسية من البنين والبنات ، فأطل عليهم الرئيس من شرفة مكتبه ، وألقت الطالبة « الآنسة اليس صقال » كلمة بالفرنسية مهنئة بالنيابة عن الطلبة من الجنسين ، فرد عليهـا رحمه الله بالفرنسية بكلمة نفيسة هذه ترجمتها :

« ايتها الآنسات :

انى مبتهج بزيارتكن ، وأعبر لكن بدورى عن سرورى برؤيتكن راغبـات فى المعـاونة فى العمل الاجتماعى والفكرى المفروض على الجميع ·

انى من أنصار تحـرير المرأة، ومن المقتنعين به ، لأنه بغيـر

هــذا التحــرير لانستطيع بلوغ غايتنا • ويقيني هــذا ليس وليد اليوم ، بل هو قديم العهد ، فقد شاركت منذ أمد بعيد صــديقي المرحوم **قاسم بك أمين** في أفكاره التي ضمنها كتابه الذي أهــداه الى (يريد كتاب **المرأة الجديدة**)، فضلا عن أن الدور الذي قامت به **المرأة المصرية** في حركتنا الوطنية كان عظيما ونافعا • **فاستمررن** اذن في العمــل الذي بدأتن به .وأنا ضامن لكن النجاح التام • »

* * *

كانت **ثورة** سنة ١٩١٩ بعثا ووعيا جديدا في كل ناحيــة من نواحي الحياة المصرية ، فالعقول انكشف عنها الخمول ، وانتفضت تتــلمس الأفكار الجــــديدة ،وتستوحي الحيــاة الحرة روحها ومبادئها •• والقلــوب تجددت حماستهــــا ونبضت دماؤهــا ، وهزتها الثورة هزا عنيفا لاخمود بعده • فكان أول أثر للثورة أن أصبحت مصر بانضمام **الجنس** الى الجنس كلا كاملا بعد أن كانت نصفا عاجــــزا ، واستيقظت النساء فعرفن حقهن في الحيــاة ، بل عرفن **واجبهن فيهــا** ، فقد أبلين بلاء عظيما منذ فجر الثورة وساهمن في الحياة السياسيــة الى جانب الرجال مساهمة كانت ذات أثر قوي في الجهاد ، فلأول مرة في التاريخ خرجت نساء مصر في مظاهرات سياسيــة ، تهتف بحقوق البلاد ، وتنــاصر الزعيم وصحبه •

المظاهرة النسوية الاولى

تجابه الجيش البريطاني :

كانت المغفور لها السيدة **صفيه زغلول** ، أم المصريين ، **قد اسفرت** ودخلت ميدان الجهــاد ، منــذ اللحظة الأولى للثــورة • وكانت المغفور لها السيدة **هدى شعراوي** أول ســيدة لبت نداء صــديقتها حرم الزعيم ، فقادت **المظــاهرة** النسوية الأولى التي لن ينساها التاريخ ، وكانت تضم فضــليات **نســاء مصر** ، خــرجن يحتججن ويهتفن صاخبات ، وقد أخـــذن طريقهن من الباب الخلفي لمنــزل السيدة **هدى** بشارع قصر النيل الى الطرقات المتفرعة ، تفاديا من

الزعيم وأم المصريين

مقابلـة القوات البريطانيـة التي اعتزمت مهاجمتهن !! وكلما تجمع سرب الى سرب لاحقتهن القـوات الغاشمة ، وضيقت عليهن مسارب الطـــرق ... حتى اذا بلغت المظاهرة مشارف بيت الأمة أو كادت – حيث كانت السيـــدة صفية تنتظرهن – استطاع الجيش البريطاني « الباسل » ! أن يلتف حول جمعهن ، ويحاصر المظاهرة جمعاء بجنده وحرابه التي صوبها الى نحور السيدات الناعمات ... ودام الحصـــار عدة ساعات في الشمس المحرقة ، لاينـال الجند منهن الا دعوة المظلوم على الظالم، والا لعنـة الحق على الاستعمار الباطل !

وطارت أنباء المظاهرة الى كل مكان ، واستهجنت الجاليات الاجنبيـــة تصرف الجيش البريطاني ، وتلاقى رجال السلك السياسي على رغبة طيبـة ، وتواصوا بالسعي الحميد العاجل، ثم استقر الراي على ان يتدخل الوزير الامريكي ، ففعل ، وانتهى الحصار الذي كان ينذر بمأساة شنيعة !

تمهيد :

كان ذلك في مستهل عهد الثورة سـنة ١٩١٩ ، وكنت لاازال طالبا ، ولكنني أبدأ الحديث به وبما يليه حتى أبرز الخطوط التي رسمها سعد في صـحيفة النهضة النسائية ، وحتى أصل بالحديث الى ماشاهدته وأنا في بيت الامة من جهاد هذا الجنس الذي ندلله فنسميه « ناعما » ، والحق أنه في سـبيل فكـرته وبلوغ هدفه قد يطيق مالا يطيق جنسنا الخشن .

كانت تلك الوثبـة في فجر النهضة الوطنية اول قطرة من البركة في حيـاة المراة المصرية الجديدة ، وتدفقت في أعقابهـا قطرات وسيول من الخير آذنت بنهوض النساء كتلة واحدة عاملة، تناصر سعدا في جهاده ، وتستمد من روحـه دروس الوطنيـة الصادقة .

لجنة الوفد المركزية للسيدات :

لم تكن المراة المصرية قبـل زعامة سعد تعرف التشكيلات الجماعية ، من جمعيات واتحادات ولجان ، ولكن سعدا راى ، تكريما

للمرأة ، واعترافا بحقها في المساواة مع الرجل في جهاده ، أن يوحي بتأليف لجان نسائية باسم الوفد، على غرار لجان الرجال ، وهكذا شهدت مصر ـ ولعلها لاول مرة ـ تأليف لجنة نسوية سياسية ، باسم « **لجنة الوفد المركزية للسيدات** » وانعقدت رياستها للسيد **هدى شعراوى**، وضمت نخبة مختارة من الشخصيات الممتازة فى دولة النساء . اما **أم المصريين** فقد آثرت الا تشترك فى عضوية اللجان او تقبل رياستها ، حتى تكون بمعزل عن المنافسات والاتجاهات المختلفة ، وحتى تكون **أما** للجميع ، وظلت محافظة على هذا المبدأ الى وفاتها رحمها الله .

وتفرعت عن اللجنة المركزية لجان كثيرة تتبعها أو تستقل بجهودها ، ولم تقتصر أهداف هذه اللجان ، فيما بعد ، على الغرض السياسى الذى وفت فى خدمته بأكبر نصيب ، بل شملت جهودها شتى مرافق الحياة من تعليم وصحة واجتماع . وظلت اللجنة المركزية واللجان الفرعية للسيدات تعمل جنبا الى جنب مع لجان الرجال منذ فجر الثورة ، **تؤيد كلها سعدا** فى مطالبه الوطنية ، وتستمد منه الروح والقوة والرشاد ، حتى حدث الحادث المشهور فى التاريخ، وهو حادث **الانشقاق** بين المجاهدين ، فكان له قسيم بين المجاهدات !!

كان ذلك حينما اختلفت الآراء بين الزعماء ، وتألف **حزب** الاحرار الدستوريين ، وجرت نغمة جديدة على الالسن : **سعد وعدلى** ، فأعلنت السيدة **هدى شعراوى** رأيا سياسيا نشرته لها الصحف، ولم يكن ليجمل صدوره منها وهى **رئيسة** لجنة الوفد المركزية للسيدات ، ثم اضطرت الى اعتزال رياسة اللجنة بعد أن اعتبرها الوفد **منشقة** عليه ، وألفت فيما بعد تحت رياستها هذه المؤسسة ذات الاثر الخالد فى نهضة مصر النسائية ، وهى « **الاتحاد النسائى المصرى** » .

ولما خلا مكان الرياسة فى **لجنة** الوفد المركزية للسيدات ، شغلته السيدة **ألفت راتب** بتأييد من **سعد** وحرمه ، ومع أنها لم تكن

على ثقافة كثقافة السيدة **هدى**، فانها كانت كبيرة السن والمقام، فاجتمعت **سيدات** اللجنة تحت رياستها يرعينها أما محبوبة، وكن جميعا نابهات عاملات مخلصات **لسعد** وحرمه وللحركة الوطنية التى يحمل **الوفد** وقتئذ لواءها . وأذكر منهن على سبيل المثال :

السيدات **استر فهمى ويصا وجليلة البحراوى وحرم** الاستاذ **واصف غالى ، والشقيقات** الاربع الشهيرات كريمات **حسين ثابت** « بك » المستشار سابقا وزميل **سعد** رحمهما الله ، وهن **فهيمة ووجيدة وامينة ومنيرة ثابت** ، والسيدة **منيرة** هذه هى **حرم** طه الدرباشى «بك» وليست الآنسة أو السيدة **منيرة ثابت** ، الكاتبة الصحفية المعروفة صاحبة جريدة « **الامل** » والتى لم تكن قد ظهرت فى تلك الفترة فى الميدان النسائى .

وقد كان لجهود هؤلاء السيدات الفاضلات شأن يذكر فى الحركة الوطنية بأعظم التقدير ، وكانت كل سيدة منهن ومن أمثالهن تعمل فى سبيل الصالح العام لبلادها ولجنسها كأنها لجنة وحدها . وكانت **الشقيقات** الاربع اللاتى سلفت أسماؤهن العمود الفقرى فى **لجنة** الوفد المركزية للسيدات ، ولازمن بيت الامة فى صحبة حرم الزعيم وفى ظل عطفه وتشجيعه منذ سنة ١٩١٩ ، وكان وفاؤهن لهما مضرب الامثال ، حتى لقد اصررن على المساهمة فى رعاية **سعد** معزوجه اثناء اعتقاله فى **جبل طارق** ، فلما لم يستطعن بجمعهن ، وقع الاختيار على احداهن السيدة **فهيمه ثابت** ، فسافرت مع **أم المصريين** الى معتقل الزعيم ولم تعد الا معهما .

سعد والمساواة السياسية :

ليس من شك فى ان **سعدا** كان ذا اثر كبير فى حركة المطالبة **بالمساواة** السياسية بين الجنسين . والحق ان **لسعد** معجزتين خالدتين تتوجان **ثورته** السياسية بتاج فخار لا يقل قدرا من تاجه فى دنيا التضحية والجهاد : مزج المصريين جميعا فى قومية واحدة لا تعرف **قبطيا او مسلما** ، وبعث **المرأة** من

خدرها بل من مرقدها الذى قبعت فيه اجيالا طوالا . ولقد اعلن هو رايه فى نهضة المراة ، فى الكلمة التى سبقت له ، ثم كان تشجيعه وايحاؤه وتعاليمه تنفيذا لذلك الراى وتطبيقا .
وقد رايناه راعى الحركة النسائية السياسية فى مبعثها ، وسنراه الآن صاحب الفضل الاكبر فى ان تمتد هذه الحركة الى الصحافة ، لتخلق من فتاة صغيرة ثائرة اول صحفية مصرية ، تطالب بلسانها وبلسان صحافتها بالمساواة بين الجنسين .

الفتاة الثائرة :

كان ذلك فى اواخر عام ١٩٢٤ ، حين ظهرت فى بيت الامة فتاة ناشئة ، لا تزال طالبة علم ، لكنها مثقفة ثقافة اكبر من سنها ومن تحصيلها المدرسى . وقد كانت سبقتها أخبار تنذر بثورتها ، عرفها الناس فى الصحف حين قراوا لها فى عدد الاهرام الصادر يوم ٣ مارس سنة ١٩٢٤ ما ياتى ، ضمن مقال طويل :

« قرأت أن الحكومة تنوى أن تقيم حفلة شائقة لافتتاح البرلمان المصرى الجديد .. وقد بت احترق شوقا لحضور هذه الحفلة ، فتساءلت مرارا : الايكون للسيدات المصريات مقاعد فى هذه الحفلة ؟ انى لأوجه اليوم هذا السؤال علنا الى صاحب الدولة رئيس الوزارة السفورى الجليل .. انه حقا لمن الغبن الفاحش أن تحرم مندوبات الجنس اللطيف من الاشتراك فى الاحتفال بافتتاح البرلمان المصرى . لقد كان للمراة المصرية نصيب فى الجهاد ، لا يقل عن نصيب الرجل ، فمن حقها ان تشترك معه فى حفلة افتتاح المجلس النيابى الذى هو ثمرة ذلك الجهاد المشترك . »

وكان سعد لا يعرف هذه الفتاة الا باسمها الذى تنشره الصحف ، ولكنه وهو نصير المراة اشار على اولى الامر فى المجلسين بأن يخصصوا شرفة او اكثر فى كل مجلس للسيدات الزائرات ، اسوة بشرفات الزوار ، واصبح هذا التنظيم تقليدا متبعا فى البرلمان الى اليوم .

الآنسة منيرة ثابت :

جاءت الآنســة منيرة ثابت الى بيت الامة تســبقها هاتان الثورتان : دخول السيدات زائرات الى مجلسى البرلمان ، والمطالبة بالمساواة بين الجنسين ، فاحتلت مكانا مرموقا لدى سعد وأم المصريين ، وظلت وثيقة الصلة بهما الى وفاتهما .

وأذكر انها كانت دائبة ،قبل مجيئها الى بيت الامة ، على ارسال الكتب الى الرئيس فى شتى شؤون المرأة ، سياسية أو اجتماعية ، وكنت بحكم وظيفتى أطلع على رسائلها ،وأبلغها ردود الرئيس عنهـا ردودا مملوءة بالعطف والتشجيع • ورحب بها سعد وأم المصريين ، وعرفا أنها صاحبة الرسائل الثائرة التى كانت تمطر بها بيت الامة من الاسكندرية ، حيث كانت تتعلم، أو من ريفها فى احدى قرى مديرية البحيرة •

ساهمت الآنسة منيرة ثابت فى الخدمة العامة،وشرعت تجاهد بالدعاية للزعيم ولحركته، تكتب المقالات فى الصحف ، وتذيع المنشورات ، وتقوم بقسط من الجهود أحرى أن تقوم به لجنة كاملة •

ولقد أصابنى فى تلك الفترة من مشاغباتها التى كانت طابعها فيما تكتب ، وابل من العتاب والحساب ،فكانت تلصق بى تهمة كل تصرف لايعجبها صدوره من اللجان النسائية الوفدية ، وكانت تلقى على مسئولية الأخطاء اللغوية والأسلوبية ، بل الأخطاء الموضوعية ، التى كانت تبدو لها فى محررات تلك اللجان ، لأنى أقوم بتوزيع هذه المحررات على الصحف !
وكنت أقبل هذا العنف منها،لانى أعرف أنها ثائرة تحت كنف سعد •

وبين يدى الآن منشور مطبوع ذو صفحتين كبيرتين ، حررته وطبعته ووزعتــه بالبريد وفى الطرقات ، لافى القاهرة وحدها، بل فى مدن كثيرة •• أصدرته فى عهد الوزارة الزيورية ، فى أيام الاستعداد للانتخابات التى أجرتها هذه الوزارة ، وجعلت عنوانه:« نداء النساء الى الشعب المصرى » فناصرت فيه سـعدا

وأصحابه ، وانحت على الوزارة ورجالها بقوارص العبارات •
بدأته بقولها :

« أيها المواطنون : لئن حرمت المرأة المصرية من مباشرة حقها في الانتخاب بجانبكم في هذا الوقت العصيب ، فليس في الوجود قوة تستطيع أن تحرمها حقها الطبيعي في الاشتراك معكم في هذه المعركة بالفكر والقلب والعاطفة ••• »

ثم وقعته باسمها ووظيفتها : « منيرة ثابت — المطالبة بحق الانتخاب للنساء ! »

وهكذا كانت أول مصرية تطالب بهذا الحق لجنسها ، وتحمل علم هذه الدعوة في فجرها ، لتشترك معها في حمله بعد سنوات أخواتها المجاهدات •

ولم يكن جهادها قاصرا على ما تصدره وتذيعه هي من منشورات ، بل كانت تطلب من بيت الأمة في كل مناسبة أعدادا كثيرة مما يصدره الوفد ورجاله من نداءات وبيانات •

أما اختصاصها بلقب الصحفية المصرية الاولى ، فله قصة كاملة ، كان سعد موحيها وصاحب كل الفضل فيها :

كانت الوزارة الزيورية تضطهد الصحافة الوفدية ، وتغلق جرائدها واحدة بعد أخرى ، ولا تسمح لوفدي بأية رخصة جديدة ، وعلى حين فجأة غابت الآنسة منيرة ثابت أياما عن بيت الأمة ، ثم عادت تحمل رخصتين لصحيفتين جديدتين : باسم « الامل » و « لسبوار » ، أولاهما عربية سياسية أسبوعية ، والثانية فرنسية سياسية يومية • وقدمتهما للرئيس لتكونا رهن تصرفه • أما كيف حصلت على الرخصتين فلا أعرف الى اليوم شيئا !

ولم يقف حظ سعد من هذه الحركة الصحفية النسوية عند الايحاء والتشجيع ، بل تولى التنفيذ برعايته ، فأشار بتأليف شركة مساهمة لجريدة (لسبوار) الفرنسية ، يقوم بالاشراف عليها بعض أعضاء الوفد ، واختار الوفد الاستاذ عبد القادر حمزه

صاحب جريدة (البلاغ) رحمه الله ، ليكون العضو المنتدب لادارة الجريدة عن مجلس الادارة • أما الجريدة العربية (**الامل**) فلم يشأ **الوفد** أن يتولى أمرها حتى لاتنافس جريدته المفضلة « البلاغ » ، فتولت الاتفاق عليها صاحبة الرخصة ولا تزال تصدرها الى اليوم •

النهضة النسائية وبيبة سعد :

أما بعد ، فمن الحق أن يقال ان **الآنسة او السيدة منيرة ثابت** ، فيما تنادى به من أنها أول صحفية مصرية ، أو انها أول مطالبة بحق الانتخاب للنساء ، مدينة بهذا الامتياز النسائى للرئيس **سعد** ، فهى تلميذته فى تعاليمها واتجاهاتها • بل الحق أن يقال أن **النهضة النسائية** التى انبثقت أنوارها مع فجر **ثورة سنة ١٩١٩** ، كانت **ربيبة** زعيم تلك الثورة : **سعد زغلول** ، فلم يكن العالم يعرف عن المرأة المصرية الا أنها متاع رقيق عند الرجل يقتنيه فى بيته ، فاصبحنا بفضل تلك **الحركة الوطنية** نشهد فتيات وسيدات فضليات ، يكتبن ويؤلفن الكتب ، ويشهدن المؤتمرات ، بل نشهد منهن من تلقين الدروس على **الشبان** فى الجامعات •

أنا انتهيت

١٤ يولية سنة ١٩٢٧ :

انتهت الدورة الثانية لبرلمان الائتلاف اليوم ، وفى ختام الجلسة ترك سعد منصة الرياسة وصعد الى المنبر ، ليلقى خطبة الوداع التقليدية ، ولكنها فىهذه المرة كانت خطبة الوداع حقا . قال :

« اخوانى : جئت لهذا المكان ، اى لمنبرالخطابة، لسببين :

الاول ، لانكم تسمعون منه بسهولة أكثر مما تسمعون من كرسى الرياسة .

والثانى ، لانى اجد سرورا فوق المنبر لا اجده فى هذا المكان العالى .

يبث هذا السرور فى فؤادى أمنى من التشويش (ضحك)، وتمتعى بحسن اصغائكم .

حاولت عند اقتراب انتهاء هذا الدور ان اعد خطبة ، كما فعلت فى الدور السابق ، ولكنى لم أتمكن من ذلك لضعف فى صحتى .

لهذا لا تسمعون منى خطبة ، ولكنكم تسمعون حديثا : حديثا عن أعمالنا ، وعن بعض ما صادفناه من الصعوبات . »

ثم بدا يتكلم والنواب ينصتون ، ثم أخذته حماسة الخطابة فاذا النواب يصفقون ! واستمر يتكلم ساعتين الا قليلا على رغم انه ضعيف الصحة لم يعد لهذه المناسبة خطبة !!

وفى الختام استودع النواب الله ، وسأله لهم الصحة والعافية،

وان يهبه من القوة ما يعينه على مشاركتهم فى خدمة البلاد ».

وهكذا ظل سعد فى آخر موقف له فى حياته العامة، يصدر عن سليقته ، وينبع من فطرته ، فكان رجل المنبر وخطيب البرلمان ، وهو من نهايته على مدى شهر وأيام ».

١٧ يوليه سنة ١٩٢٧ :

سافر **الرئيس** الساعة الثامنة صباحا الى «**بساتين بركات**» بالباخرة **دندره** ، وكانت راسية فى ترعة الاسماعيلية امام شبرا. وسبقته الى الباخرة حرمه الجليلة **أم المصريين** ، وقد دعا **فتح الله بركات** «باشا» صاحب البساتين ، **سعدا** وبعض الاصدقاء ، ليمضوا بضعة أيام هناك ، قبل أن يقصد **الرئيس** الى مصيفه السنوى بمسجد وصيف ».

٢٨ يوليه سنة ١٩٢٧ :

انتقل **الرئيس** وصحبه من بساتين بركات الى مسجد وصيف بالسيارات ، وكانوا : فتح الله بركات «باشا» ، وعبد الله اباظه «بك» وفخرى عبد النور «بك» ، والاستاذ محمود فهمى النقراشى ، والدكتور محجوب ثابت ، والاستاذ صبرى ابو علم ، والدكتور احمد ماهر، والاستاذ عبد الرحمن عزام ، وحافظ ابراهيم «بك» ، شاعر النيل ، والاستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى .

١٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ :

امضى الرئيس اليوم معتكفا فى غرفته بالطابق العلوى .

١٨ اغسطس سنة ١٩٢٧ :

نشرت جرائد الصباح ان صحة الرئيس انحرفت منذ يومين ، ولازم غرفته لايقابل احدا ، وهو يرجو الا يكلف الناس انفسهم مشقة الانتقال للسؤال عن صحته .

١٩ اغسطس سنة ١٩٢٧ :

١ ـ نشرت **الاهرام** مايأتى :

« يسرنا ان نبشر الأمـة بالتحسن المطرد فى صحة **الرئيس**، وقد امضى الليلة الماضية فى راحة تامة ، وكانت درجة الحرارة عادية . »

٢ ـ عدت بالسيارة الى **بيت الأمة** ظهرا انتظارا لعودة **الرئيس** فى المساء .

٣ ـ بكر **الرئيس** عملا بمشورة اطبائه ، فركب الباخرة « **محاسن** » فى الساعة الثامنة صباحا ، وكانت راسية أمام مسجد وصيف ، فعاد بها الى القاهرة حيث بلغها العاشرة مساء ، وتوجه بالسيارة الى **بيت الامة** .

٤ ـ شهدت الباخرة « **محاسن** » **سعدا** فى انضر صحة وعافية ، وفى اسعد أيامه واصفاها بشرا ، فى رحلته بها الى بلاد مديرية الجيزة فى العام الماضى . وهى **تشهده** اليوم ينتقل عليها الى **فراشه الاخير !!**

٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ :

أصدرت الحكمدارية أمرها باغلاق جميع المنافذ الموصلة الى بيت الامة أمام السيارات ، حتى لا تحدث أصوات تزعج **الرئيس** فى رقدته الاخيرة .

٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ :

أيتها النفس أجملى جزعا ان ما تحـذرين قد وقعا

كلفنى فتح الله بركات «باشا» ، عند الساعة العاشرة مساء، ان أبلغ رسالة تليفونية الى **سراى عابدين :**

.. ـ هنا بيت الامة ، أنا الجزيرى ، البقية فى حياتكم يا باشا .

توفيق نسيم «باشا» ـ **لا اله الا الله ..**

مات سعد زغلول ...

سعد الذى ملأت جهوده فى خدمة **الوطن** نصف قرن ، واستطاع فى سنواته العشر الاخيرة ان يرفع لواء الزعامة **لمصر** على الشرق كله ، وان يوطد أواصر القربى والمحبة والتعاون بين الاوطان العربية ، حتى أصبحت **مصر** فى العالمين عنوان الوطنية، وجذوة القومية ، والعلم الخفاق بنور البعث الجديد لامجاد الماضى التليد .

مات **الرئيس** المحبوب وانتهت ذكرياتى ، وجف قلمى ، فانا لله وانا اليه راجعون !

***

اولئك ما سجلت من ذكرياتى عن **سعد** ، لعل فيها تذكيرا بعظمته لمن عاصروه ، وتصويرا لزعامته لمن لم يشهدوا مجده .

واذا كان **سعد** قد خاصم أصدقاءه ، وخاصمه اصدقاؤه، فى سبيل خدمة البلاد ، واشتدت الخصومة بين الانصار والانصار ايما اشتداد ، حتى كان الاسمان العظيمان : «**سعد**» و «**عدلى**» رمز الضدين ، وعنوان النقيضين ، فان **الله** جلت حكمته ، وعلت قدرته ، أبى الا أن يتم على **سعد** نعمته ، فلم يقبضه اليه الا بعد أن لم الشمل على الشمل ، وجمع الشتيت على الشتيت ، وألف بين قلوب الاصدقاء القدماء ، فسعدوا **بالائتلاف** .

فلما تمت **لسعد** هذه الامنية ، وكانت معجزة الدهر ، آثر ان يرتاح فى جوار ربه ، وان يتفيأ ظلال رحمته ورضوانه ، جزاء ما أخلص فى دنياه لامته ، فقالها كلمة **الوداع** :

« **أنا انتهيت** »

فهرس

صفحة

سعد زغلول : كيف اتصلت بخدمته ٥
اسرة سعد : مولده ونشأته الاولى ٨
والد الرئيس ٩
والدة « ١١
اخوة « ١٢
ميلاد « ١٣
نشأة سعد الصغير ١٤
سعد فى الازهر ١٤
سعد والامام الشيخ محمد عبده والسيد جمال
الدين الافغانى ١٦
سعد المحرر فى الوقائع المصرية ١٧
«الوقائع المصرية» منذ خمسة وسبعين عاما . . . ١٨
من ادارة المطبوعات الى حضرات ارباب امتيازات
الجرائد العربية — سنة ١٨٨٢ م ٢٠
«امر كريم» بتشكيل اقلام قضايا الحكومة سنة ١٨٨٠ ٢٢
سعد والثورة العرابية ٢٥
الاستاذ سعد زغلول المحامى ٢٦
ثراء سعد ٣٣
ذكرياتى عن الرئيس سعد زغلول ٣٤
الرئيس فى يومه العادى ٣٥

صفحة

تواضعه ووداعته ٣٦
الرئيس والقراءة ٣٦
« واللغات الاجنبية ٣٨
اسلوب الرئيس ٣٩
حبه للمناقشة وخضوعه للحجة ٤٠
سعد والطلبة ٤٣
يا شيخ جزيرى ٤٤
ذاكرة سعد وبديهته ٤٩
اتكاله على الله وحبه للحقيقة ٥٠
الرئيس والقضايا السياسية العامة : ٥١
قضايا ماهر والنقراشى وحمد الباسل وفكرى اباظه
الزعيم الرحيم ٥٣
سعد الوفى : ٥٥
١ ـ اسماعيل اباظه (باشا)
٢ ـ محمد ابو شادى (بك)
٣ ـ يوسف اصلان قطاوى (باشا)
٤ ـ عبد اللطيف الصوفانى (بك)
سعد مع ضيوفه ٥٩
رحلة الباخرة محاسن ٦٤
ضيوف سعد فى الرحلة
الدكتور محجوب ثابت
سعد يشجع الفنانين ٨٢
سعد زعيم الرعام ٨٣
خطبة سعد فى العمال ٨٤
الرئيس والشيخ محمد شاكر ٨٥
الحكم فى قضية السردار ٨٨

صفحة

سعد والمربى الكبير والزعامة ٨٨
احمد فهمى العمروسى (بك)
امين سامى (باشا)
دعاية صحفية : حزب الشيطان ٩٠
كتاب «الاسلام واصول الحكم»
للاستاذ على عبد الرازق : رأى سعد فى الكتاب ٩١
خادم الرئيس ينصحه ٩٣
أنا سعد زغلول ٩٥
الاستاذ على الشمسى ٩٦
محمد فتح الله بركات (باشا) ٩٨
اصدقاء سكرتير سعد يقيمون له حفلة تكريم
برعاية سعد ١٠٢
سعد رئيس وزارة الشعب ١٠٤
سعد رئيس الوزراء يهتف لملك مصر والسودان
فى مبدا انعقاد البرلمان ١٠٧
رأى سعد فى دستور سنة ١٩٢٣ . . . . . ١٠٨
حق الحكومة فى الكلام ١٠٩
حق السلطة التنفيذية فى وضع خطط التعليم . . ١٠٩
سعد رئيس الوزراء يستأذن مجلس النواب فى
التغيب اسبوعا ١١٠
مرتبات الموظفين ١١١
الجيش والسودان ١١٢
نصائح الى النواب ١١٤
حول خطبة العرش (سنة ١٩٢٤) . . . ١١٥
الامانى القومية هى الاستقلال التام لمصر والسودان ١١٥

صفحة

مناقشة الرد على خطاب العرش :

(١) فى مجلس الشيوخ ١١٨

(٢) فى مجلس النواب ١٢٥

فى المفاوضات بين مصر وانجلترا ١٣٠

سعد يهزمه أنصاره ـ هزيمة اجل قدرا من النصر . ١٣٧

قرارات البرلمان فى غيبة الحكومة:

بمناسبة قانون الاجتماعات والمظاهرات . . ١٣٨

السودان ـ المفاوضات : ١٥٢

ان احرجت زغلولا فقد احرجت الامة

انا اخطب منك

سعد لا يحمل حقدا لأحد ١٥٦

الائتلاف بين الاحزاب : مقدماته ١٥٧

سعد وانتخابات الائتلاف ١٦٣

مرشح الاحزاب المؤتلفة أو مرشح حزبه فقط . . ١٦٥

الاستاذ احمد حافظ عوض والسيد عبد الحميد

البنان ١٦٧

سعد زعيم الائتلاف يفسر معنى الائتلاف ووزارته . ١٦٩

سعد رئيس مجلس النواب ١٧٢

الحضور فى المواعيد والاعتذار ١٧٣

مذكرات نائب ١٧٥

سعد يقترح تاليف لجنة الشئون الدستورية . . ١٧٦

سعد واسماعيل صدقى ١٨٣

فكرى أباظة يهجو البرلمان فيحميه سعد . . ١٨٦

سعد وضبط المواعيد : اكثر الاعضاء نشاطا ،

واوفرهم اقبالا على العمل ١٨٨

سعد والصحافة : النقيب الاول ١٩٤

سعد ورجال صحافة الوفد ١٩٥

عبد القادر حمزة ـ احمد حافظ عوض ـ

عباس العقاد

صفحة

سعد والعالم اللغوى وحيد بك: أخصائى أو متخصص ١٩٨
سعد والنهضة النسائية ٢٠٣
المظاهرة النسوية الاولى تجابه الجيش البريطانى . . ٢٠٤
لجنة الوفد المركزية للسيدات ٢٠٧
سعد والمساواة السياسية ٢٠٩
الفتاة الثائرة ٢١٠
النهضة النسائية ربيبة سعد ٢١٣
انا انتهيت ٢١٤
مات سعد زغلول ٢١٧

مطابع دار أخبار اليوم

ب اليوم

ار أخبار اليوم

ر الصحفى للأحداث اليومية »

ى والفروع الآتية :

ار ـ شارع الصحافة ت : ٧٧٧٧٧

« النبى دانيال ت : ٣٠٠٠٠

ميدان الساعة ت : ٢٤٨٢

قروش عدا رسوم البريد

حتى الآن

١٩

ـ عمالقة وأقزام • مصطفى أمين
ـ الحياة قصص • يوسف جوهر
ـ راقصات مصر • جليل البندارى
ـ الهاربون من الماضى • محمود كامل

١٩

ـ أسرار الجاسوسية • اللواء شوقى عبد الرحمن
ـ محمد • توفيق الحكيم
ـ ١١ يوليو • عباس محمود العقاد
ـ المساكين • صوفى عبد الله
ـ المرأة الجديدة • توفيق الحكيم

ـ قصص من القرآن • ابراهيم
ـ أبو الانبياء • عباس محمود

قراقوش فى حكم قراقوش عبد اللطيف
حكايات صحفية • محسن
بطوطة الثانى • فرج ج
بن العاص • عباس محمود

مطابع أخبار اليوم

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0295799